مداخلات لغوية (٢)

من شجون اللغة

ألفه

أبو أوس إبراهيم الشمسان

قدم له

معاذ بن سليمان الدخيّل

© أبوأوس إبراهيم الشمسان، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشمسان، أبوأوس إبراهيم

مداخلات لغوية(٢) من شجون اللغة/ أبوأوس إبراهيم الشمسان — الرياض، ١٤٣٨هـ

٢٣٧ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

١– اللغة العربية — النحو – مجموعات أ. العنوان

ديوي ٤١٠,٨ ؟؟؟؟/١٤٣٨

رقم الإيداع: ؟؟؟؟/١٤٣٨هـ

ردمك:؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

صمّمت الغلاف ونفذته: بدور إبراهيم الشمسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى ابني الغالي
أوس إبراهيم الشمسان

أسعدتني يوم مولدك وما زلت بخلقك وعلمك وسمعتك بين الناس
وإن كنت تُعرف بي صغيرًا فأنا أُعرف الآن بك وشأني بك يسمو
سأدعو الله لك أن يوفقك ويبارك لك في ما تعمل أو تكتب أو تقرأ

المحتويات

تقديم

أسعدني أستاذي الكريم أبو أوس بمكالمته ليزفّ لي خبر قرب صدور كتابه (مداخلات لغويّة ٢)، وقد خامرني بعد لحظاتٍ شيءٌ من الذهول والحيرة؛ إذ أبدى رغبته أنْ أكتب مقدّمة لهذا الكتاب. لا أظنُّ أنّ أحدًا مثلي يرغب في الوقوف هذا الموقف؛ إنّه من المواقف التي تبعث في نفس صاحبها الحيرة والتردّد. قبلتُ مُعتقدًا أنّه مقام عليّ أنْ أظهر فيه بعض ما أعرفه عن أستاذنا، وموقِنًا أنّني ما كنتُ هنا لولا نُبْل أبي أوس، وحسن ظنّه بأبنائه ليس غير. والله المستعان.

يمثّل أستاذنا مدرسة مهمّة قد استوعبَتِ التراث النحويّ العربيّ وتمكّنت منه دون أنْ تُسلِّم بكلّ ما فيه، تبدو لك في مقالاته همّة كبيرة في الوقوف أمام كثير من المفاهيم النحويّة ومراجعتها، ورؤية ناقدة لا تُسلّم بكلّ ما تقرأ، ولقد أثمر هذا الجمع بين العين البصيرة بالتراث النافذة إلى دقائق مسائله والعقليّة الناقدة أطروحاتٍ يَصحُّ أن ننزّلها ضمن المشاريع التي تروم تجديد الوصف النحويّ، وتخليصه من كثير من المفاهيم التي بَدَتْ –بحسب رأيهم- طارئة على الوصف النحويّ التراثيّ من مفاهيم فلسفيّة ومنطقيّة أسهمت في تعقيد النحو وتغليب جانبه المعياريّ على الجانب الوصفيّ الذي يستوعب الظاهرة اللغويّة جميعها في المدوّنة المحتجّ بها، ولا ريب أنّ هذا الاتّجاه قد كُتبتْ له السيادة بعد منتصف القرن الماضي تقريبًا بتأثير من الاتّجاه البنيويّ الوصفيّ في علم اللسانيّات، وقد انتظم ضمن هذا الاتجاه صراحة أو ضمنا عددٌ غير قليل من الدراسات والأطروحات في العالم العربيّ قد

أسهمت في توظيف ما ثَقِفَتْهُ من هذه المفاهيم البنيويّة في قراءة ظواهر لغويّة، أو في قراءة التراث نفسه، وتُعدّ رسالة أستاذنا للماجستير (الجملة الشرطيّة عند النحاة العرب) المنشورة من أهمّ هذه الدراسات المتعمّقة ضمن هذا السياق المعرفيّ، وقد أضحت إرثًا مهمًّا للباحثين في الدرس اللغويّ العربيّ الحديث بما تختزنه من اجتهادات جادّة يتّفق معها الباحثون، أو يراجعونها بمقتضى ما جدّ في فلسفة العلم عامّة، وعلم اللسانيّات خاصّة. ولكنّ الثابت الذي لا يتبدّل أنها دراسة جادّة معمّقة لأهمّ التراكيب اللغويّة العربيّة وأكثرها إثارة للمشكلات النظريّة (الجملة الشرطية)، وتبدو قيمتها في كونها ممثِّلة لحقبة ذات قيمة عالية في تاريخ البحث اللغويّ الحديث قد أثمرت عددًا من النتائج المعرفيّة المهمّة، وفتحت البحوث اللغويّة العربيّة التي جاءت بعدها على وجهات نظر مختلفة تجاه التراث النحويّ العربيّ مكّنَتْها من تثمين بعضها ومراجعة بعضها الآخر بما تفرضه عليهم مبادئهم النظريّة.

تتالت السنوات وما زالت تدهشني عند أستاذنا هذه القدرة على الاحتفاظ بالدافع والشغف للبحث وتقليب النظر في مسائل قد ظلّت جليسة له سنوات وسنوات، لم يثْنِه عن هذا إدامة النظر فيها وطول مراجعتها، ولمْ يكنْ هذا باعثًا له على الركون إلى اجتهاده والاطمئنان إليه رغم اقتناعه به ودفاعه عنه، يبدو هذا جليًّا في سياقين:

أولهما سرعة استثماره انفتاحَ المجتمع على الإنترنت بمشاركته في عدد من المنتديات المهتمّة بالعربيّة نحو شبكة الفصيح وغيرها، إذ كان عضوا فاعلا فيها يطرح آراءه

واجتهاداته ليقرأ تلقّي المتخصّصين لها ويحاورهم فيها، وقد كان كثيرا يختم مداخلاته إذا احتدّ النقاش مع بعض الأساتذة الذين يخالفونه الرأي في قضيّة مّا بجملة (هذا رأي للعرض لا للفرض).

وثانيهما ما وجدناه في قاعة الدراسة حين درسنا عليه في منهجيّة الدكتوراه مقرر (دراسات في اللغة والنحو) عام ١٤٣٦ هـ ، فقد كان يتلقّف الآراء والمناقشات مُبديًا الحفاوة والحماسة لآراء طلابه في بعض المسائل النحويّة، أو اعتراضاتهم على بعض اجتهاداته، وقد كانت تظهر حفاوته بهذه الآراء والمداخلات حين يَطلُب منهم تحقيق هذا الرأي أو الاعتراض مكتوبًا لعرضه على الجميع في المحاضرة القادمة والتحاور حوله. لقد كان يحسن الاستماع إلينا ويحتفي بما يستشهد به طلابه رغم علمي بأنّه خبيرٌ بهذه النصوص، عارفٌ بمضامينها؛ فلربّما –بحسب ظنّه- سنحت له فكرة كانت غائبة عنه سنوات يثيرها حوارٌ مع أحد طلابه، أو مراجعةٌ يحرّرها أحدهم.

يقدّم أستاذنا للمكتبة العربيّة هذا الكتاب الثاني الذي يجمع مقالاته التي نشرها في صحيفة الجزيرة (مداخلات لغويّة ٢) بعد أنْ نشر عام ١٤٣٦ هـ كتابه (مداخلات لغويّة ١) التي جمع فيها مقالاته منذ بدايتها حتى نهاية عام ١٤٣٥ هـ في كتب ثلاثة قد اختزلت الموضوعات التي طرحها في تلك المقالات فجاءت عنوانات الكتب الثلاثة على النحو الآتي:

(مسائل نحويّة)، (مسائل لغويّة)، (شهادات ومتابعات).

وأمّا هذا الكتاب (مداخلات لغويّة ٢) فهو مؤلَّف تنتظم فيه المقالات التي تتابع نشرها في صحيفة الجزيرة عامي ١٤٣٦و١٤٣٧هـ، وقد جاء هذا الكتاب في فصول ثلاثة:

١-مسائل لغويّة.

٢-كتب وبحوث ولقاءات في الأعمال اللغويّة والتراثيّة.

٣-من رجال العلم.

لن أُفصّلَ القول في مضامين هذه الفصول الثلاثة؛ فالقارئ يجدها أمامه في الموضوعات المثبتة في فهرسه، ولكنّي أكتبُ في جانب آخر دون إطالة؛ لأنّي حين أقرأ ما يكتبه أستاذنا في المداخلات أجد أخلاق الرجل ومعالم شخصيّته مُتلخِّصةً في ما يكتبه، فلا تكاد بصيرة عارِفهِ تخطئ مظهرَ عطائه وبذله العلمَ حتى تكاد تتحرّج أنْ تراجعه في مسألة، أو تسترشده في موضوع لكثرة ما يوافيك به من معلومات تشعر معها أنّك شغلته أيامًا عن مهامّه والتزاماته بما سألته؛ لأنّه ربّما أرسل إليك اسم كتاب، أو إحالة إلى رأي برسالة جوال أو بريد إلكترونيّ بعد مضيّ أيام، وربّما أسابيع على سؤالك حتى كِدْتَ تنسى ما سألتَ عنه. بل ربّما بادر طلابه في قاعة الدرس بالإشارة إلى قضايا جديرة بالمراجعة والبحث ليلتقطها منْ أراد من طلابه، ولا تكاد تخطئ عين القارئ مواضع كثيرة من هذا القبيل في المقالات المنشورة في هذا الكتاب، فنجده يختم مقالته في (التوسّع في استعمال المصطلح) بقوله: «ولعل الله يهيئ لهذا العمل من يصبر نفسه لجمعه وتدوينه». وختم مقالته (معاني الألفاظ بين المعجم والاستعمال المعاصر) كذلك بقوله: «نجد أنّ درس العلاقة

بين التراث المحفوظ والاستعمال الملفوظ من مهمات أبناء العربية والباحثين، كما أنّ من مهماتهم ضمّ ما جدّ من استعمال ألفاظ وضعها الناس وضعًا وليس لها في المعاجم تقييد وهي جديرة بالتقييد والاستعمال». ومثل هذه الإشارات في المقالات كثيرة يدفعه إليها همّان بحسب ظنّي: همّ البحث اللغويّ العربيّ وضرورة تقدّمه في هذه المجالات التي يشير إليها، وهمّ الباحث العربيّ والإشفاق عليه في الصعوبات التي تهدّد مسيرة بحثه عن قضايا جديرة بالدراسة.

وممّا تلاحظه في شخصيّة أستاذنا قدرة حسّه النقديّ على مقاومة الخلل في ما بدا بدهيًّا سائدًا في استعمالات الباحثين أو الأدباء من ألفاظ أو أساليب لغويّة لأسباب متعدّدة، فكثيرًا ما صوّب لي مثل هذا في ما أكتبُ، ولفت انتباهي إلى ألفاظ أو أساليب إذا راجعتها انكشف لي فيها الخطأ، ولكنّها سطوة المألوف التي ظلّت عصيّة على حسّ أبي أوس النقديّ، وفي هذا الكتاب نجد هذا الحسّ النقديّ في مراجعة بعض الأوهام اللغويّة في ما كَتَب عنه من دراسات علميّة، أو أعمال إبداعيّة.

ولستُ متعجّبًا أنْ أقف على بصمات ظاهرة في هذا الكتاب لخصلة التواضع التي تبدو لعارفه جليّة، نجده متواضعًا للعلم حين رجع عن قول سابق له فقال في مقالته «أنواع (ما) مع (دام)»: «وعلى هذا أرجع عن تخطئة المعاصرين في استعمالهم هذا التركيب في قولي «نجد من ذلك ما جاء في (طوق الطهارة، ص ٢٦٤) "وما دام الوقت بات لا يؤمن جانبه فعليّ أن أضيعه"، والصواب: عليّ أن

أضيع الوقت ما دام لا يؤمن جانبه؛ لأن (ما دام) ظرف لما قبلها». وقوله كذلك في مقالته (ابن سِيْدَه بالهاء لا بالتاء) بعد أنْ أورد اختلافه مع أستاذنا إبراهيم الحندود في ضبط هذا الاسم: «فالقول ما قاله أستاذنا الحندود، فلعله يقبل أسفي واعتذاري عن خطأ ووهم لا أعلم كيف تمكن من نفسي هذا التمكن الغريب».

أختم -وقد أطلت في مقام يليق به الإيجاز- بالزعم أنّ هذا الكتاب هو مشترك ثقافيّ للقرّاء، إنّه كتابُ الجميعِ بما يتضمّنه من موضوعات مختلفة بعيدًا عن الانقطاع المحض للإشكالات اللغويّة التي ينأى عنها القارئ غير المتخصّص؛ فسوف تقرأ مقطوعة سرديّة رائعة في منزلة معلّمه الأول عبد القادر وبحثه الحثيث عنه تتجسّد فيها قيم عالية. وقد أحسن كذلك في تقريب ما يروم مناقشته من قضايا لغويّة لنفس قارئه بربطها بعدد من الظواهر اللهجيّة المعاصرة من قبيل إيراده أمثال العامّة: العوض ولا القطيعة، منّة الله ولا منّة خلقه، وكذلك تحريره مقالة مستقلّة عنوانها (كل مين إيدو إلو) وغيرها كثير في هذه المقالات. ويكفي إظهارًا لكون هذا الكتاب كتابَ الجميع أنّه قد أفرد الفصل الثالث منه للحديث عن أعلام في مجالات متنوّعة قد سرد فيها شيئًا من سيرهم الذاتيّة، وباح بما وقع له من أحداث معهم، وأبرز أهمّ جهودهم العلميّة، كلّ هذا كان بسرد روائيّ يمتع القارئ دون أن يكتفي به، إذ لا يخلو استدعاء هذه الأحداث من تحليله الذاتيّ لتفسير بعض المواقف بما يجعل القارئ أمام نصّ روائيّ ماتع.

معاذ بن سليمان الدخيّل

مُقَدِّمَة

بعد أن نشرت المجموعة الأولى من المداخلات اللغوية وجدت أنها لقيت قبولًا؛ إذ سمعت من الثناء على محتوياتها المتنوعة ما أغراني لمواصلة نشر القسم الثاني منها، تبيّن لي أن كثيرًا من الناس وإن تابعوا الزاوية الأسبوعية التي تنشر في المجلة الثقافية من صحيفة الجزيرة يقبلون على قراءة الكتاب الذي يضم تلك المداخلات، فالكتاب يقيد لهم بسهولة ما قد يكون فاتهم من متابعة، والكتاب فرصة أخرى لتصحيح ما وقع من خطأ أو استدراك ما كان من نقص.

واجهتني مشكلة وضع اسم لهذه المجموعة الثانية من المداخلات، خطر في البال أن أسميها حصاد عامي ١٤٣٦هـ، و١٤٣٧هـ، ولكني انصرفت عن ذلك، ثم بدا لي أن أسميها «من شجون اللغة»، والحق أن ما يكتب فيها هو طائفة من المسائل والقضايا اللغوية أو عرض وتعريف موجز بعمل علمي يتناول اللغة أو هو كتابة عن علم من أعلام اللغة أو من المهتمين بها.

وأما المسائل والقضايا المتناولة فلست أزعم أنها موجهة لقارئ الصحيفة العادي بل هي موجهة لطلاب اللغة وذوي الاختصاص، وحاولت قدر الطاقة أن تكون واضحة اللغة دقيقة التعبير من غير إسراف بذكر التفاصيل التي قد يقتضيها الأمر؛ ولذلك وجدت من غير المتخصصين من يقبل على قراءتها ويصبر نفسه لمتابعتها، وأما الحديث عن الكتب والأشخاص فهو موجه للقارئ العادي؛ ولكنه يتوخى الإشارة للأشياء والتعريف

اليسير بها، وحرصت في حديثي عن الشخصيات أن أبين جهة العلاقة باللغة.

أرجو أن يجد القارئ الكريم في هذا العمل المتواضع ما يفيده ويمتعه، وسيكون من دواعي سروري وامتناني أن يهدي إلي من يقرأ ملحوظاته وتسديداته.

حرر في الرياض ١٤٣٨/٤/٣هـ

وكتبه

أبو أوس إبراهيم الشمسان

الفصل الأول
مسائل لغوية

مدخل: علاقة العربية بالعلوم الإنسانية والتطبيقية

تمتاز اللغة بأنها الوسيلة المعبرة عن الإنسان وتصوره عن الكون والقادرة على إنجاح تواصله وتفاعله، وهي كذلك القادرة على استبطان نفسها والتحدث عن نظامها؛ كما أنها المعبرة عن جملة من العلوم الإنسانية النظرية والتطبيقية، وهي متأثرة بكيفية أو بأخرى بتلك العلوم، وقد تبين للمشتغلين باللغة وبتلك العلوم ما بين اللغة وتلك العلوم من صلة قوية نشأت في إطارها علوم مشتركة، ومن تلك العلوم ما هو قديم مصاحب لنشأة البحث اللغوي مثل علم التاريخ وعلم الجغرافيا، فكان لدينا علم اللغة التاريخي وعلم اللغة الجغرافي؛ إذ يمكن الاستعانة بالتاريخ في تحديد نشأة الظواهر اللغوية وتطورها، والاستعانة على إنجاز معجم تاريخي، وأما الجغرافيا فيمكن أن تعين في تحديد البيئات اللغوية المختلفة ورسم خرائط لانتشار الظواهر اللغوية. ومن هذه العلوم ما هو أحدث من ذلك، فمنها ما يتناول اللغة بصفتها ظاهرة اجتماعية مؤثرة في المجتمع ومتأثرة به، فكان لدينا علم اللغة الاجتماعي أو علم الاجتماع اللغوي، وهو علم يعالج الكفايات الاجتماعية لمستعملي اللغة ومتعلميها ويكشف عن التغيرات الاجتماعية بين الأجيال وأثر التربية الاجتماعية في اكتساب تلك الكفايات أو فقدانها بسبب تفكك أسريّ أو مؤثرات خارجية أثرت في البنية الاجتماعية، ومن هذه العلوم ما له علاقة بالتركيب النفسي للإنسان والقدرات الذهنية المتعلقة بكيفيات اختياره من

متاح معجمي، وهو اختيار يختلف به كل إنسان عن غيره انطلاقًا من أحواله النفسية، ومن هنا كان علم اللغة النفسي وعلم النفس اللغوي، وربما توسع الأمر ليشمل علومًا بحتة كالأحياء التي نشأ عنها علم اللغة الأحيائي الذي يناقش الملكة الفكرية المتعلقة بحدث وراثي يقدم صيغًا هائلة للتعبير عن الفكر، وتفسر القدرات الإنسانية على التشكيل الصوتي المعتمد على تهيئ أحيائي متفوق؛ فالآليات الحاكمة للتعلم والتعليم معتمدة على أعضاء دماغية معقدة، ويظهر الخلل في ذلك في أشخاص فقدوا، دون أن يشعر من حولهم، تلك الأعضاء فتُوُهِّم أنهم متخلفون أو أغبياء؛ ولكنهم في الحقيقة مرضى. ومن العلوم المتعلقة باللغة تأثرًا وتأثيرًا الإعلام بوسائله المختلفة التقليدية والحديثة، وأما التقنية الحاسوبية وبرمجياتها وما تلا ذلك من وسائل الاتصال والعنكبية فهي مجالات واسعة عصفت بالطرق القديمة لتلقي اللغة وتعلمها وتعليمها، واختصرت بوسائلها المذهلة مراحل هائلة كانت تأخذ من أصحابها سنوات طوالا؛ ولكن التقنية المتسارعة في تطورها تخدم من يحسن استعمالها والاستفادة منها. وتظل اللغة أنى جئتها مفتاح كل علم، فالرياضيات وإن كانت رموزها غير لفظية هي لغوية لأنها نتاج فكر منه تبدأ وإليه تنتهي فليس يمكن التفكير إلا باللغة وإنما هذه الرموز اختصار لما يطول لو أريد بسطه بألفاظ لغوية، وأما الحواسيب فعملها معتمد في تطبيقاته على لغة حاسوبية تقترب أو تبتعد من صفات اللغة الطبيعية ولكنها آخر الأمر لغة خاصة. ومن هنا نجد أن بين ما يسمى العلوم الإنسانية التي على سنامه تعلم اللغة والعلوم التطبيقية من العلاقة ما يضع كل تلك العلوم على صعيد متصل، فلا يغني تعلم بعضها عن بعض على الرغم من مباشرة منافع بعضها الناس وتواري منافع أخرى، فتلك العلوم كأعضاء الجسد الواحد منها ظاهر ومنها باطن؛ ولكنها متضافرة في الأداء.

أولًا: المسائل الصوتية والصرفية

أثر الكتابة في التنظير الصرفي

لو كان للحركات رسم مثل الحروف لما وقع خلاف بين النحويين في علاقتها النطقية بالحرف (الصامت)، ذلك أنهم اختلفوا في موقعها من الحرف، ويجزم العكبري بأنها معه، قال «والحركة مع الحرف لا بعده ولا قبله»[١]، وهو مذهب منسوب إلى الفارسيّ[٢]، ويُذكر أنّ قومًا منهم ابن جنّي ذهبوا إلى أنّ الحركة بعد الحرف، وأيّد العكبري القول الأول بأمرين «أحدهما أن الحرف يوصف بالحركة فكانت معه كالمدَّ والجهر والشدَّة ونحو ذلك، وإنما كان كذلك؛ لأنَّ صفة الشيء كالعرَض، والصفة العرَضية لا تتقدَّم الموصوف ولا تتأخر عنه؛ إذ في ذلك قيامُها بنفسها»[٣]، وهذه حجة منطقية، وليس يعني القول بأن الشيء متحرك كون الحركة جزءًا منه؛ إذ التحرك غير الحركة، وقال «والثاني أنَّ الحركة لو لم تكن مع الحرف لم تقلب الألف إذا حرَّكتها همزة ولم تخرج النون من طرف اللسان إذا حركتها بل كنت تخرجها من الخيشوم، وفي العدول عن ذلك دليل على أن الحركة معها»[٤]، وهذه حجة احتج بها الفارسي ووصفها ابن جني بالقوّة، والحق أنْ ليس فيها استدلال فأثر الحركة في النون حاصل وإن جاءت بعدها، وأما الألف فالزعم بتحركها مردود لأنّ الألف حركة، والحركة لا تليها الحركة، وهم أنفسهم زعموا أن الألف ساكنة.

---

(١) أبوالبقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ١: ٦١.
(٢) انظر: أبوالفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ١: ٣٧.
(٣) أبوالبقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ١: ٦١.
(٤) العكبري، اللباب، ١: ٦٢.

وعلى الرغم من وصف ابن جني حجة أستاذه بالقوّة ذهب إلى أن الحركة بعد الحرف لا مَعه، وأيّد مذهبه بأمرين «أحدُهما أنَّك لَمَّا لمْ تدغم الحرف المتحرَّك فيما بعده نحو (طَلَل) دلَّ على أنَّ بينهما حاجزًا وليس إلَّا الحركة، والثاني أنَّك إذا أشبعت الحركة نشأ منها حرف والحرف لا ينشأ منه حرف آخر فكذلك ما قاربه»[١]، يعني لو أن الحركة كانت جزءًا من الحرف السابق للزم القول بأن حرف المد متولد من ذلك الحرف، أي إن الألف في (ضارب) ناشئة من ضاد (ضرب)، ونجد هنا أثر الكتابة في توهم أنّ الألف حرف يأتي بعد الفتحة، والألف في الحقيقة فتحة طويلة، إذ لَمّا مطلت الفتحة في (ضرب) تحولت إلى فتحة طويلة في (ضارب).

ويسوق العكبري الردّ على دليلي القول الثاني أي مجيء الحركة بعد الحرف، فقال «والجواب عن الأوَّل أنَّ الإدغام امتنع لتحصُّن الأوَّل بتحرُّكه لا لحاجز بينهما كما يتحصَّن بحركته عن القلب نحو (عِوَض)»[٢]، وليس هذا بردٍّ مقنع؛ فالحركة لم تحصّن المثلين من أن يُدغما، قال ابن جني «فظهور التاء في وَتِد ما دامت مكسورة، وإدغامها إذا سكنت [ودّ] دلالة على أن الحركة قد كانت بينهما»[٣]. وأما الجواب عن الثاني فمن وجهين: «أحدهما أنَّ حدوث الحرف عن الحركة كان لأنَّها تجانس الحرف الحادث؛ فهي شرط لحدوثه وليست بعضًا له؛ ولهذا إذا حُذف الحرف بقيت الحركة بحالها، ولو كان الحادث تمامًا للحركة لم تبق الحركة»[٤]، ونلاحظ هنا كيف أثر غياب رسم الألف من

---

(١) العكبري، اللباب، ١: ٦٢. وانظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب: ١: ٣٤.

(٢) العكبري، اللباب، ١: ٦٣.

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١: ٣٤.

(٤) العكبري، اللباب، ١: ٦٣.

الكتابة بالتوهم أنها حذفت، ولَمّا كانت الفتحة صوتيًّا تخلفها ظنّوا أنها غير الألف، والصواب أن الألف (الفتحة الطويلة) قصّرت أي عادت فتحة قصيرة، وإمعانًا في ترسيخ هذا المفهوم الموهوم عقب العكبري بقوله «ومن سمَّى الحركة بعض الحرف أو حرفًا صغيرًا فقد تجوّز؛ ولهذا لا يصحُّ النطق بالحركة وحدها»، ولعله يشير كما ذكر محقق اللباب إلى ما جاء في (الخصائص)، إذ قال «الحركة حرف صغير، ألا ترى أنَّ من متقدّمي القوم من كان يسمّي الضمة (الواو الصغيرة)، والكسرة (الياء الصغيرة)، والفتحة (الألف الصغيرة)، ويؤكد ذلك عندك أنَّك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفًا من جنسها»[١]، وابن جني على الرغم من هذه الملاحظة لم يفطن إلى أن الألف ليست مسبوقة بحركة، على الرغم من قوله في النص الآخر الذي نقله المحقق من سر صناعة الإعراب، قال «فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات، ومتنشّئة عنها، وأنّ الحركات أوائل لها، وأجزاء منها، وأنَّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمّة مشبعة»[٢]. ويبدو أن القول بتولد المدود من حركات مجانسة تلازمها، في وهمهم، أشكل فجاء الردّ في قول العكبري «والثاني لو قدَّرنا أنَّ الحركة بعض الحرف الحادث لم يمتنع أن يقارن الحرف الأوَّل كما أنَّه ينطق بالحرف المشدَّد حرفًا واحدًا وإن كانا حرفين في التحقيق إلاَّ أنَّ الأوَّل لَمَّا ضعف عن الثاني أمكن أن يصاحبه والحركة أضعف من الحرف الساكن فلم يمتنع أن يصاحب الحرف»[٣]. وواضح هنا أن الاحتجاج ناقض للمراد؛ فإن كان المشدد حرفين فهذا دليل على أن الحرف والألف حرفان، وأما مصاحبة الألف إيّاه فهي

---

(١) ابن جني، الخصائص، ٢: ٣١٥.
(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١: ٢٦.
(٣) العكبري، اللباب، ١: ٦٣.

مصاحبة الحركة إيّاه ولا تناقض بين المصاحبة والتوالي، ولولا الانفصال بين الحرف وحركته لما صح القول بالإعلال بالقلب أو التسكين أي تقديم الحركة على الحرف، كما في الفعل (يطْوُل) تتقدم الضمة فيصير (يَطُول)، ولما طرحت على لام التعريف وحذفت الهمزة في مثل (الأَحْمر) التي تصير (الَحْمَر).

والأمر البيّن أنّ الكتابة ذات أثر في هذا الجدل ما كان له أن يكون لو جسدت الحركات بحروف كما في اللغة الإنجليزية.

(إمّعة) ألها جذر ووزن؟

ورد لفظ (إمّعة) في بحث د. بدر بن محمد بن عبّاد الجابري، «ما لم يستقرّ في كلام العرب: تأصيل ودراسة عند ابن عصفور الإشبيلي» (مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٣٣، شوال ١٤٣٥هـ)، عرض فيه اللفظ تحت وزن (إفْعَلَة) ناقلًا نص ابن عصفور الذي يذهب فيه إلى أنّ الهمزة في (إمّعة) أصلية محتجًا بأنَّ القول بزيادتها يقتضي أن يكون الوزن (إفْعَلَة) وهو ليس من أوزان الصفات؛ ولأن نظيره على بناء (فِعَّلَة) دِنَّبَة، واحتج بأنّ ذلك يقتضي فتح الفاء والعين المتماثلين وهو قليل كما في (دَدَن).

ولَمّا كان الباحث مهتمًا بحشد ما لم يستقرّ في كلام العرب اهتم بتفصيل ما ورد عن هذا اللفظ في كتب النحويين والصرفيين ابتداءًا من سيبويه ليقول عن موقف التصريفيين واللغويين: «لم يقع خلاف بين التصريفيين، وكذا جمهرة اللغويين في وزن (إمّعة)، بل هم مجمعون على أنّ وزنها (فِعَّلَة)»[1].

---

(١) بدر بن محمد بن عبّاد الجابري، "ما لم يستقرّ في كلام العرب: تأصيل ودراسة عند ابن عصفور الإشبيلي" (مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام

وناقش الباحث قول ابن عصفور قائلًا: «يذهب ابن عصفور إلى أنَّ بناء (إفْعَلَة) لم يستقرّ في الصفات، وذلك بناء على القول بأنه وزن محتمل في (إمّعَة)، وهو عند الجمهور من المتقدمين والمتأخرين- على ما سبق بيانه- لم يرد في الصفات، وليس فقط لم يستقرّ»[١]، ويبدو أن الباحث لم يفهم مراد ابن عصفور، فهو لا يرى (إفْعَلَة) وزنًا محتملًا بل يراه ممتنعًا بآية ما أبداه من حجج، من أهمها أنه وزن لا تأتي عليه الصفات، ولم يفهم مراده من قوله (لم يستقرّ)، فظنّ أنه يعني أنه بمعنى قلق أو مضطرب، وليس هذا مراد ابن عصفور بل مراده أنّ الوزن لم يثبت، والفعل استقرّ يأتي بمعنى الفعل ثبت كما جاء في المصباح المنير «ثَبَتَ الشَّيْءُ يَثْبُتُ ثُبُوتًا دَامَ وَاسْتَقَرَّ»[٢]، ولذلك لا يختلف ابن عصفور عن غيره في ذلك.

وأما موقف الصرفيين واللغويين فموقف غريب جدًّا، لأنهم يعلمون أن اللفظ منحوت ابتداءًا، فهو من (إنّي مع ...)؛ ولذلك لا يمكن النظر إلى اللفظ كما ننظر إلى الأسماء المأخوذة من جذور؛ إذ جذر هذا اللفظ مصطفى من كلمتين أو أكثر؛ ولذلك ليس له أصل حسب المصطلح الصرفي المعبر عن الأصالة أو الزيادة، وهذا ما صرّح به ابن فارس في (مقاييس اللغة) في مدخل (أمع)، قال: «الهمزة والميم والعين، ليس بأصل، والذي جاء فيه (رجلٌ إمَّعَةٌ)، وهو الضعيف الرّأْي، القائلُ لكلِّ أحدٍ أنا معَك. قال ابنُ مسعود: (لا يكونَنَّ أَحَدُكم إمَّعَةً)»[٣]، ومع ذلك أردف بقوله: «والأصل (مع) والألف زائدة»، ولا أعلم لمَ جعل (مع) أصلًا

محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ع٣٣، شوال ١٤٣٥هـ)، ص ٢٢.

(١) الجابري، ما لم يستقر في كلام العرب، ص٢٣.

(٢) الفيومي، المصباح المنير، ٨٠.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١: ١٣٩.

والهمزة زائدة وثلاثة الأحرف اشتركت في أداء المعنى المحصل في الصفة (إمّعة) من غير تفاضل.

ولَمّا كان الأمر كذلك في هذا اللفظ المنحوت عوملت الأحرف المصطفاة للنحت معاملة الجذر؛ لأن اللفظ عومل معاملة اللفظ الواحد؛ ولذلك ناسب أن يُعدّ (إمّعة) على وزن فِعَّلة، جاء في معجم العين «ورجل إمَّعَة على تقدير فِعَّلة: يقول لكلٍ (أنا مَعَكَ)»[١]، ونراهم، وقد اعتدّوا أحرفه أصولًا، أخذوا منه الأفعال، جاء في العين «والفعل تَأَمَّعَ الرجُلُ واسْتَأْمَعَ. ويُقَالُ للَّذي يتردَّدُ في غير ما صَنْعَةٍ إمَّعَة، وفي الحديث: اغْدُ عالِمًا أو مُتَعَلِّمًا ولا تَغْدُ إمَّعَةً»[٢]، وهذا يعني أنه لفظ وافق بنحته هذا النحت ما يمكن أن يكون قد وضع في اللغة وضعًا على هذا البناء، وهو يشبه الألفاظ الدخيلة التي تصاغ بما يوافق وزنًا عربيًّا مثل (دِرْهَم) على (فِعْلَل)، وقريب من هذا ما عقد له ابن حني بابًا في الخصائص، هو (باب في تدريج اللغة)، قال «ومن التدريج في اللغة قولهم ديمة ودِيَمَ واستمرار القلب في العين للكسرة قبلها ثم تجاوزوا ذلك لَمّا كثر وشاع إلى أن قالوا دَيَّمَتِ السماء»[٣].

ننتهي من ذلك إلى أنّ (إمّعة) ليس لها جذر في الأصل ولا وزن، ولكنهم عاملوها معاملة ما له جذر ووزن.

بنات جمع بنت أم ابنة

استعمل (بنات) في لغة العرب استعمال جمع المؤنث السالم وليس جمع تكسير كجمع (بيت) على أبيات، فأبيات جمع تكسير

---

(١) الخليل، العين، ٢: ٢٦٨.
(٢) الخليل، العين، ٢: ٢٦٨.
(٣) ابن جني، الخصائص، ١: ٣٥٥.

لبيت، وأما بنات فجمع سلامة؛ ولذلك نصب بالكسرة، ومن شواهد ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

وَتَرَى لَها دَلًّا إذا نَطَقَتْ

تَرَكَتْ بَناتِ فُؤادِهِ صُعْرا[١]

وقول كثيّر عزة:

نُجِدُّ لكَ القَولَ الحليَّ ونَمْتطي

إليكَ بَناتِ الصَّيْعَرِيِّ وشَدْقَمِ

وقول جرير:

وهمْ جروا بناتِ أبيكَ غصبًا

وَمَا تَرَكُوا لجَارِكَ مِنْ ذِمَامِ

الشائع في كتب النحو أن (بنات) جمع سلامة لبنت، قال أبوالبقاء العكبري «فإنْ جمعتَ بِنْتًا قلت بَناتٍ، فحذفت لَام الْكَلِمَة الَّتِي أبدلت فِي الواحدِ تَاء، فوزنُها الْآن فَعَات وإنْ جمعتَ أُخْتًا قلتَ أخَواتٍ، فَلم تَحْذفِ اللاَّمَ، والفرقَ بَينهمَا أنَّ كلَّ واحدٍ مِنْهُمَا بُنِي على مُذَكّره، فمذكَّر بَنَات فِي الْجمع بنُون، فلامُه محذوفة، كَذَلِك مؤنَّثِه، وَالْجمع فِي أَخ إخْوَة من غير حذف كَذَلِك مؤنَّثه»[٢].

والمتأمل للواحد المختوم بتاء التأنيث وجمعه بألف وتاء يلاحظ أن الجمع تولد من الواحد بمطل الفتحة قبل تاء التأنيث، مثل: عاملَةٌ> عاملاتٌ؛ فالفتحة القصيرة من (عاملة) صارت

(١) صُعر جمع صعراء أي مائلة إلى ناحية.
(٢) العكبري، اللباب، ٢: ٣٣٨.

فتحة طويلة في (عاملات)؛ ولذلك فالقياس أن يكون (بنات) جمعًا للمفرد (ابنَة) كما كان (بنون) جمع سلامة للواحد (ابن)، ومما يعضد ذلك أن النون من (ابنَة) مفتوحة، وأما النون من (بنْت) فساكنة، ومثل بنات أخوات وهو عندي ليس جمع (أخت) بل جمع أصل مهمل هو مؤنث (أَخَوٌ) أي (أَخَوَةٌ)، ويكون جمعه بمطل فتحة الواو فيتحصل لدينا (أَخَوات).

وليس القول بأنه جمع للأصل بجديد؛ إذ هو قول الرضي «وتقول في جمع بنت، وابنة: بنات، وهي جمع لأصلها، لأن الأصل: بَنَوَة، كما أن بنون جمع أصل ابن، أي بَنَو، على حذف اللام نسيًا في الجمعين، وكذا أخوات جمع أصل أخت، أي أخَوَة بغير حذف اللام، وأَخُون جمع أخ على حذف اللام نسيًا»(١). وأنا أوافق الرضي في الجمع أخوات أما بنات فلست أراها سوى جمع (ابنة) على النحو الذي بينته سابقًا.

وقد يقال ألا يكون جمع بنت بنتات وجمع أخت أختات، وهذا ما أجاب عنه ابن مالك، قال «وكان حق بنْت وأخْت أن يقال فيهما بِنْتات وأُخْتات؛ لأن تاءهما قد غُيِّرت لأجلها البنية، وسكن ما قبلها، فأشبهت تاء مَلَكوت، ولأجل ذلك جمع يونس بينها وبين ياء النسب فقال: بِنتيّ وأُخْتِيّ، لكنه وافق ههنا على الامتناع من بنتات وأختات؛ لأن تاء بنت وأخت وإن خالف لحاقهما لحاق تاء التأنيث، فهي مخصوصة ببنية لا يراد بها إلا مؤنث، ولفظها كلفظ المستقلة بالدلالة على التأنيث، فكان اجتماعها مع تاء الجمع أثقل من اجتماعها مع ياء النسب، فلذلك اتفق على حذفها في الجمع، واستغنوا عن أبنات ببنات، كما استغنوا عن أبنين ببنين»(٢)، وقد يوهم قول ابن مالك بأن أصل (بنات) هو بنتات ثم حذفت التاء

(١) رضي الدين الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، ٣: ٣٩١.
(٢) ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، ١: ٩٨.

نسيًا وهذا متوقف فيه؛ لأنه لا يفسر تحول النون إلى الفتح في بَنات بعد كسرها في بِنتات، وقد يقال فإن النون في الواحد (ابْنة) ساكنة فكيف تحولت إلى الفتح؟ والجواب أن الاسم بدأ بساكن وسبيل النطق به هو إدخال همزة الوصل أو إقحام حركة بعد الساكن، وهذا ما جلب الفتحة وهي أخف من الإبقاء على همزة الوصل، الذي حذفت أيضًا من ابن وعدل إلى فتح الباء حين جمع بواو ونون (بَنون) وهو استغناء ذكره ابن مالك في النص الذي ورد سابقًا. وقد يسأل الآن ما جمع (بنت) إذن؟ والجواب أنه لا جمع لها من لفظها؛ إذ بنات ليس جمعًا لبنت بل لابنة، واستغني بجمع ابنة عن جمع بنت.

تأثير أحرف الحلق

ذكر سيبويه أحرف الحلق الستة (الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء)، وذكر من المحدثين إبراهيم أنيس أنّ هذه الأصوات الستة هي أصوات الحلق، وأنها تميزت بها اللغات السامية[١]، ولم يعدّ القدماء القاف التي يقرأ بها اليوم منها؛ لأنهم تحدثوا عن قاف هي ما نسمعها في بعض عاميات الجزيرة وصعيد مصر، وهي ما تطابق الجيم القاهرية نطقًا[٢]، وهذه القاف طبقية مجهورة لا لهوية مهموسة.

ولهذه الأصوات الستة تأثير ملحوظ بيّنه علماء العربية القدماء، ومنه ما يلحظ في اللهجات المعاصرة أيضًا، ومن ذلك ما يلاحظ في هذه الظواهر:

---

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٧٤.
(٢) انظر: كمال بشر، الأصوات اللغوية، ٢: ٢٧٦.

١-أنّ النون الساكنة لا تدغم فيها ولا تخفى بل تظهر؛ لبعد مخرجها عن تلك الأصوات الستة، قال تعالى ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة-٦٧]، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[الحجرات-١٧]،﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأنعام-١٥]، ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة-١٩٩]، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور-٣٥]، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[البقرة-٧٤].

٢-أنّ (لام التعريف) لا تدغم فيها، فتظل قمرية (الأحد، الهرم، العمل، الحمد، الغسق، الخرج).

٣-أن «كل ما كان على وزن فَعِل من الأسماء والأفعال وثانيه حرف من حروف الحلق ففيه أربعة أوجه: أحدها استعماله على أصله كقولك فَخِد وقد ضَحِك، والثاني إسكان عينه تخفيفًا كقولك: فَخْد وقد ضَحْك، والثالث: إتباع فائه عينَه في الكسر كقولك: فِخِذ وقد ضِحِك، والرابع: كسر فائه وإسكان عينه لنقل كسرتها إلى الفاء، نحو قولك: فِخْذ وقد ضِحْك، فكذلك نِعْم فيها أربع لغات: نَعِم بفتح النون وكسر العين، وهو الأصل، ونَعْم، بفتح النون وسكون العين، ونِعِم، بكسر النون والعين، ونِعْم، بكسر النون وسكون العين»[1].

٤-أنَّ الأفعال الثلاثية المجردة تفتح العين من ماضيها ومضارعها إنْ كانت العين أو اللام من أحرف الحلق، قال ابن السراج في باب فعَل يفعَل من حروف الحلق: «اعلَمْ: أَنَّ يَفْعَلُ إِذَا قلتَ فيهنَ: فَعَلَ يَفْعَلُ مفتوحُ العينِ، وذلَكَ كانتِ الهمزةُ أَو الهاءُ

---

(١) الأنباري، أسرار العربية، ١٠٢- ١٠٣.

أَو العينُ أَو الغينُ أَو الحاءُ أَو الخاءُ (لامًا) أَو (عينًا) نحو: قَرَأَ يَقْرَأُ، وَجَبَهُ يَجبَهُ، وقَلَعَ يَقْلَعُ، وذَبَحَ يَذْبَحُ، ونَسَخَ يَنْسَخُ. وهَذا ما كانتْ فيهِ لاماتٌ، وأَما ما كانت فيهِ عيناتٌ فَهْوَ كقولِكَ: سَأَلَ يَسْأَلُ، وذَهَب يَذْهَبُ، وبَعَثَ يَبْعَثُ، ونَحَلَ يَنْحَلُ، ونَحَرَ يَنْحَرُ، وَمغَثَ يَمْغَثُ، وذَخَرَ يَذْخَرُ»[١]، فكل أفعال هذا الباب عينها أو لامها حرف حلق، ولا يعني هذا أنّ هذه الأفعال لا تأتي من أبواب أخرى بل الأصل أن تأتي من أبواب أخرى، قال ابن السراج «وقَدْ جاؤوا بأَشياءَ منهُ علَى الأصلِ قالوا: بَرَأَ يَبْرُؤُ كمَا قالوا: قَتَلَ يَقْتُلُ، وهَنَأَ يَهنِئُ كَضرَبَ يَضْرِبُ... وقالوا: نَزَعَ يَنْزِعُ وَرَجَعَ يَرْجِعُ ونَضَحَ يَنْضِحُ ونَطَحَ يَنْطِحِ وَرشَحَ يَرْشِحُ وجَنَحَ يَجْنِحُ ... وقالوا: صَلَحَ يَصْلُحُ وَفَرَغَ يَفْرُغُ وصَبَغَ يَصْبُغُ ومَضَغَ يَمْضُغُ ونَفَخَ يَنْفُخُ وطَبَخَ يَطْبُخُ ومَرَخَ يَمْرُخُ»[٢]، وأما ما جاء مفتوح العين من سوى الأفعال التي عينها أو لامها حلقيٌّ فهو من تداخل اللغات، قال ابن جني: «ولكن قد جاء له نظير؛ أعني قولنا : هلَك يهلَك، فعَل يفعَل، وهو ما حكاه صاحب الكتاب من قولنا: أَبى يأبَى، وحكى غيره: قنَط يقنَط، وسلَا يسلَى، وجبا الماء يجبَاه، وركَن يركَن، وقلا يقلَى، وغسا الليل يغسَى. وكان أبو بكر يذهب في هذا إلى أنها لغات تداخلت؛ وذلك أنه قد يقال: قنَط وقنِط، وركَن وركِن، وسلَا وسلِي، فتداخلت مضارعاتها، وأيضًا فإن في آخرها ألفًا، وهي ألف سلا وقلا وغسا وأبى؛ فضارعت الهمزة نحو: قرأ وهدأ»[٣].

٥-أن الأسماء والصفات على (فَعِيل) تكسر فاؤها في لغة تميم، قال ابن السراج «وفي (فَعيلٍ) لُغتانِ: فَعِيلٌ وفِعِيلٌ، وتكسرُ

---

(١) ابن السراج، الأصول في النحو، ٣: ١٠٢.

(٢) ابن السراج، الأصول في النحو ٣: ١٠٢.

(٣) ابن جني، المحتسب، ١: ١٢٠.

الفاءُ في هذَا البابِ في لغةِ تَميمٍ نحو: سِعِيدٍ، ورِغيفٍ، وَبِخِيلٍ، وَبِيئِسٍ، وأَمَّا أَهلُ الحجازِ فيجرونَ جميعَ هَذا على القياس»[١].

٦-أن همزة الوصف (أَفْعَل)، في بعض لهجات الجزيرة، قد تحذف فتتحرك اللام (الْأَسْمَر> الَسْمر)؛ غير أنه يستثنى من هذه القاعدة ما كانت فاؤه حرف حلق إذ تحذف الهمزة؛ ولكن تحرك الفاء بالفتحة بعد قلب مكاني بينهما (الْأَحْمر> الْحَمر، الْأَخْضر> الْخَضر، الْأَغْبر> الْغَبر، الْأَعْرج> الْعَرج، الْأَهْدل> الْهَدل)، وهذا مشروط بكون العين واللّام غير مدغمين؛ إذ تطبق القاعدة الأولى (الْأَحَرّ> الَحَرّ، الْأَخَصّ> الَخَصّ، والْأَهَمّ> الَهَمّ، الْأَعمّ> الَعَمّ، الْأَغرّ> الَغَرّ)، ولولا ذلك لالتبس بما هو معرف من الأسماء على بناء فَعْل (الحَرّ، الخَصّ، الهَمّ، العَمّ، الغَرّ).

٧-أنَّ اسم المفعول من الثلاثي (مَفْعول)، في بعض لهجات الجزيرة المعاصرة، تسكن الميم منه وتفتح الفاء إن كانت من أحرف الحلق: (مَهْجور> مْهَجور، مَعْروف> مْعَروف، مَحْروم> مْحَروم، مَغْسول> مْغَسول، مَخْدوم> مْخَدوم)؛ ولذلك تُدخل بعض اللهجات همزة الوصل: امْهجور، امْعروف، امْحروم، امْغسول، امْخدوم. وأما إن كانت الفاء همزة فالغالب أن يتخلص منها بالحذف ومطل الفتحة تعويضًا: مَأْمور> مامور.

٨-أنَّ حرف المضارعة من الثلاثي يسكن بنقل فتحته إلى الفاء، في استعمال بعض لهجات الجزيرة، إن كانت الفاء منه حرفًا حلقيًّا: (يَهْدر> يْهَدر، يَعْرف> يْعَرف، يَحْلف> يْحَلف، يَغْسل> يْغَسل، يَخْرج> يْخَرج)، ولذا يدخل بعضهم همزة الوصل (ايْهدر، ايْعرف، ايْحلف، ايْغَسل، ايْخرج)، أما إن كانت الفاء همزة فتحذف وتمطل الفتحة تعويضًا (يَأمر> يامِر).

---

(١) ابن السراج، الأصول في النحو، ٣: ١٠٢.

التصريف على غير قياس

أيجمع الواحد جمع تكسير أو يصغر أو ينسب على غير قياس؟ ظاهر ما نجده في تراثنا التعبير عن ذلك، ومثاله جمع باطل على أباطيل، قال كعب بن زهير:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا

وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ

قال الجوهري «الباطِلُ: ضدّ الحق، والجمع أَباطيلُ على غير قياس»[١]. وقال سيبويه ممثلًا لما جمع على غير ما يكون جمعًا له «ومن ذلك باطلٌ وأباطيلُ؛ لأنَّ ذا ليس بناء باطلٍ ونحوه إذا كسّرته، فكأنَّه كُسِّرتْ عليه إبطيل وإبطال»[٢]، وقال ابن خالويه «وفاعِل وأفاعِل وأفاعيل، باطِل وأباطِل وأباطيل، ويكون أباطيل جمع أُبْطُولة»[٣]، قال الليث «وجمعُ الْبَاطِل بواطل وأباطيل جمع أبطولة»[٤]. إذن جمع (باطل) القياسيّ هو بَواطِل؛ ولكنّ العرب تستعمل إذا أرادت الجمع (أباطيل) الذي هو جمع إبطيل أو إبطال أو أبطولة.

ومثال التصغير تصغير أصيل على أُصَيْلان، قولُ النابغةَ:

وقَفتُ فيها أُصَيْلانًا أُسائِلُها

عَيَّتْ جَوابًا ومَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ[٥]

---

(١) الجوهري، الصحاح، (بدو).
(٢) سيبويه، الكتب، ٣: ٦١٦.
(٣) ابن خالويه، ليس في كلام العرب، ص٣٣٢.
(٤) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ١٣: ٢٤٠.
(٥) سيبويه، الكتاب، ٢: ٣٢١.

قال ابن جني «وَقد شَذَّ شَيْء من التحقير لَا يُقَاس عَلَيْهِ قَالُوا فِي عَشِيَّة عُشَيْشِيَة وَفِي مغرب مُغَيْرِبان وَفِي إِنْسَان أنيسيان وَفِي الْأَصِيل أُصَيْلان»[١]. وقال الزجاجي «إلا أَنَّ أُصَيلانًا جَمعُ أَصِيل كأَنه قيل أَصِيلٌ وأُصُلٌ، وجُمِعَ أُصُلٌ فقيلَ أُصْلانٌ كما قِيلَ في جَمْعِ كُثُب: كُثْبانٌ؛ فأُصْلانٌ جمعُ الجَمْعِ ثم صُغِّرَ أُصْلانٌ فقِيلَ أُصَيْلان»[٢].

ومثال النسب ما ذكره ابن يعيش، قال «فمن ذلك قولهم في النسبة إلى البادِيَة: (بَدَوِيّ)، والقياس: (بادِيّ) أو (بادَوِيّ) على حدّ (قاضٍ)، و(قاضِيَةٍ)، و(غازٍ)، و(غازيةٍ)، كأنهم بنوا من لفظه اسمًا على (فَعَلٍ) حملوه على ضدّه، وهو الحَضَرُ، فقالوا: (بَدَوِيّ) كما قالوا: (حَضَرِيّ)»[٣].

فهل نقول إنّهم صرّفوا على غير قياس؟ لعلنا لا نقول ذلك بل نقول إنّهم توسعوا في استعمالهم قياسًا في موضع قياس على سبيل الاستغناء بالشيء عن غيره، فهم استغنوا حين أرادوا جمع باطل بالجمع أباطيل عن بَواطِل، واستغنوا حين أرادوا تصغير أصيل بمصغر جمع جمعه أُصَيْلان، واستغنوا حين أرادوا النسب إلى بادية بالنسب إلى بدْو، وهو في الأصل مصدر[٤].

---

(١) ابن جني، اللمع، ص ٢١٩.

(٢) الزجاجي، اللامات، ص١٤٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣: ٤٧٥.

(٤) جاء في (معجم العين) «بَدَا الشيءُ يَبْدُو بَدْوًا وبُدُوًّا أي ظهر. وبَدَأني فلان بكذا. وبَدا له في هذا الأمر بداءً وبَدْوًا. والبادية اسْمٌ للأرض التي لا حَضَرَ فيها أي لا مَحَلَّةَ فيها دائمة، فإذا خَرَجُوا من الحَضَر إلى المراعي والصّحارَى قيل: بَدَوا بَدْوًا. ويقال: أهل البَدْوِ وأهلُ الحَضَر». وجاء في (تفسير الطبري، ١٦: ٢٧٦) «و(الْبَدْوُ) مصدر من قول القائل: (بدا فلان): إذا صار بالبادية، (يَبْدُو بَدْوًا)».

(شرعن) وأمثاله

من أشهر مقولات أصول النحو ما نقله ابن جني عن المازني صاحب كتاب التصريف الذي عرف من طريق شرح ابن جني (المنصف)، وهو قوله «وكان الخليل وسيبويه يأبيان ذلك ويقولان: ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم»[١]، وعرف عن العرب أنهم اشتقوا من أسماء الأعيان فقالوا: استنسر البغاث أي صار كالنسر واستنوق الجمل أي صار كالناقة، ومن الأسماء والصفات التي زيدت فيها النون (ضيْفنٌ) أي ضيف الضيف، «وقد جاء على فَعْلَنٍ ما أذكره: قالوا: (امرأة خَلْبَن) وهو من الخلابة، و(ناقة عَلْجَن) وهي الغليظة، مأخوذة من العِلْج... وحكى سيبويه: في خُلُق فلان (خِلَفْنَة) وهو من الاختلاف، والنون في هذا كله زائدة. ومثله (عِرَضْنَة) وهي من الاعتراض»[٢].

وقد اجتمع من ذلك طائفة صالحة[٣] أجاءت مجمع اللغة العربية إلى إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان[٤]، فجذور الاسم من (نسر) و(ناقة) جعلت جذور فعل في استنسر واستنوق.

استعمل المحدثون نحوًا من ذلك حين قالوا: شرعن يشرعن شرعنة، كما في هذا الخبر «وفاة القاضي الإسرائيلي (ليفي) الذي شرعن الاحتلال»[٥]. وقول إبراهيم التركي «ولتبقى السيرة

---

(١) ابن جني، المنصف، ١: ١٨٠.
(٢) ابن جني، المنصف، ١: ١٦٨.
(٣) انظر: عبدالله أمين، الاشتقاق، ص ٢٣-١٢٤.
(٤) عباس حسن، النحو الوافي، ٢: ٥٩٩.
(٥) http://www.alquds.com/news/article/view/id/493233

الذاتية مشروع أمانة وشرعنة قيمة»[١]، ومثل ذلك استعمالهم الفعل، صنّم يصنِّم تصنيمًا، قال إبراهيم التركي «لن نجنيَ شيئًا من خَطابيّة (تحطيم) المنتَج أو (تصنيمه)»[٢]، وقالوا (مأسس يمأسس مأسسة)، كما ورد في قول عبد الوهاب بدرخان «وفي لبنان، حيث اعتُمد دستور يمأسس الطائفية ويجعل المكانة الخاصة للمسيحيين في النظام بمثابة ميثاق وطني»[٣]، وقول إبراهيم التركي «ولكنه يدين له بفضل التأصيل المعرفي لمادةٍ لم تتهيأْ، ربما حتى اليوم، لمأسسةِ مرتكزاتها النظرية»[٤]. ومن ذلك قول إبراهيم التركي «ويبقى حريًّا بالباحث المنصف أن يقترب من الحقّ فيشخّص القضايا ولا يشخصنها»[٥].

إذا تأملنا استعمال المحدثين للأفعال (شرْعَنَ) و(صنّم) و(مأْسَسَ)، و(شخصن)، نجد أنهم اشتقوهما من (شرع) ومن (صنَم)، ومن (مؤسسة)، ومن (شخص)، وشرع منقول من المصدر للدلالة على جملة القواعد والأنظمة المتعلقة بمصالح الناس وتعاملهم، وصنّم اسم عين، ومؤسسة منقول من اسم المفعول للدلالة على منظومة إدارية تنجز ما هيئت له وكلفته، فشرع ومؤسسة صارا بهذا اسمين من أسماء الأعيان مثل صنَم، ثم إن المحدثين تلطفوا في صوغ أفعال منها تلبي دلالة لا تفي أصولهما بالوفاء به، فالشرع من شرع وضع القاعدة أو النظام، أما شرعن الشيء فهو وصف الشيء بالشرعيّة، وأما صنّم فجعل

---

(١) إبراهيم بن عبدالرحمن التركي، سيرة كرسي ثقافي، ص١٥.
(٢) إبراهيم التركي، فواصل في مأزق الثقافة العربية، ص٣٢.
(٣) http://www.alhayat.com/Opinion/Abdulwahaab-badrakhan
(٤) إبراهيم التركي، سيرة كرسي ثقافي، ص٣٠.
(٥) إبراهيم التركي، سيرة كرسي ثقافي، ص٤٢.

الشيء والأمر والشخص جامدًا معكوفًا عليه كالصنم، وكذا الفعل (مأسس الأمر) هو جعله متصفًا بصفات المؤسسة وشروطها وبراءته من الفردية، وأما (شخصن) فمن اسم جامد هو (شخص)، ويتضح بجلاء اختلاف معنى الفعلين من جذر واحد (شخّص) و(شخصن)؛ إذ زيد أحدهما زيادة مطردة وزيد الآخر زيادة غير مطردة، فالتشخيص بيان للقضايا أنفسها بما يجعلها شاخصة ظاهرة، وأما شخصنتها فترك القضايا والانصراف إلى الأشخاص ذوي العلاقة بها، وأوضح أمثلة ذلك نقد رواية أو قصيدة فإن كان موجهًا لموضوعها ونصّها وفاق معايير تعامل به كما تعامل به أعمال أخرى فهذا تشخيص، وأما إن كان النقد موجًا لكاتبها للحط من شأنه أو ذمّه فتلك شخصنة، ومن الشخصنة أن يكون المبدع هو الدافع للنقد لا الإبداع نفسه، ومنه أن تساق القضايا مراعى فيها الشخص لا الموضوع. فالتشخيص عمل موضوعي والشخصنة عمل غير موضوعي.

وطريقة الاشتقاق هي زيادة أحرف على جذر الفعل أو الاسم، وعرفنا في العربية طريقتين لهذه الزيادة، إحداهما مطردة وغرضها اشتقاقي، وهي ما يكون للحرف الزائد موضع خاص في بنية اللفظ وله دلالة بنائية تزيد عن دلالة الجذر المعجمية، مثل دلالة الألف على اسم الفاعل في قائم وقاعد وقادم، والأخرى غير مطردة وغرضها إلحاقي أي إنها تُلحق اللفظ ذا الجذر الثلاثي بما هو ذو جذر رباعي، فالجذر (ب/ط/ر) يكون بزيادة الياء رباعيًّا (ب/ي/ط/ر)، وليس المزيد في الملحقات صوتًا ثابتًا، وليس له موضع ثابت؛ فقد يكون قبل الفاء أو بعدها أو بعد العين أو بعد اللام، والدلالة التي تهبها هذه الزيادة خاصة باللفظ تجعل

له دلالة معجمية تفارق أصله؛ فلا تكون فرعًا على دلالة الأصل كما في الزيادات المطردة (غير الإلحاقية). فالمحدثون الذين ولدوا (شرعن) و(مأسس) أعملوا طريقة صرفية معروفة، فلم يخالفوا بذلك بنية صرفية، فالفعلان هما من حيث البناء على (فَعْلَلَ) ومن حيث الوزن الكاشف عن الأصل والزائد هما (فَعْلَنَ) و(مَفْعَلَ). وكذا (صنّم) فعل على بناء فَعَّلَ ووزنه.

ننتهي إلى أنه لا حجة لمن ينكر على المحدثين توليد (شرعن) وأمثاله؛ إذ هو توليد دعت الحاجة الدلالية إليه ولم يعاند قاعدة صرفية، ومن العجب أن نستوعب من الدخيل ما تمجّه الذائقة وتقتحمه العين ثم نتوقف في توليد لفظ من جذر عربي بقياس مُتْلَئِبّ.

الصفة المشبهة باسم المفعول

لا أعلم أنّ أحدًا استعمل مصطلحًا بهذا اللفظ في التراث؛ ولكني أردت وضعه ليكون مقابلًا لمصطلح (الصفة المشبهة باسم الفاعل) في الصفات على أفْعَل: فَعْلاء، مثل أَبْيَض: بَيْضاء، وعلى فَعْلى: فَعْلان، مثل غَضبى غَضْبان، وغيرهما مما هو مذكور في كتب النحو والصرف.

نجد في تراثنا أنّهم يذكرون صفات وينصّون على أنها بمعنى مفعول، ومن هذه الصفات ما جاء على الأبنية الآتية:

١-بناء (فَعيل) الذي يجيء عليه صفات كثيرة مما هو مشبه باسم الفاعل، مثل: كبير وصغير وجميل وصحيح وغيرها، وقد تأتي الصفات على (فَعيل) دالة على المبالغة في الفاعلية مثل (عليم، وسميع)، وأمّا (فَعِيل) بمعنى المفعول فمن أمثلته: قَتِيل بمعنى مَقْتُول، وجَرِيح بمعنى مَجروح، ومَنيع بمعنى ممنوع،

وأسير بمعنى مأسور، ونَطِيح بمعنى منطوح، ومَذِيق بمعنى مَمْذُوق، وأَجِير بمعنى مَأْجور، وحليب بمعنى مَحْلُوب، ونَبِيذ بمعنى مَنْبُوذ، وطبيخ بمعنى مطبوخ، ومخيض بمعنى ممخوض، وفصيل بمعنى مفصول، ورجيم بمعنى مرجوم، وحميد بمعنى محمود، وخسيف بمعنى مخسوف. فكل هذه الصفات التي جاءت بمعنى مفعول يمكن أن نقول عنها إنها صفات مشبهة باسم المفعول، فالوصف (مقتول) اسم مفعول، والوصف (قَتِيل) صفة مشبهة باسم المفعول؛ ولذلك تعمل عمل اسم المفعول أي ترفع نائب الفاعل، فكما تقول: هذا رجلٌ مجروحٌ أخوه، تقول: هذا رجلٌ جريحٌ أخوه. قال ابن عقيل «وزعم المصنف [ابن مالك] في التسهيل أن فعيلًا ينوب عن مفعول في الدلالة على معناه لا في العمل، فعلى هذا لا تقول: مررت برجل جريح عبدُه، فترفع (عبدُه) بجريح، وقد صرّح غيره بجواز هذه المسألة»(١)، قال ابن عصفور «واسم المفعول وما كان من الصفات بمعناه حكمه بالنظر إلى ما يطلبه من المعمولات حكم الفعل المبني للمفعول»(٢). قال ابن عقيل «فعلى هذا يجوز: مررت برجل جريح أبوه، ويحتاج إلى سماع»(٣). ولا أعلم سرّ مذهب ابن مالك، ولا اشتراط ابن عقيل السماع، فهذا وصف ولذلك وجب أن يعمل عمل ما جرى عليه من الفعل، فجريح إن كان نعتًا حقيقيًّا لرجل رفع ضميرًا، وإن كان نعتًا للسببي رفع اسمًا ظاهرًا (أبوه).

٢-بناء (فَعُول) فهي تدل على الفاعل مثل (وَقُور) أو المبالغة في الفاعلية مثل (ظَلُوم)، وهي تأتي للدلالة على المفعول أيضًا، مثل: بعير ركوب، أي: مركوب، وناقة حلوب أي محلوبة،

---

(١) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٣: ١٣٩.

(٢) ابن عصفور، المقرب، ص٨١.

(٣) ابن عقيل، المساعد شرح تسهيل الفوائد، ٢: ٢٠٩.

وحصور بمعنى محصور، وقَدُوع بمعنى مقدوع (أي مضروب)، وجزور أي مجزور، وأمون بمعنى مأمون، وناقة عضوب، أي معضوبة الفخذ عند الحلب لتدر، كتاب زبور أي مزبور (مكتوب)، وجلوب بمعنى مجلوب، وطرود بمعنى مطرود، رغوث أي مرغوثة (مرضوعة)، وسلوب أي مسلوب، و«الخَلوج، من النّوق: الّتي اخْتُلج عنها. ولدُها فقلَّ لبنُها»(١)، والدفوع بمعنى المدفوع، والرسول بمعنى المرسل، «والقَتوبَةُ، من الإبلِ: الّتي تُقْتِبُها بالقَتَبِ»(٢)، والقتب كالسرج للحصان، ويستعمل في نجد للبقر. «فَرَسُ قَؤودٌ: الذي يَنْقادُ»(٣)، فهو بمعنى مَقُود.

٣-بناء (فِعْل)، من أمثلة ذلك: «وبِسْط: بِمَعْنى مبسوطة، كالطِّحن بِمَعْنى المطحون، والقِطْف بِمَعْنى الْمَقْطوف»(٤)، «والظِّئرُ فِعْلٌ بِمَعْنى مفعول»(٥).

٤- بناء (فُعُل)، جاء في ديوان الأدب: «وبمَعْنَى مَفْعُول في بعض الكلام، نحو قولك: باب غُلُق، وقارُورة فُتُح»(٦)، وفي الصحاح: «وباب غُلُق، أي مغلق، وهو فُعُلٌ بمعنى مَفْعولٍ، مثل قارورةٍ فُتُحٍ، وجذعٍ قُطُلٍ»(٧).

٥- بناء (فَعَل)، جاء في ديوان الأدب «ويُقالُ: لِيَكُن عَمَلُك بحَسَبِ كَذا، أي: بقَدْرِه، وهو فَعَلٌ بمَعْنى مفعولٍ، كما يُقال: نَفَضٌ

---

(١) الفارابي، ديوان الأدب، ١: ٣٨٨.
(٢) الفارابي، ديوان الأدب، ١: ٣٩٧.
(٣) الفارابي، ديوان الأدب، ٣: ٣٦٩ .
(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٢: ٢٤٢.
(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٤: ٢٨٤.
(٦) الفارابي، ديوان الأدب ١: ٨١.
(٧) الجوهري، الصحاح ٤: ١٥٣٨.

بمعنى مَنفوضٍ»[(١)]، وفي الصحاح: «والنَقَذُ بالتحريك: ما أَنْقَذْتَهُ، هو فَعَلٌ بمعنى مفعول»[(٢)]، و«كالقبض بمعنى المقبوض»[(٣)].

٦- بناء (فاعِل)، جاء في تهذيب اللغة: «وَقيل سميت النَّاقة عائذًا لِأَن وَلَدهَا يعوذ بهَا، فَهِيَ فَاعل بِمَعْنى مفعول»[(٤)]. وجاء: «وَفِي الحَدِيث (لَا رَأْي لحَازِقٍ) وَقيل: هُوَ الَّذِي ضاقَ عَلَيْهِ موضعُ قدمه مِنْ خفِّه فحزَقَها كَأَنَّهُ فاعلٌ بِمعنَى مَفْعُول»[(٥)]، وجاء: «سُمِّي ساحِلا: لِأَن الْمَاء يَسْحَلُه أَي يَقْشِرُه إِذا عَلاَهُ فَهُوَ فاعِلٌ مَعْنَاهُ مفْعُول»[(٦)]، وجاء في غريب الحديث: «الواطِئَة هي سُقاطةُ التَمْر وما يَقَع منه بالأرضِ فيُوطأُ ويُداس جاء بلْفظ فاعِل وهو بمعنى مَفْعول كقولِه: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود-٤٣]. أي لا مَعْصُومَ وكَقَوله: ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة-٢١]. أي مَرْضيّة. والعربُ تَقُولُ: ماءٌ دَافِقٌ أي مَدْفُوقٌ وسِرٌّ كاتمٌ أي مَكْتُومٌ ولَيلٌ نائِمٌ أي يُنَامُ فيه»[(٧)].

كل هذه الألفاظ التي جاءت على تلك الأبنية هي في حقيقة استعمالها صفات مشبهة باسم المفعول، فحق لنا أن نجعل لها مصطلحًا تعرف به.

---

(١) الفارابي، ديوان الأدب، ١: ٢٠٣.
(٢) الجوهري، الصحاح، ٢: ٥٧٢.
(٣) الجوهري، الصحاح، ٣: ١١٠٩.
(٤) الأزهري، تهذيب اللغة ٣: ٩٤.
(٥) الأزهري، تهذيب اللغة ٤: ١٩.
(٦) الأزهري، تهذيب اللغة، ٤: ١٧٩.
(٧) الخطابي، غريب الحديث ، ١: ٤٣٠.

كينونة فَيْلولَة أم فَعْلولة

لأبنية المعتل ما ليس للصحيح، قال سيبويه «لأنهم قد يخصون المعتل بالبناء لا يخصون به غيره من غير المعتل»[(١)]، من ذلك مصدر الفعل الأجوف، فما كانت عينه ياءً مثل سار وصار وطار وبان يقال فيهن: سيرورة وصيرورة وطيرورة وبينونة، وليس كذلك ما كانت عينه واوًا، مثل قال ونام وعام وطال، سوى مصادر سمعت منهم وهي: كيْنونة، وديْمومة، وحيْلولة، وقيْدودة، وهيْعوعة[(٢)]. واختلف البصريون والكوفيون في تفسير الياء، فذهب البصريون إلى أنّ بنية المصدر هي فَيْعَلولة، مثل: سَيَّرورة، وخُفّفت بحذف العين فصارت سيْرورة على وزن فَيْلولَة، ولم يذهبوا إلى حذف الياء المزيدة؛ لأنّ ذلك يضيع علة تفسير ذوات الواو، إذ يذهبون إلى أن مصدر(كان) جاء على البنية المفترضة كَيْوَنونَة ثم أدغمت الواو في الياء؛ لأن أولاهما ساكنة، فصارت: كيَّنونَة، وحُذفت العين فصارت كيْنُونَة علي وزن (فَيْلُولَة)، وأمّا الكوفيون فالبناء عندهم في أصله (فُعْلُولَة)، وهو من أبنية العربية؛ ولكنّ العرب فتحوا الفاء لتصح الياء فقالوا: سَيْرُورَة، وأمّا كَيْنونة وأخواتها فقيست على ذوات الياء، أي جعلت الواو فيها ياءً، وليس مذهبهم ببعيد فهو أمر يشبه بناء (قال) للمفعول كما يبنى (باع)؛ فالفعل قِيل مثل بِيع. وعلى هذا فوزن كَيْنُونَة عند الكوفيين فَعْلُولَة، وبهذا لا يكون حذفٌ للعين.

احتجّ البصريون بحجّتين، فذهبوا إلى أنّ (كيَّنُونَة) وردت في بيت شعر؛ قال ابن جني «على أنَّ أبا العبّاس قد أنْشَد:

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٤: ٣٦٥.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، باب الكاف والظاء، ١٠: ٢٠٥.

قد فارقَتْ قَرِينَها القـــــرينَهْ

وشَحَطَتْ عن دارِها الظَّعينَهْ

يا لَيْـــتَ أنَّا ضمَّنا سفيــــنهْ

حتى يعــود الوصلُ كَيَّنُــونَهْ

فهذه دلالةٌ على أنَّها (فَيْعَلُولَة)»[١].

ولكنّه ضرورة كما ذكر الأنباري[٢]، وليس يكفي مثال واحد ورد في بيت واحد ليؤيد تلك الفرضيّة، وقال ابن جني عن تفسير الكوفيين «وهذا عند أصحابنا مذهب واهٍ جدًّا؛ لأنه لا ضرورة تدعو إلى فتح الفاء لتصح العين»[٣]، واحتج البصريون أيضًا بأنه لو كان الأصل فُعْلُولَة لقيل كُونُونَة، قال ابن جني «والياء في بَينونة، لو كانت عينًا، وكان المراد بالكلمة بناء (فُعْلُولة) لقالوا: (بُوْنُونَة)، فقلبوا الياء واوًا لانضمام ما قبلها وتباعدها عن الطرف. وهذا كله يدفع أن تكون: فُعلُولة»[٤]. وهذا لا يلزم الكوفيين لقولهم بالعدول عن هذا الأصل.

والذي ننتهي إليه موافقة الكوفيين في أن وزن (كينونة) وغيرها من مصادر الأفعال الجوف هو (فَعْلُولة) لا (فَيْلُولَة)[٥]، لسلامة هذا القول من افتراض زيادة في البنية وحذف لأصل مهم

(١) ابن جني، المنصف، ٢: ١٥.
(٢) أبوالبركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢: ٦٥٧.
(٣) ابن جني، المنصف، ٢: ١٢.
(٤) ابن جني، المنصف، ٢: ١٥.
(٥) تكرر ذكر الوزن (فَيْعُولَة) وزنًا لكينونة وأخواتها في بعض المعاجم وكتب اللغة والتفاسير وهو وهم من النساخ.

هو عين الفعل من غير حاجة إلى ذلك، وأما علة إبدال الواو ياءً فهو المخالفة لكراهة المتماثلات اللفظية.

القسمة الشجرية للكلم

قسمة الكلم الثلاثية إلى اسم وفعل وحرف هي القسمة القدمى التي وردت في كتاب سيبويه وأطبق عليها جمهور النحويين حتى نظمها ابن مالك في ألفيته المشهورة، وجاء المحدثون من علماء اللغة المتأثرين بالعلوم الغربية فأخذوا على النحو العربي، في ما أخذوا، هذه القسمة الثلاثية؛ بل منهم من جعل منها دليلًا على أنّ النحو العربي كله دخيل على العربية ولم ينشأ في بيئتها العلمية؛ ومن أجل ذلك وجدناهم يقترحون تقسيمًا جديدًا مستفادًا من تقسيم الكلم في اللغات الأوربية، ولكنهم اختلفوا في عدة أقسام الكلم، وكان أوسع عمل في هذا ما كتبه فاضل مصطفى الساقي بإشراف من تمام حسان عن (أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة).

والناظر في النحو العربي يلاحظ جليًّا أنه زاخر بمصطلحات معبرة عن أقسام أخرى للكلم لم يرد لها ذكر في القسمة الموجزة الأولى؛ لأن هذه الأقسام فرعيّة على القسمة الأولى، فالاسم يتفرع عنه جملة من الأسماء، فثم اسم الفعل، والمصدر، واسم المصدر، والمصدر الصريح والمصدر المؤول، والمصدر الميمي، والمصدر الصناعي، واسم الإشارة، واسم الاستفهام، واسم الشرط، والاسم الموصول، واسم الجنس، واسم الجنس الإفرادي، واسم الجنس الجمعي، واسم الجمع، والعلم ومنه منقول ومنه مرتجل، والوصف، والضمير، واسم الزمان واسم المكان، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، وصيغة المبالغة، واسم التفضيل، واسم

الآلة، ومن اسم الآلة ما هو جامد وما هو مشتق، والفعل متفرع إلى ماض ومضارع وأمر ومبني للفاعل ومبني للمفعول ولازم ومتعد، والحرف متعدد منها حرف جر، وحرف نصب، وحرف جزم، وحرف استفهام، وحرف شرط، وحرف نفي، وحرف توكيد، وحرف زائد، وحرف كفّ، وحرف عطف، وتتقسم الحروف وتتفرع حسب استعمالاتها، وفي النهاية نجد أنفسنا أمام شجرة أصلها الكلم وفروعها ثلاثة ثم تتفرع من تلك الفروع الثلاثة فروع أخرى حسب ما سردته أعلاه من تلك التقسيمات تمثيلًا لا حصرًا.

ومن هنا يمكن وصف طريقة القدماء بالشجرية وطريقة المحدثين بالخطية، والطريقة الشجرية أفضل وأكثر مرونة، ولفت الانتباه إلى هذه القسمة الشجرية ما سمعته من أ.د. حسن حمزة من جامعة ليون الفرنسية أثناء إلقائه بحثه (الخلاف النحوي ووحدة النظرية العربية) الذي شارك به في مؤتمر (تقاليد الاختلاف في الثقافة العربية-كلية الآداب –جامعة الكويت-٣٠مارس/ابريل ٢٠٠٢م.) وتحدث فيه عن القسمة الثلاثية ومحاولات الزيادة عليها، وذكر أن القسمة الثلاثية موضع اتفاق النحويين؛ إذ لم يعترض عليها مَن يعتدّ برأيه، حسب تعبير ابن هشام، وقال «وفي هذا الأمر ما فيه من الدلالة على وحدة الأصول في النظرية النحوية العربية. أما قسمة عضد الدين الإيجي للكلام إلى تسعة أقسام فلا تخرج في حقيقتها عن القسمة الثلاثية؛ لأن الفعل والحرف فيها باقيان على حالهما، والأقسام الأخرى إنما هي تصنيف داخلي للاسم»[١].

---

(١) حسن حمزة، كتاب مؤتمر تقاليد الاختلاف، ص٧٧.

ولعل ما سمعته من قوله عن القسمة الشجرية هو تفصيل لما أثبت في النص السابق الذي جاء في كتاب المؤتمر.

ثانيًا: المسائل النحوية

احذر السلامة اللغوية

حمل صديقي الصك، أقصد (الشيك) ليودعه في المصرف، أقصد (البنك)، وبعد أن ملأ نموذج الإيداع وانتظر ما شاء الله له أن ينتظر تقدم إلى موظف المصرف للإيداع، أخذ الموظف الشيك وقرأه غير مرة ثم رفع رأسه إلى صديقي قائلًا: من كتب هذا الشيك محتال، ولابد أن أبلغ الآن عنه (سمة).

وسمة هذه هي (الشركة السعودية للمعلومات الائتمانية) وحين تُبلّغ يوضع اسم الشخص بالقائمة السوداء، حاول صديقي جاهدًا أن يثني موظف البنك عن عزمه وبين له أن صاحب الشيك صديق عزيز ربما يخطئ؛ ولكنه لا يمكن أن يحتال.

ولكن ما الخطأ؟

الخطأ هو أن كاتب الشيك نحويّ يتوخى أصح الأساليب العربية، ويظن أن السلامة اللغوية محترمة في بلاده مهبط الوحي ومنطلق العربية، كاتب الشيك التزم بطريقة العرب في كتابة الأرقام، ولكن موظف البنك لا يعلم ذلك، والصواب عنده ما تعود عليه هو وأمثاله، وأما من يخالف طريقته فمحتال لا محالة.

فما الرقم المقصود؟ الرقم هو (٢١٠٠٠٠) ريال، فكيف كتب النحوي هذا الرقم؟ هكذا كتب كما جاء في الشيك:

«ادفعوا بموجب هذا الشيك لأمر ... مبلغ عشرة آلاف ومئتي ألف ريال».

أعاد صديقي الشيك إلى كاتبه وأخبره بما حصل وبدفاعه عنه وإنقاذه من سمة، أما كاتب الشيك فانطلق إلى البنك وتقدم إلى موظف وسأله عن الشيك: هل فيه مشكلة؟ قرأ الموظف الشيك وقال: لماذا قلب الكتابة، أي لم قرأ الرقم من اليمين إلى اليسار ولم يقرأ من اليسار إلى اليمين. قال له كاتب الشيك: هذه طريقة عربية صحيحة، فالعرب يقرأون ويكتبون من اليمين إلى الشمال، والمهم أريد شيكًا مصرفيًّا يكون البنك هو المسؤول عنه أمام سمة. مضى لملء بيانات النموذج وترك كتابة الرقم للموظف ليكتبها بالطريقة التي يريد. وهكذا جاءت قراءة الرقم في الشيك المصرفي:

«إدفعوا بموجب هذا الشيك لأمر ... مبلغ وقدره مائتان وعشرة الاف فقط *** ريال س»

ونلاحظ أن همزة الوصل في فعل الأمر (ادفعوا) جعلت همزة قطع، والمفعول به (مبلغ) أهمل نصبه، و(الاف) هكذا من غير مدّ، وترى كيف فصل بين العدد والمعدود بكلمة (فقط) وبالنجوم.

ذكرني هذا الموقف بحادثة أخرى، فحين كنت طالبًا كنت أستغل الصيف بالعمل، وفي صيف عملت في البنك الزراعي، وكانت مهمتي إعداد اتفاقية بين البنك والمزارع تتضمن المفردات التي يدفعها البنك للمزارع، وتصلني من موظف قائمة مكتوبة تتضمن هذه المفردات، وجاء فيها يومًا: "برميلان زيت"، فصححتها وأعدتها إليه ليعيد كتابتها صحيحة "برميلا زيت"؛ لأن النون تسقط للإضافة، وكنت كثيرًا ما أتتبع هذا الموظف وأتعقبه حتى نقم عليّ فذهب يشتكي عند المدير، فشطب المدير على ما كتبت وكتب "برميلين زيت" فرجعنا بخطأين.

وأما طريقة العرب الصحيحة في كتابة الأرقام فقررها أستاذ الأجيال سعيد الأفغاني رحمه الله رحمة واسعة، قال: «هذا ويختار قراءة الأعداد ابتداءً من المرتبة الصغرى فصاعداً، فتقرأ العدد (١٩٤٥) قائلاً: كان الجلاءُ سنة خمس وأربعين وتسعمئة وألف»[١].

ومن استعمال هذه الطريقة، هذا النص: «ابن كَيْسَانَ، وَيُكَنَّى أَبَا نُعَيْم مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ. تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ»[٢]. والنص: «مُحَمد بْن عُثمان بْن خَالِد، أَبو مَروان، العُثمانِيُّ، القُرَشِيُّ. سَكَنَ مَكَّة. تُوفي سَنَة إحدى وأربعين ومئتين»[٣].

ومن أجل ذلك احذروا السلامة اللغوية إن كنتم تريدون الحذر من سمة، ونصيحتي أن تكفوا عن كتابة الشيكات وامضوا إلى البنك ليحرر لكم شيكاته المصرفية بما فيها من أخطاء ولكنكم تأمنون، والله المستعان، اللهم الطف بهذه اللغة واحمها من أهلها وقيض لها من يذود عنها وينتصر لها.

الأعلام بين النقل والارتجال

العلَم هو الاسم الموضوع لجنس أو فرد شخصًا كان أم مكانًا أم سوى ذلك مما يحتاج إلى استدعائه للذهن من دون حاجة إلى وصفه بما يميزه عن غيره، وصنف النحويون الأعلام حسب استمدادها إلى منقولة ومرتجلة.

---

(١) سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، ص ٣٠٦.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١: ٣١٠.
(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ١: ١٨١.

قال ابن عقيل «ينقسم العلم إلى: مرتجل وإلى منقول، فالمرتجل هو: ما لم يسبق له استعمال قبل العلَمية في غيرها كسُعاد وأُدد، والمنقول ما سبق له استعمال في غير العلَمية، والنقل إما من صفة كحارث أو من مصدر كفضل أو من اسم جنس كأسد، وهذه تكون معربة أو من جملة كـ(قام زيد) و(زيد قائم)[١]، وحكمها أنها تحكى فتقول جاءني زيدٌ قائمٌ ورأيت زيدٌ قائمٌ ومررت بزيدٌ قائمٌ، وهذه من الأعلام المركبة»[٢].

والمتأمل في الأسماء قديمها وحديثها يرى أنها تخرج عن هذا التحديد الضيق، فهناك أسماء أصلها أعجمي، وهي قد تكون أعلامًا في لغاتها الأعجمية أو تكون أسماءً فلما دخلت العربية جعلت أعلامًا، مثل بسطام ودرهم، وهذه يمكن عدّها منقولة لا مرتجلة، ونجد في أمثلة ما عدوه من المرتجل (سُعاد) بحجة أنه لم يسبق له استعمال في اللغة، والأمر الظاهر أن الإمكانات التصريفية قد لا يستعمل منها إلا ما تكون إليه الحاجة، ولذلك تجد جذور الألفاظ تتباين في عدد الكلمات التي أخذت منه، ومن وسائل الاستعمال في رأيي التسمية، فسُعاد في نظري مصدر من الجذر (س/ع/د) على بناء (فُعال) مثل الصُراخ والبُكاء، وغيرهما، فمن هنا يمكن القول إنه منقول من اللغة؛ لأنه من لفظ كان يمكن استعماله لولا الاستغناء عنه بغيره، وكذلك (أُدد) هو بالتأمل (وُدد) من الودّ، فهو منقول بكيفية أو أخرى من اللغة.

---

(١) قال ابن مالك «ولم يرد عن العرب علم منقول من مبتدأ وخبر»، انظر: شرح تسهيل الفوائد، ١: ١٧١. وعلق محمد محي الدين عبدالحميد «الذي سمع عن العرب هو النقل من الجمل الفعلية، فقد سموا (تأبط شرا) وسموا (شاب قرناها)...وسموا (ذرى حبا) ويشكر، ويزيد، وتغلب، فأما الجملة الاسمية فلم يسموا بها، وإنما قاسها النحاة على الجملة الفعلية»، انظر: شرح ابن عقيل، ١: ١٢٥ح١.

(٢) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ١: ١٢٥.

وعدّوا من المرتجل ما جاء شاذًّا بمخالفته نظائره من النكرات، قال ابن مالك «والشذوذ بفك كمَحْبب، فإنه من مَفْعَل من الحبّ، فالقياس يقتضي أن يكون مَحَبًّا بالإدغام، لأن ذلك حكم كل مَفْعَل مما عينه ولامه صحيحان من مخرج واحد. والشذوذ بفتح ما يكسر كموهَب فإنه مَفْعَل من وهَب، فالقياس يقتضي أن يكون موهِبا بالكسر، لأن ذلك حكم كل مفعل مما فاؤه واو ولامه صحيحة. والشذوذ بكسر ما يفتح كمَعْدِي كرب، فإن القياس يقتضي أن يكون مَعْدَى، لأن نظيره من النكرات المعتلة اللام يلزمه الفتح كمَرمَى ومَسْعَى ومَوْلى ومأوى ومثْوَى. ومن الشذوذ بكسر ما حقه الفتح ما حكاه قطرب أن صَيْقِل بكسر القاف اسم امرأة من نساء العرب، فالقياس يقتضي أن يكون بفتح القاف، لأن نظيره من النكرات الصحيحة العين يلزمه الفتح كهَيْثَم وضَيْغَم وصَيْرَف. والشذوذ بتصحيح ما يعل كمَدْين ومَكْوَزَة، فإن القياس يقتضي إعلالهما بقلب الياء والواو ألفا كما فُعِل بنظائرهما، كمَنال ومَهابة ومفازة. والشذوذ بإعلال ما حقه التصحيح كداران وماهان، فإن القياس يقتضي تصحيحهما وأن يقال فيهما: دَوران ومَوهان، كما يقال في نظائرهما من النكرات»[١].

ولست أرى شذوذ هذه الألفاظ مدعاة للزعم بارتجالها، لأن من النكرات ما هو شاذ أيضًا مثل مسجِد ومغرِب ومشرِق. فهذه الأعلام الموصوفة بالشذوذ ليست مرتجلة بل منقولة من اللغة؛ فهي تمثل اللغة في مرحلة من مراحلها أو شكل من أشكالها، وبهذا الاعتبار تكون هذه الأسماء منقولة لا مرتجلة.

---

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ١: ١٧١.

ولست أرى المرتجل إلا ما لم يأت على جذر عربيّ أو جاء على بنية صرفية ليس له نظائر عليها، ومثل هذا في تقديري نادر جدًّا.

والذي ننتهي إليه أنّ الأعلام منقولة من ألفاظ مستعملة أو ألفاظ عدل عن استعمالها بلون من ألوان التصريف، أو ألفاظ لم تنشأ الحاجة إلى استعمالها؛ لأن الأسماء الأعلام تستغرق كل إمكانات اللغة التصريفية.

أنواع (ما) مع (دام)

يدل الفعل (دام يدوم/ يدام) على دلالات متباينة فهو يدل على الحركة الدائرية ويدل على السكون وعلى الاستمرار، وتدخل عليه (ما) فيختلف نوعها حسب استعمالها.

ما النافية:

تقول: دام المطر ليلة، وتنفي قائلًا: ما دام المطر ليلة، قال ابن الوراق «وَأما (مَا دَامَ) فقد تسْتَعْمل بِغَيْر (مَا)، وَإِذا لم ترد الْمصدر وَالدّلَالَة على الْوَقْت، كَقَوْلِك: دَامَ زيد على الشّرْب يَدُوم»[١]، والفعل (دام) هنا تام يكتفي بمرفوعة دلالة، ومن أمثلته في الشعر قول كثير عزة(١٠٥هـ):

لعمرُ أبي أَسْمَاءَ مَا دَامَ عَهْدُها

عَلَى قَوْلِهَا ذاتَ الزَّمين وحالها

وقول الوأواء الدمشقي(٣٧٠هـ):

---

(١) ابن الوراق، علل النحو، ص ٢٥٠.

ما دامَ شيءٌ منَ الدنيا على أحدٍ

خَيْرٌ وَشَرٌ، كذا الأَيَّامُ تَنْقَرِضُ

ما المصدرية:

ومثاله قول حاتم الطائي:

وإنّي لعَبْدُ الضّيفِ ما دام ثاويًا

وما فيّ، إلاّ تلكَ، من شيمةِ العَبْدِ

والفعل (دام) هنا ناقص لا يكتفي بمرفوعه؛ لأن المرفوع في أصله مبتدأ لا تتم الفائدة إلا بخبره، قال ابن يعيش «أمّا (ما دام) من قولك: (ما دام زيدٌ جالسًا)، فليست (ما) في أوّلها حرف نفي على حدّها في (ما زال)، و(ما برح)، إنّما (ما) ها هنا مع الفعل بتأويل المصدر، والمراد به: الزمان. فإذا قلت: (لا أُكَلمُك ما دام زيد قاعدًا)، فالمراد: دوامَ قعوده، أي: زمنَ دوامه، كما يُقال: (خفوقَ النجم)، و(مقدمَ الحاجّ). والمراد: زمنَ خفوق النجم، وزمنَ مقدم الحاجّ. وممّا يدلّ على أن (ما) مع ما بعدها زمانٌ، أنها لا تقع أوّلًا، فلا يُقال: (ما دام زيد قائمًا)، ويكون كلامًا تامًّا، ولا بد أن يتقدّمه ما يكون مظروفًا»[1]. فلا يقال: ما دام زيد قائمًا أقومُ.

ما الشرطية:

عدّ منها ابن هشام نوعين (غير زمانية، وزمانية)، ومثال غير الزمانية قوله تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾[١٩٧-البقرة]، و﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق إميل يعقوب، ٤: ٣٦٤.

مِثْلِهَا﴾[١٠٦-البقرة]، ومثال الشرطية الزمانية قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾[٧-التوبة]، أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم[1]. وما داخلة على جملة فعلية.

ومثال الشرطية مع (دام) قولك: ما دام الربيع فتمتع به. و(دام) هنا فعل تام مكتف بمرفوعه، ولا يعرف استعماله ناقصًا عند القدماء، أما عند المتأخرين فنجد قول أبي تمام(٢٣١هـ):

ما دامَ هارونُ الخليفةَ فالهدى

في غِبْطَةٍ مَوْصَولةٍ بدَاوِمِ

وقول ابن شهاب(٣٩٤هـ):

ما دام بينكم فنجم سعودكم

باد ونجم نحوسكم لن يطلعا

وقول القيسراني(٤٧٨هـ):

ما دام شمسك فينا غيرَ آفلة

فالدين منتظم والملك متسق

وبيت ابن مالك(٦٧٢هـ):

ما دام حافظَ سِري مَنْ وثِقْتُ بهِ

فهو الذي لَسْتُ عنهُ راغبًا أبدًا

---

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق عبداللطيف الخطيب، ٤: ٣٨.

قال ابن هشام «و(ما) هذه شرطية منصوبة المحل بـ(دام)، وهي واقعة على الزمان، وهو قليل، أعني مجيء ما الشرطية ظرفًا. والناظم [ابن مالك] ممن أثبته، ولا تكون هنا مفعولًا مطلقًا بمعنى أي دوام، لأن شرط إعمال (دام) أن تقع بعد ما الظرفية، ولا أن تكون مصدرية ظرفية مثلها في {مَا دُمْتُ حَيًّا} إذ ليس لها حينئذ ما ينصبها، لأن ما بعدها حينئذ صلة، أو معمول الصلة، وأما على تقديرها شرطية فلا صلة ولا موصول، فيصح لدام أن تعمل فيها»[١].

وقول صفي الدين الحلي(٧٥٢هـ):

ما دامَ وعدُ الأماني غيرَ منتجزٍ

فطُولُ مَكثِكَ مَنسُوبٌ إلى العَجزِ

وعلى هذا أرجع عن تخطئة المعاصرين في استعمالهم هذا التركيب في قولي: نجد من ذلك ما جاء في (طوق الطهارة، ص ٢٦٤) «وما دام الوقت بات لا يؤمن جانبه فعليّ أن أضيعه»، والصواب: عليّ أن أضيع الوقت ما دام لا يؤمن جانبه؛ لأن (ما دام) ظرف لما قبلها[٢].

أيْ إنّك أم أيْ أنّك

هذا موضع من المواضع التي يمكن أن تكسر (إنَّ) فيه أو تفتح، والإمكان غير الجواز، وضابط الكسر والفتح عند النحويين هو أنّ ما لا تؤول مع جملتها بمصدر تكسر وما تؤول بمصدر تفتح، قال السيوطي «الْحَال الثَّالِث مَا يجوز فِيهِ الْأَمْرَانِ، فباعتبار

---

(١) ابن هشام، تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد، ص ٢٤٠.

(٢) أبوأوس إبراهيم الشمسان، أخطاء في لغة الرواية السعودية: نماذج مختارة، أبحاث مهرجان جواثى الرابع، ٢٠١٥م، ص٤٣.

تقديرها جملَة تكسر وَبِاعْتِبَار تقديرها بمصدر تفتح وَذَلِكَ فِي مَوَاضِع»، وعدد المواضع وجعل «الثَّالِث بعد أي المفسرة»[١].

وما بعد (أيْ) عطف بيان أو بدل للمفسَّر الذي قد يكون مفردًا أو جملة، قال ابن هشام عن (أيْ) «وحرف تَفْسِير تَقول (عِنْدي عسجدٌ أَيْ ذهبٌ)، و(غضنفرٌ أَي أَسدٌ). وَمَا بعْدهَا عطف بَيَان على مَا قبلهَا، أَو بدل، لَا عطف نسق، خلافًا للكوفيين وصاحبي الْمُسْتَوْفَى والمفتاح؛ لأَنا لم نر عاطفا يصلح للسقوط دَائِما، وَلَا عاطفا ملازما لعطف الشَّيْء على مرادفه. وَتَقَع تَفْسِيرا للجمل أَيْضا كَقَوْلِه:

١٢-(وترمينني بالطرف أَي أَنْتَ مذنب

وتقلينني لَكِن إياك لَا أقلي)»[٢].

ولم يمثل لها السيوطي، واكتفى عباس حسن بمثال لفتحها، قال «وقوعها بعد (أيْ) المفسرة؛ نحو: سرني ابتداعك المفيد، أي: أنك تبتكر شيئًا جديدًا نافعًا»[٣]. وأن وما بعدها في مثاله مؤولة بمفرد؛ لأنها بدل مفرد هو ابتداع.

وبمراجعة استعمالاتها في التراث وجدت همزة (إنّ) تكسر بعد (أيْ) لأنها غير مؤولة بمصدر، وأجتزئ بأمثلة من لغة بعض النحويين، من ذلك قول سيبويه «وذلك قولك: إنّ في ألفِ درهمٍ لَمَضرَبا، أي إن فيها لضربًا»[٤]. وقال أيضًا «وزعم يونُس أن العرب تقول: إنَّ بدلَك زيدًا، أي إنَّ مكانك زيدًا»[٥]. وقال ابن

(١) السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبدالحميد هنداوي، ١: ٥٠٦.
(٢) ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق عبداللطيف الخطيب، ١: ٥٠٦- ٥٠٧.
(٣) عباس حسن، النحو الوافي، ١: ٦٥٨.
(٤) سيبويه، الكتاب، ١: ٢٣٣.
(٥) سيبويه، الكتاب، ٢: ١٤٢.

السراج «كما تقول: زيدٌ عمرٌو، أي: إنَّ أمرَه وهو يقوم مقامه، جازَ، وإلا فالكلام محالٌ؛ لأن عمرًا لا يكون زيدًا»[١]. وقد تجدها في بعض الكتب مفتوحة وأحسبه من أوهام النساخ أو المحققين؛ إذ لا علة لفتح همزة (إنّ) ما لم تقدر جملتها بمفرد.

والذي يُنتهى إليه أنّ (أيْ) المفسرة إن جاء بعدها جملة مصدرة بإنّ كسرت همزتها ما لم تكن مؤولة بمفرد لأنها بدل مفرد.

تغير حروف المعاني في جملة المحدَثين

يلاحظ الموازن بين لغة المحدثين ولغة القدماء أنّ المحدثين ربما استبدلوا بحروف المعاني كلمات توخوا بها مزيدًا من الإيضاح، أو قلدوا بها طرائق ثقفوها مما تعلموه من لغات أعجمية، وأضرب لهذا أمثلة ولا أستقصي ذلك استقصاءً.

أ-الحرف (أمّا):

يجعلون في موضعه هذه المركبات: أما بالنسبة، أما بخصوص، أما ما يتعلق، أما فيما يتعلق. مثال ذلك:

-«أما بالنسبة للسياب فقد كانت هناك حوافز معينة دفعته إلى التعلق بذلك الرمز»[٢].

والأصل هو: أما السياب فقد كانت هناك حوافز معينة دفعته إلى التعلق بذلك الرمز.

-«أما بخصوص كلام الشبلي عن الأزهر فإنه لم يكن

---

(١) ابن السراج، أصول النحو ١: ١٩٠.
(٢) إحسان عباس، بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، ص ٣٠٥.

موجهًا للأزهر نفسه»[١].

والأصل: أما كلام الشبلي عن الأزهر فإنه لم يكن موجهًا للأزهر نفسه

-«أما ما يتعلق بزعمهم في شياطين الشعراء فقد أمسكنا الكلام عنه إلى بابه، فإن له ثمة موضعًا»[٢].

والأصل: أما زعمهم في شياطين الشعراء فقد أمسكنا الكلام عنه إلى بابه، فإن له ثمة موضعًا.

-«أما فيما يتعلق بالإيجاز فقد أوشك أن يجمع النقاد والبلاغيون على أن الأسلوب الموجز المقتضب من أكثر مظاهر القوة وضوحًا»[٣].

والأصل: أما الإيجاز فقد أوشك أن يجمع النقاد والبلاغيون على أن الأسلوب الموجز المقتضب من أكثر مظاهر القوة وضوحًا.

ب-حرف (الباء):

يجعلون في موضعه: بواسطة، من خلال، عن طريق، عبر. ومثال ذلك:

-«يخرجهما متجاذبتين ولكن لا بواسطة السينات ولا بواسطة الكسرات وإنما بواسطة التجانس الصوتي فيها»[٤].

---

(١) حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، ص ٢٤٤.
(٢) محمد صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب (ط٢، المكتبة التجارية/ القاهرة، ١٩٤٠م)، ١: ٣٧٩.
(٣) محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، ص ٧٩.
(٤) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٨٩.

والأصل: يخرجهما متجاذبتين ولكن لا بالسينات ولا بالكسرات وإنما بالتجانس الصوتي فيها.

-«ولذلك لا يعمد الكاتب إلى وصف شخصيةٍ من الشخصيات من خلال منظاره هو، ولكن من خلال منظار الشخصية التي تتعامل مع غيرها من شخصيات القصة»[١].

والأصل: ولذلك لا يعمد الكاتب إلى وصف شخصيةٍ من الشخصيات بمنظاره هو، ولكن بمنظار الشخصية التي تتعامل مع غيرها من شخصيات القصة.

-«وتفرعت عنه ألفاظ أخرى عن طريق الإبدال»[٢].

والأصل: وتفرعت عنه ألفاظ أخرى بالإبدال.

-«وحين يختنق، فإنه لا يجد رئةً أخرى يستنشق عبرها الهواء بحرية!»[٣].

والأصل: وحين يختنق، فإنه لا يجد رئةً أخرى يستنشق بها الهواء بحرية!.

ث-حرف (اللام)

يجعلون في موضعها الفعل (يتمتع)، مثل:

-«كما أننا لسنا نقلل من الأهمية العظيمة التي تتمتع بها وثائق أدبية مثل مقدمات جيمس ومقالة تيت»[٤].

---

(١) عبداللطيف محمود حمزة ، المدخل في فن التحرير الصحفي، ص ٤١٩.
(٢) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ١: ١٢٣.
(٣) http://www.vb.eqla3.com/showthread.php?t=1379814
(٤) ستانلي ادغار هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، ١: ١٧٧.

والأصل: كما أننا لسنا نقلل من الأهمية العظيمة لوثائق أدبية مثل مقدمات جيمس ومقالة تيت.

ج- الحرف (إنْ)

يجعلون في موضعها (في حال)، ولعلها ترجمة حرفية للإنجليزية (in case)، مثل:

-«ولكن في حال جاء مستثمر أو صاحب مؤسسة من الجبيل أو الدمام أو الخفجي أو صفوى (التي تتبع مكتب رأس تنورة) فإن المكتب يقدم له خدمات الاستعلامات عبر الحاسب الآلي فقط»[١].

والأصل: ولكن إنْ جاء مستثمر أو صاحب مؤسسة من الجبيل أو الدمام أو الخفجي أو صفوى (التي تتبع مكتب رأس تنورة) فإن المكتب يقدم له خدمات الاستعلامات عبر الحاسب الآلي فقط.

وليس في صنيع المحدثين هذا خطأ نحوي يعد مستعمله لاحنًا؛ ولكنه تجاف عن طريقة العربية المتصفة بالإيجاز وهو من هنا يمكن أن يعدّ خطأ؛ لأن الخطأ أعم من اللحن بسبب مخالفة قواعد الإعراب أو التصريف، ومع ذلك ستجد من الناس من يحلو له أن يعدّ ذلك من تطور العربية واتساعها. واللغة متى تمادت في ذلك معاندة المعايير الضابطة ابتعدت عن أصولها حتى يأتي يوم تنسى فيه تلك الأصول.

---

(١) محمد العبدالله، تقرير، عكاظ، الخميس ١٤٣٣/١١/٠٤هـ٢٠ سبتمبر ٢٠١٢ م، العدد: ٤١١٣.

التوسع في استعمال المصطلح

المصطلحات هي من مفاتيح العلوم وهي من أهم ما يميز مضامينها عن غيرها، واتصف النحو العربي بضبط استعماله مصطلحاته على كثرتها وتعددها، ولكن ربما يجد القارئ التراث بعض التوسع في استعمال بعض المصطلحات، من ذلك (المصدر).

يطلق (المصدر) وهو مصطلح صرفي على نوع من أنواع الاسم، وهو ما دلّ على حدث، قال الجرجاني «المصدر ما دلَّ على الحدث لا غير. ويسمى حدثاً، وحدثاناً، واسْم معنى»[١]، ولأن المصدر اسم كغيره من الأسماء جاء في وظائف نحوية أو تركيبية مختلفة فجاء مبتدأ وخبرًا ومفعولًا به ومفعولًا له، ومفعولًا معه، ومجرورًا بحرف الجر أو المضاف، وظرف زمان أو مكان، وحالًا، على أن أهم وظائفه أن يكون مفعولًا مطلقًا مؤكدًا فعله أو مبينًا نوعه أو عدده؛ ولذلك ربما توسع النحويون باستعمال المصطلح الصرفي (المصدر) للدلالة على الوظيفة النحوية (مفعول مطلق)، نجد ذلك عند الفارسي «قال أبو علي: إذا قال: أحقًّا أنّك ذاهبٌ فلا يخلو أنْ تنصِب حقًّا على أنّه ظرفٌ، أو مصدرٌ، فإنْ نصبْتَه نصبَ المصادر وَجَبَ أن تفتَح أنَّ التي بعدها بالفعل النّاصِب للمصدر، كأنّه قال: أحَقَّ ذهابُكَ حَقًّا، وإذا نصبتَه نصبَ الظروف، فكسرُ إنَّ لم يجُزْ؛ لأنّ الظرفَ لا ناصبَ له، وما بعد أنّ لا يعمل فيما قبلَه»[٢].

---

(١) الجرجاني، المفتاح في الصرف، ص٥٢.
(٢) الفارسي، التعليقة على كتاب سيبويه ٢: ٢٤٨.

ونجد ذلك عند الوراق معلّلًا مجيء المصدر حالًا، قال «أَحدهمَا: أَن يكون الْمصدر مَنْصُوبًا بِفعل من لَفظه، وَذَلِكَ الْفِعْل فِي مَوضِع الْحَال، فَلَمَّا حذف الْفِعْل قَامَ الْمصدر مقَامه، فَجَاز أَن يُقَال: إِنَّه فِي مَوضِع الْحَال، كَقَوْلِهِم: (أرسلها العراك)، فالتقدير: أرسلها تعترك العراك، فالعراك نصب على الْمصدر، والمصادر تكون معرفَة ونكرة، وتعترك: هُوَ الْحَال، فأقيم (العراك) مقَامه»[١].

ومن مصطلحات متوسع في استعمالها (الجزم والمجزوم)، فالمشهور أن الجزم إعراب للفعل الذي عمل فيه جازم مثل اللّاميّات (لم، لَمّا، لام الأمر، لا الناهية) أو أدوات الشرط الجازمة، والمجزوم هو الفعل الذي عملت فيه تلك الجوازم، ولكنا نجد مصطلح (الجزم)، ولما كان الجزم هو حذف حركة الفعل اتسعوا في اطلاق المصطلح على غياب الحركة بتسكين اللفظ وضعًا اسمًا كان أم فعلًا، مثال ذلك ما جاء في تهذيب اللغة يريد التسكين «قَالَ: والْخَبْلُ _ بالْجَزْم _: قَطْعُ اليَدِ والرِّجل». ونجد المجزوم في شرح (اللهمّ) «فالميم في هذا الاسم حرفان أوّلُهما مجزومٌ، والهاء مرتفعةٌ لأنه وقع عليها الإعراب»[٢].

ويلاحظ كيف عبر عن الهاء المضمومة للبناء بأنها مرفوعة وهذا توسع في استعمال المرفوع بمعنى المضموم. وهذا التوسع في الاستعمال أمر أدركه ابن جني وبينه بجلاء في الخصائص قال «وأما اتباع العلماء العرب في هذا النحو فكقول سيبويه: ومن العرب من يقول: لبِّ فيجرّه كجرّ أمسِ وغاقِ، ألا ترى أنه ليس

---

(١) الوراق، علل النحو، ص ٣٦٤.

(٢) سيبويه، الكتاب ٢: ١٩٦.

في واحد من الثلاثة جر؛ إذ الجر إعرابٌ لا بناء، وهذا الكلم كلها مبنية لا معربة؛ فاستعمل لفظ الجر على معنى الكسر، كما يقولون في المنادى المفرد المضموم: إنه مرفوع، وكما يعبرون بالفتح عن النصب، وبالنصب عن الفتح وبالجزم عن الوقف، وبالوقف عن الجزم ، كل ذلك لأنه أمر قد عُرِفَ غرضه والمعنى المعني به»[١].

ومن التوسع في ذلك وصفهم الفعل بالتذكير أو التأنيث مع أنهما صفتان للاسم حتمًا، قال ابن جني عن اتصال تاء التأنيث بالفعل «وليست كذلك علامة التأنيث لأن الفعل لم يكن في القياس تأنيثه ألا تراه مفيدًا للمصدر الدال على الجنس والجنس أسبق شيء إلى التذكير، وإنما دخل علم التأنيث في نحو قامت هند وانطلقت جُمل لتأنيث فاعله، ولو كان تأنيث الفعل لشيء يرجع إليه هو لا إلى فاعله لجاز قامت زيد وانطلقت جعفر»[٢]، وصرح العكبري بأن الفعل لا يؤنث في قوله «إِنَّمَا دلّت تَاء التَّأْنِيث الساكنة على الْفِعْل لِأَن الْغَرَض مِنْهَا الدّلَالَة على تَأْنِيث الْفَاعِل فَقَط لَا الدّلَالَة على تَأْنِيث الْفِعْل إِذْ الْفِعْل لَا يؤنث وَلَا تَجِد تَاء تَأْنِيث»[٣]. من أمثلة هذا التوسع قول ابن مالك «ورُوِيَ عن الأخفش أن ياء المخاطبة حرف يدل على تأنيث الفعل، والفاعل مستكن كما هو مستكن في نحو: هند فعلت»[٤].

ولعل الله يهيئ لهذا العمل من يصبر نفسه لجمعه وتدوينه.

---

(١) ابن جني، الخصائص ٢: ٤٧١.
(٢) ابن جني، الخصائص ٣: ٢٤٧.
(٣) العكبري، اللباب في علل البناء والاعراب ١: ٤٩.
(٤) ابن مالك، شرح التسهيل ١: ١٢٤.

العطف المقطوع

المشهور في كتب النحو ذكر النعت المقطوع في سياق ذكر أحوال حذف المبتدأ وجوبًا مثل: لقيت زيدًا الكريمُ، ومررت بزيدٍ الكريمُ، وأما قطع العطف فيرد ذكره في تأويل الآيات والأشعار، وربما عرض في مسألة استئناف المعطوف، وفي هذا خصص له عبدالوهاب محمود الكحلة فصلًا في رسالته (العطف في اللغة العربية) هو (الفصل الثالث والعشرون) بدأه بقول الرضي «وعلم أنه يجوز المخالفة في الإعراب، إذا عرف المراد، نحو: مررت بزيدٍ وعمرٌو، أي: وعمرٌو كذلك، ولقيت زيدًا وعمرٌو، أي: وعمرٌو كذلك، قال[الفرزدق]:

وَعَضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يدعْ

منَ المالِ إلا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ

المسحت المذهَب، والمجلّف المأخوذ الجوانب، الذي بقيت منه بقية، فقوله (مجلفُ) حمل على المعنى، إذ معنى (لم يدع إلا مسحتا) لم يبق من جوره إلا مسحتٌ، ويجوز أن يكون المعنى: أو هو مجلفٌ، و (أو) منقطعة، أي: بل هو مجلف، كما يجيء في حروف العطف، أو يكون (مجلف) مصدرًا عطف على (عضُّ)، كما مر في قوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْناهُم كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾»[1]. قال الكحلة «ويظهر ذلك في الاسم الصريح أو المؤول أو الفعل المضارع إذا خالف إعرابه المعطوف عليه»[2].

---

(١) رضي الدين الاستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق حسن الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٩٣م،١: ١٠٤٧- ١٠٤٨.

(٢) عبدالوهاب محمود الكحلة، العطف في اللغة العربية، جامعة الكويت، ١٩٧٢م، ص ٢٩٨.

أما الاسم الصريح فقد ورد مثاله في نص الرضي، وأما المؤول فذكر لنا أن المبرد يجيز قطع (أنّ) إذا عطفت على مثلها، قال المبرد «كَمَا قَالَ الله عز وَجل ﴿إِنَّ لَكَ أَنَّ لَا تَجُوعَ فِيها وَلَا تَعْرَى وأنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ وَيجوز {وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا} على الْقطع والابتداء فَالْأولى على قَوْلك ضربت زيدًا وعمرًا قَائِمًا، وَالْقطع على قَوْلك ضربت زيدًا وَعَمْرٌو قَائِمٌ»[1].

أما الفعل المضارع فذكر قول سيبويه «باب اشتراك الفعل في (أنْ) وانقطاع الآخِرِ من الأول الذي عَمِلَ فيه أَنْ. فالحروفُ التي تُشْرِكُ: الواوُ، والفاءُ، وثُمَّ، وأوْ. وذلك قولك: أريدُ أن تأتِيَني ثم تحدِّثَني، وأريدُ أن تفعلَ ذاك وتُحْسِنَ، وأريد أن تأتِيَنا فتبايعَنا، وأريد أن تَنطقَ بجميل أو تسكتَ. ولو قلت: أريد أن تأتِيَني ثم تحدِّثُني جاز، كأنك قلت: أريد إتيانَك ثم تُحدِّثُني. ويجوز الرفع في جميع هذه الحروف التي تُشْرك على هذا المثال»[2].

ويمكن أن يفسر بذلك رفع (الصابئون) في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة-٦٩]، فهو مقطوع عن العطف لفظًا على اسم (إنَّ)؛ ولذلك يقدر له سيبويه خبرًا، قال «وأما قوله عز وجل: {والصابئون}، فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتدأ على قوله {والصابئون} بعدما مضى الخبر»[3]. وذكر السمين لرفعه تسعة

---

(١) أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، ٢: ٣٤٢. فعمرًا في الجملة الأولى معطوف على زيدٍ، وقائمًا حال من الفاعل، وأمّا في الجملة الآخرة فعمرٌو مبتدأ مرفوع والجملة حال مصاحبة لحدوث الفعل.

(٢) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ٣: ٥٢.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٢: ١٥٥.

أوجه، والدليل على أنه معطوف على اسم إنَّ، قال السمين «وقرأ أُبي بن كعب وعثمان بن عفان وعائشة والجحدري وسعيد بن جبير وجماعة: {والصابئين} بالياء»[١].

الفرق بين علامة الإعراب وحركة الإعراب

بين علامة الإعراب وحركة الإعراب عموم وخصوص؛ إذ علامة الإعراب عامة فمنها الحركة وغير الحركة من دلائل الإعراب، وأما حركات الإعراب عند النحويين فثلاث حركات هي الضمة والفتحة والكسرة، وأما غيرها فعلامات إعراب كالواو أو الألف أو الياء، أو السكون أو النون أو حذف حرف العلة.

والأصل في علامة الإعراب أن تكون حركة؛ ولكن الحركة لا تظهر على كلّ معرب، ولذلك اختلف النحويون في تأويل تخلف هذه الحركات في بعض الكلمات، فمنهم من راح يقدر الحركات كسيبويه، ومنهم من أشار إلى وجود علامات أخرى تنوب عن الحركات.

اهتم سيبويه في مطلع كتابه ببيان علامات الإعراب والبناء وقصرها على حركات الإعراب وحركات البناء وسماها مجاري، وكان همه التفريق بين ما يبنى فلا تتأثر علامته بعامل وما يعرب فتتغير علامته بتغير العامل، قال تحت عنوان (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية): «وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجرَّ والرفع والجزم، والفتح والضمّ والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانيةُ يَجمعهنّ في اللفظ أربعةُ أضرب: فالنصبُ والفتح في اللفظ ضربٌ واحد، والجرّ والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضمّ، والجزم والوقف. وإنّما

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون، ٤: ٣٥٦.

ذكرتُ لك ثمانية مجار لأفُرقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحِدثُ فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه - وبين ما يُبْنَى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدثَ ذلك فيه من العوامل، التي لكلّ منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرفُ حرف الإعراب. فالرفع والجر والنصب والجزم لحروفِ الإعراب. وحروفُ الإعراب للأسماء المتمكّنة، وللأفعال المضارِعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائدُ الأربع: الهمزة، والتاء، والياء، والنون. وذلك قولك: أفْعَلُ أنا، وتَفعل أنتَ أو هي، ويَفعل هو، ونَفعل نحن»[١]. ويفهم من هذا النص أن المعرب المنتهي بفتحة يوصف بأنه منصوب؛ فالنصب حالة إعرابه والفتحة حركة الإعراب وعلامته، وأما المبني المنتهي بفتحة فيوصف بأنه مفتوح والفتحة حركة بنائه وعلامته، وهكذا يكون المعرب مرفوعًا والمبني مضمومًا، والمعرب مجرورًا والمبني مكسورًا، والمعرب مجزومًا والمبني موقوفًا. وعدّ الجزم والوقف نظيرًا لسائر العلامات عنده من التوسع في الاستعمال، فالجزم في حقيقته سلب للحركة، ومثله الوقف للمبني؛ ولذلك هو علامة إعراب لا حركة إعراب. وأما عدّ عباس حسن (السكون) من الحركات فمتوقف فيه[٢].

لا يعد سيبويه سوى الحركة علامة إعراب؛ لأنه أراد تعميم نمط العلامة الإعرابية وهي الحركة. قال المبرد عن المثنى: «فأما سيبويه فيزعم أن الألف حرف الإعراب، وكذلك الياء في الخفض والنصب»[٣]، أي أنها ليست علامة إعراب بل أحرف إعراب، قال الأعلم: «واعلم أن الألف والياء في التثنية والياء

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ١: ١٣.
(٢) عباس حسن، النحو الوافي، ١: ٩٧، ٢٠٥، ٢: ٩٨.
(٣) المبرد، المقتضب، ٢: ١٥١.

والواو في الجمع عند أكثر شارحي كتاب سيبويه من حروف الإعراب بمنـزلة الدال من زيد والألف من قفا»[١]. واختلف النحويون في فهم نص سيبويه في هذه العلل أعلامات إعراب هي أم أحرف إعراب، قال ابن جني: «واختلف الناس من الفريقين في هذه الألف ما هي من الكلمة، فقال سيبويه هي حرف الإعراب»[٢]. ومعنى ذلك أن ليس في المثنى والمجموع علامة ظاهرة للإعراب وما يظهر هو حرف الإعراب. ويؤكد الصفار أنهما لا يدخلان تحت المجاري «فلو أراد دخول هذا تحتها لقال: وهي عشرة أو أكثر على ما يتعدد»[٣]. وليس الاسم بلا علامة، بل تقدر الحركة تقديرًا، وهذا ما يعبر عنه الأعلم بجلاء في قوله «فإن قال قائل: هل في هذه الحروف حركة في النيّة، فالجواب أنّ فيها حركةً مقدرةً وإنْ لم ينطق بها استثقالا لها كما تكون في عصا وقفا حركة منوية، من قبل أن هذه الحروف لَمّا دلت على تمام معنى الكلمة في ذاتها وأشبهن ألف حبلى وقفا جَرين مجراها في نيّة الحركة إذْ لا موجب للبناء»[٤]. ونجد من النحويين من جعل العلل في المثنى والمجموع على حده والأسماء الستة علامات إعراب نابت عن الحركات، واشتهر هذا الاتجاه حتى اعتمده ابن مالك في خلاصته، ولكن عارضه ابن عقيل متابعة لسيبويه، قال «الأسماء الستة وهي أب وأخ وحم وهن وفوه وذو مال ... والمشهور أنها معربة بالحروف فالواو نائبة عن الضمة والألف نائبة عن الفتحة والياء نائبة عن الكسرة، وهذا هو الذي أشار إليه المصنف بقوله وارفع بواو إلى آخر البيت، والصحيح أنها معربة بحركات مقدرة على الواو والألف والياء؛ فالرفع

---

(١) الأعلم الشنتمري، النكت في تفسير كتاب سيبويه، ١: ١٢٠.
(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢: ٦٩٥.
(٣) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ١: ٢٩٤.
(٤) الأعلم الشنتمري، النكت في تفسير كتاب سيبويه، ١: ١٢١.

بضمة مقدرة على الواو والنصب بفتحة مقدرة على الألف والجر بكسرة مقدرة على الياء، فعلى هذا المذهب الصحيح لم ينب شيء عن شيء مما سبق ذكره»[(١)].

ويمكن لنا اليوم أن نقول موافقة لعلماء الأصوات أن حركات الإعراب ست حركات: فتحة وفتحة طويلة (ألف)، وضمة وضمة طويلة (واو)، وكسرة وكسرة طويلة (ياء)، وأما سائر دلائل الإعراب فعلامات ليس إلا.

القول الأقرب في الذبّ عن قطرب

اطرد في كتب النحويين نسبة مخالفة أبي عليّ محمد بن المستنير قُطْرُبٍ قولَ النحويين الذين يرون أن حركات الإعراب إنما دخلت لتدل على المعاني النحوية الوظيفية للألفاظ في الجملة. وقول قطرب هذا لم يصل إلينا في كتاب منسوب إليه، ويبدو أن معتمد كتب النحويين على ما ذكره الزجاجي في (الإيضاح في علل النحو)، قال في (باب القول في الإعراب، لِمَ دخل في الكلام) «إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة، ومضافًا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني ... جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني. هذا قول جميع النحويين إلا قطربًا فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال، وقال لم يُعرَبِ الكلام للدلالة على المعاني، والفرق بين بعضها وبعض»[(٢)]. وذكر الزجاجي نقض قطرب قول النحويين بقوله «لأنا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني،

---

(١) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ١: ٤٤.
(٢) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص٦٩-٧٠.

وأسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني، فمما اتفق إعرابه واختلف معناه قولك: إنّ زيدًا أخوك، ولعلّ زيدًا أخوك، وكأنّ زيدًا أخوك. اتفق إعرابه واختلف معناه. ومما اختلف إعرابه واتفق معناه قولك: ما زيدٌ قائمًا، وما زيدٌ قائمٌ، اختلف إعرابه واتفق معناه»[١].

والملاحظ هنا أنّ قطربًا ربط بين الحركات الإعرابية والدلالة العامة للجملة أي المعنى الدلالي الذي يختلف عن المعنى النحوي الوظيفي، وهذا ما لاحظه محمد حماسة عبداللطيف قال «وهنا نجد أنّ قطربًا يقصد بالمعاني مرّة أخرى المعاني غير النحوية ولعله قد فهم قول النحاة بأن الإعراب ينبئ عن المعاني على أنها المعاني بمدلولها غير النحوي»[٢].

إذن مخالفة قطرب النحويين في هذه الدلالة التي لم يقصد إليها النحويون، وهو لا يخالفهم في ارتباط الحركات بالوظائف النحوية فهي علامات إعراب؛ بل هو يعدّ ما ناب عنها من حروف علامات إعراب، وكثرت نسبة هذا القول إليه، قال الأنباري «ذهب الكوفيُّون إلى أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع بمنزلة الفتحة والضمة والكسرة في أنها إعراب، وإليه ذهب أبو عليّ قُطْرُبُ بن المستنير»[٣]. وراجع محمد حماسة عبداللطيف كتاب المحتسب عله يجد في أعاريب القراءات الشاذة تفسيرًا يوافق مذهب قطرب؛ ولكنه وجده متهمًا بالإغراق في التعليلات النحوية، وفي قراءة {زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلادِهِم شُرَكاؤُهُم} نسب ابن جني أحد تعليلي رفع شركاؤهم إلى قطرب، قال محمد حماسة «وهنا نجد محمد بن المستنير يعلل الرفع في

---

(١) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص ٧٠.
(٢) محمد حماسة عبداللطيف، العلامة الإعرابية، ص٢٦٧.
(٣) الأنباري، الإنصاف ١: ٢٩.

شركاؤهم تعليلًا يقوم على ربط المعمول بالعامل مؤثرًا جانب صحة المعنى النحوي واستقامته على حساب دلالة الآية»[١].

وأما تفسير انتهاء الألفاظ بحركات الإعراب تفسيرًا صوتيًّا فهو منسجم مع قول الخليل الذي يفسر به مبنى اللغة على السكون والحركة؛ إذ لولا هذا التتابع ما تألفت كلمات اللغة وجملها، فهذا هو الغرض الأول الذي لا يدفع أن يكون لها بعد غرض آخر وهو الدلالة على المعاني النحوية. «قال قطرب: وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضًا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك مُعاقبًا للإسكان، ليعتدل الكلام»[٢].

ومهما يكن من أمر فإن ما نسب إلى قطرب بالكيفية التي صيغ بها ليثير الشك كما قال محمد حماسة عبداللطيف «غير أن هذا كله حقيق بأن يثير قلق الباحث، ويدفعه لإعادة النظر في رأي قطرب المنسوب إليه»[٣]. وكان قد قال «وهذا الرأي قد لا يعدو أن يكون ملاحظة عابرة، لم يكتمل لها البناء العلمي ولا التفسير الصحيح»[٤].

وإني أستبعد نسبة هذا الرأي على هذا النحو إلى قطرب وهو أحد أبرز طلاب سيبويه، ولا أراه يختلف عنهم في ربط حركات الإعراب بالوظائف الإعرابية للألفاظ.

---

(١) محمد حماسة عبداللطيف، العلامة الإعرابية، ص ٢٦٥-٢٦٦. وانظر: ابن جني، المحتسب، ١: ٢٣٠.

(٢) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص ٧٠-٧١.

(٣) محمد حماسة عبداللطيف، العلامة الإعرابية،ص٢٦٦.

(٤) محمد حماسة عبداللطيف، العلامة الإعرابية، ص٢٦٥.

لماذا لا يقعد بكل قراءة

من قراءات القرآن قراءات سبعية متواترة لقوله تعالى ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه٦٣]؛ قال ابن خالويه «قوله تعالى: {إنّ هذان لساحران}. أجمع القراء على تشديد نون (إنَّ) إلّا (ابن كثير) و(حفصًا) عن (عاصم) فإنهما خفَّفاها»[١]. ومع ذلك لم يتخذ هذا الإجماع أساسًا للتقعيد؛ لأن رفع اسم إنَّ هنا جاء في موضع واحد، وجاء منصوبًا في كل المواضع بقراءتهم موافقة لاستعمال جمهرة العرب في نثرها وشعرها، فكان التقعيد نصب الاسم بعد (إنَّ)، ولو قعّد اعتمادًا على أي قراءة لتعاندت القواعد. ولكن؛ ألا يستشهد بهذه القراءة؟ بلى، يستشهد بها وبكل قراءة حتى الشاذة، قال السيوطي: «وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معلومًا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يقاس عليه، نحو: استحوذ، ويأبى. وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافًا بين النحاة»[٢]؛ وما قرره السيوطيّ صحيح؛ لأن الاستشهاد بالنص لا يعني الاعتماد عليه في التقعيد؛ لأن الاعتماد على جمهرة الاستعمال، ويكون الاستشهاد لبيان استعمالات مخالفة مقبولة من حيث هي لغة مسموعة؛ ولكنها ليست مقيسة يصح للخالفين القول على منوالها؛ إذ لا يصح أن نقول: إنَّ الزيدان قادمان، نقل الجواليقي أنّ الفراء قال: «واعلم أنّ كثيرًا ممّا نهيتك عن الكلام

---

(١) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبدالعال مكرم، ص٢٤٢.
(٢) السيوطي، الاقتراح، تحقيق: محمود فجال، ص ٦٨.

به من شاذّ اللغات ومستكره الكلام، لو توسَّعتُ بإجازته لرخَّصتُ لك أنْ تقول: رأيت رجلان[١]، ولقُلْتُ: أرَدتُ عن[٢] تقولَ ذاك؛ ولكنْ وَضَعْنا ما يتكلّم به أهلُ الحجاز وما يختارُهُ فُصحاءُ أهلِ الأمصارِ، فلا تلتفت إلى مَنْ قالَ يجوزُ، فإنّا قد سمعناه، إلّا أنّا نُجيزُ للأعرابيّ الذي لا يتَخَيَّرُ، ولا نُجيزُ لأَهْلِ الحَضَرِ والفصاحةِ أنْ يقولوا: السَّلامُ عليكِم[٣]، ولا: جئتُ مِن عَنْدِك، وأشباهه مما لا نُحصيه من القبيح»[٤].

ومن هنا يتبين أن الاستشهاد أمر يختلف عن التقعيد، إذ يكون الاستشهاد للمطرد وللشاذ؛ وأما التقعيد فعلى ما جرى استعماله جمهرة العرب. فالاستشهاد لا يعدو إثبات استعمال كان في فترة الاحتجاج بالمسموع والمروي عنهم، وما تجاوز تلك الفترة فهو تمثيل يوافق ما استشهد به، وأما ما خالفه فهو لحن، ولذلك اختلف الموقف من مخالفات الشعراء فما كان في عصر الاحتجاج التمس تأويله أو حمل على الضرورة أو الشذوذ، وما كان في غير عصر الاحتجاج عدّ من اللحن.

ومن هنا يتبين أنه لا يقعد بكل قراءة وإن كانت سبعيّة، وقد يقعد بالقراءة الشاذة لموافقتها جمهرة الاستعمال، ولعل هذا ما يفهم من قول ابن جني في بيان غرضه من تأليف (المحتسب) «وضربًا [من القراءة] تعدى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذًّا؛ أي: خارجًا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه

---

(١) من لغات العرب لغة القصر وهي التزام الألف رفعًا ونصبًا وجرًّا.

(٢) أي (أنْ) وهي عنعنة تميم، تنطق الهمزة عينًا.

(٣) هي لغة الوكم، كسر الكاف من ضمير المخاطبين.

(٤) الجواليقي، تكملة إصلاح ما تغلط به العامة، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ص ٤٦.

عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله -أو كثيرًا منه- مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه. نعم، وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنُف بغيره فصاحته، وتمطوه قوى أسبابه، وترسو به قَدَمُ إعرابه؛ ولذلك قرأ بكثير منه مَن جاذب ابن مجاهد عِنَان القول فيه، وماكَنَه عليه، ورادَّه إليه؛ كأبي الحسن أحمد بن محمد بن شَنَبوذ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن مِقْسم، وغيرهما ممن أدى إلى رواية استقواها، وأنحى على صناعة من الإعراب رضيها واستعلاها. ولسنا نقول ذلك فسحًا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم، أو تسويغًا للعدول عما أقرته الثقات عنهم؛ لكن غرضنا منه أن نُرِي وجه قوة ما يسمى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحة الرواية بِجِرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يُرَى مرًى أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له»[١].

والذي يُنتهى إليه أن نصوص العربية في عصر الاستشهاد منها ما يستشهد به على ثبوت الاستعمال ولا يقاس عليه لمخالفته جمهرة الاستعمال، ومنها ما يستشهد به على ثبوت الاستعمال ويقاس عليه لموافقته جمهرة الاستعمال ويكون به التقعيد. فالاستشهاد عام والتقعيد خاص، وأما النصوص بعدُ فما وافق المقعد فهو مثال، وما خالفه فهو لحن.

هل شواهد الشعر أكثر من شواهد الآيات

تسأل سؤالًا كهذا حين تقرأ قول أستاذنا عضيمة رحمه الله «نرى سيبويه يستشهد بالقرآن وببعض القراءات ما تواتر منها

(١) ابن جني، المحتسب، ١: ٣٢.

وما لم يتواتر. ولو قيس استشهاده بالقرآن باستشهاده بالشعر لوجدنا الشعر قد غلب عليه واستبد بجهده، فشواهده الشعرية كما ذكر أبوجعفر النحاس في شرحه للشواهد (١٠٥٠)، وهي في النسخة المطبوعة بمصر (١٠٦١)، على حين أن استشهاده بالقرآن لم يتجاوز (٣٧٣)»[١].

ولعل هذا ما جعل بعض الباحثين المحدثين يتهمون النحو العربي بتقديم الشعر على النثر في بنائهم صرح نحوهم، ومن هؤلاء محمد عيد في قوله «إن الصبغة الشعرية في النحو العربي تسري في مسائله عمومًا سريان الدم في العروق، وهي مسئولة عما تعانيه قواعد النحو من اضطراب، ولنا أن نتصفح مثلا (شرح الأشموني) في أحد أبوابه من غير اختيار، وسيتأكد لدينا أن الشعر كان عاملًا مهمًا في توجيه القواعد والآراء والتخريجات الذهنية المجهدة»[٢]. وبغض الطرف عن اعتماده على كتاب متأخر جاء بعد التقعيد فهو متبع لا مبتدع، وبغض الطرف عن التعميم في مقولته والمبالغة فيها نجد من الباحثين المحدثين من بهرج هذه القضية بدرس لا يعتمد على انطباعات عامة ونظرات عجلى، قال أستاذنا الخثران «ويتضح اهتمام سيبويه بالشواهد القرآنية إذا عرفنا أن المسائل النحوية التي ورد فيها الاستشهاد بالقرآن الكريم تبلغ ما يقرب من (١٨٩) مسألة، اعتمد سيبويه فيها على القرآن الكريم وحده في (١٣٨) مسألة دون أن يسوق معها شعرًا، على حين أورد الاستشهاد بالآيات القرآنية قبل الشواهد الشعرية في (٣٥) مسألة، واستشهد بالآيات

---

(١) محمد عبدالخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث/ القاهرة، ١٩٧٢م، القسم الأول، ١: ٦، وانظر: سيبويه إمام النحاة ٢٣٥.

(٢) محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، عالم الكتب/ القاهرة، ١٩٨١م، ص١٣٧.

القرآنية تالية للاستشهاد بالشعر في (١٦) مسألة»[١]. ومن هؤلاء أستاذنا محمد عبده فلفل في كتابه (اللغة الشعرية عند النحاة) بيّن فيه أنّ النحويين لم يجتزئوا بالشاهد الشعري عند التقعيد وأنّ قولهم بالضرورة الشعرية دليل على أن ليس كل ما جاء في الشعر يقعد عليه[٢]. وكذلك نجد أستاذنا محمد بن عمار درين في بحثه (الصبغة الشعرية للنحو العربي بين الحقيقة والادعاء) بين في ختام بحثه أن الشاهد المنظوم موجود بقوة في أغلب المصنفات النحوية؛ ولكنها أقل بكثير من عدد القواعد المصرح بها في تلك المصنفات، وهي قواعد مبنية بلا شك على المسموع من كلام العرب منظومه ومنثوره بما يدفع شبهة طغيان الشاهد الشعري، وأن ترد عيوب النحو إلى اعتماده على الشعر المتميز بخصائص تميزه من النثر[٣].

والحق أن غياب الفرق بين التقعيد والاستشهاد هو ما يدعو إلى مثل هذا السؤال الذي يوهم أن النحويين اهتموا بالشعر أكثر من اهتمامهم بالقرآن، ولكن المفرق بين الأمرين يدرك أن القرآن كان عمدتهم في التقعيد، وأنّ أمر التقعيد يختلف عن أمر الاستشهاد، فالتقعيد بيان لما يقاس عليه، وأما الاستشهاد فهو بيان لظهور استعمال قد يقاس عليه وقد لا يقاس عليه، ومن أجل ذلك كثرت الشواهد الشعرية لا لسهولة حفظها ولا لكثرة نصوصها بل لكثرة ما يقع فيها من مخالفات يعاند فيها الشاعر ما جاءت

---

(١) عبدالله بن حمد الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار التدمرية/ الرياض، ٢٠١٣هـ، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢) محمد عبده فلفل، اللغة الشعرية عند النحاة، عمان، دار جرير، ط١، ٢٠٠٦م، ص٧٦-٨٥.

(٣) محمد بن عمار درين، الصبغة الشعرية للنحو العربي بين الحقيقة والادعاء، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، م٩، ع٢، ٢٠٠٧م، ص١٢٢.

عليه العربية المشتركة المبنية على جمهرة الاستعمال العربي، وهو ما دعا النحويين إلى الاعتذار للشعراء بأن يقال إن هذا خاص بالشعر، وأن يقال إن هذا ضرورة شعرية، أو هو شذوذ في الاستعمال، والذي ننتهي إليه أن ثمة فرقًا بين أن تثبت بالشاهد ورود الاستعمال وأن تحتج به للتقعيد والقياس عليه.

هل يؤكد بـ(كلا الرجلين)

تلازم (كلا، وكلتا) الإضافة إلى مثّنى معرفة، ويأتيان في وظائف نحوية مختلفة حسب موقعهما من الجملة، فيكونان مبتدأ مضافين إلى الظاهر: كلا الرجلين قادم، وقال تعالى ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف-٣٣]، وكذلك إن أضيفا إلى الضمير، كقول الشاعر:

كلانا غني عن أخيه حياته

ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

وقول الفرزدق:

كِلْتَاهُما أسَدٌ ، إذا حَرّبْتَهَا

ورضاهما وأبيكَ خير معاشِ

ذهب الصيداوي إلى أنهما «يعربان على حسب موقعهما من العبارة: فاعلًا أو مفعولًا أو توكيدًا»[1]، وإن أخذ هذا على ظاهره ظُنّ أنهما يستعملان توكيدًا مضافين إلى الظاهر، فيقال: جاء الرجلان كلا الرجلين، كما يقال: جاء الرجلان كلاهما، ولكن

---

(١) يوسف الصيداوي، الكفاف، دار الفكر/ دمشق، ١٩٩٩م، ص٥٠٠.

عباس حسن قال «فلو أضيفت كلا أو كلتا لاسم ظاهر لم تعرب كالمثنى، ولم تكن للتوكيد»[١]، ولكن هل يكونان صفتين، الحقّ إنّي لم أجد نحو (جاء الرجلان كلا الرجلين)، غير أنّ سيبويه ذكر في (الكتاب) استعمال (كل) مضافة للظاهر صفة قال "ومن الصفة أنت الرجل كل الرجل ومررت بالرجل كل الرجل ... ومثل ذلك قولك هذا العالم حق العالم وهذا العالم كل العالم، إنما أراد أنه مستحق للمبالغة في العلم، فإذا قال هذا العالم جد العالم فإنما يريد [معنى] هذا عالم جدًا أي [هذا] قد بلغ الغاية في العلم، فجرى هذا الباب في الألف واللام مجراه في النكرة إذا قلت: هذا رجلٌ كل رجل، وهذا عالمٌ حق عالم، وهذا عالمٌ جد عالم، ويدلك على أنه لا يريد أن يُثَبِّتَ بقوله (كل الرجل) الأوّلَ أنه لو قال: هذا كل الرجل كان مستغنيًا به؛ ولكنه ذكر الرجل توكيدًا، كقولك هذا رجل رجل صالح، ولم يرد أن يبين بقوله (كل الرجل) ما قبله كما يبين زيدًا إذا خاف أن يلتبس، فلم يرد ذلك بالألف واللام وإنما هذا ثناء يحضرك عند ذكرك إيّاه»[٢].

ولعل نصّ سيبويه واضح في بيان أن (كل الرجل) أو (كل رجل) سيق لتأكيد الاتصاف بمضمون ما أضيفت إليه (كل)، ولعل (كلا الرجلين) يجري مجراها في دلالته، وإن لم نصادف له استعمالًا، فنحن نقيسه قياسًا، والذي نطمئن إليه هو أن قولنا (جاء الرجلان كلاهما) هو في الأصل (جاء الرجلان كلا الرجلين) ولكن استغني عن الاسم الظاهر لتقدمه. وهو من وضع الظاهر في موضع المضمر، قال الرضي «وأما وضع الظاهر

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ١: ١٢١.
(٢) سيبويه، الكتاب، ٢: ١٢.

مقام الضمير، فإن كان في معرض التفخيم جاز قياسا كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة١-٢]، أي: ما هي»[١]، والذي ننتهي إليه أنك تؤكد بقولك: جاء الرجلان كلا الرجلين كما تؤكد بقولك: جاء الرجلان كلاهما، ثمّ إنّي أرى أنّ من الأَولى أن يُعدّ ما يسمى بالتوكيد المعنويّ بدلًا توكيديًّا، أما التوكيد المحض فلا يكون إلا بتكرار اللفظ.

هي الأُولى وهو الأَوْلى

لفظان متطابقان من حيث الرسم الإملائي سوى أنّ أحدهما مضموم الهمزة (الأُولى) وأما الآخر فمفتوح الهمزة ساكن الواو (الأَوْلى)، وكلاهما اسم تفضيل على بناء (الفُعْلى/ الأفْعَل) وهما مختلفان معنى وتصريفًا؛ فالأُولى مؤنث الأوّل، وجذوره (و/و/ل)، غير أن الواو في المؤنث أبدلت بها همزة (الوولى>الأُولى)، ولذلك تجد الهمزة في (الأوّل) زائدة والهمزة في (الأُولى) مبدلة من فاء الكلمة. قال تعالى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ}[الحديد-٣]، {لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ}[القصص-٧٠].

وأما (الأَوْلى) فجذوره (و/ل/ي)، تقول: ولي يلي ولاية، واسم الفاعل والٍ [والي]، واسم المفعول مَوْلِيّ [مولوي]، أدغمت الواو في الياء (مَوْلُوي> مولِيّ)، مثل: رعى يرعى فهو راعٍ ومَرعِيّ.

واسم المكان مَوْلى، قال لبيد:

فَغَدَتْ كلا الفَرجَينِ تَحْسَبُ أنَّهُ

---

(١) الرضي، شرح الكافية، ١: ٢٤١.

ولذا استعير للفاعل والمفعول، جاء في (الصحاح) «والْمَوْلى: الْمُعْتِقُ، والْمُعْتَقُ»[١]. والصفة المشبهة باسم الفاعل (وليّ)، قال تعالى ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[البقرة-٢٥٧]، وأما اسم التفضيل فهو(أَوْلى) أي أقرب، تقول: هذا المكان أولى من ذلك المكان. قال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب-٦]، والمثنى (الأَوْلَيان)، قال تعالى ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾[المائدة-١٠٧]، وجمع التكسير الأوالي وجمع السلامة (الأَوْلَون/ الأولَين)، جاء في الصحاح «وفلان أَولى بكذا أَي أَحْرى به وأَجْدَرُ. يقال: هو الأَولى وهم الأَوالي والأَوْلَوْنَ مثال الأَعلى والأَعالي والأَعْلَوْنَ»[٢].

وأما المؤنث من (الأَوْلى) فهو (الوُليا)، جاء في الصحاح «وتقول في المرأَة: هي الوُلْيا، وهما الوُلْيَيانِ، وهُنَّ الوُلَى، وإِن شئت الوُلْيَياتُ، مثل الكُبْرى والكُبْرَيانِ والكُبَرُ والكُبْرَيات"[٣]. وذكر ابن مالك أنَّ جمع التكسير منه قد تبدل واوه همزة (الوُلى> الأُلى) قال «و[الأُلى] جمع الوُلْيا مؤنث الأَوْلى، مبدل الواو همزة»[٤].

وما نجده عن مؤنث (الأَولى) وهو (الوليا) في كتب اللغة مبنيّ على القياس؛ إذ لا نجد في حدود علمنا الضيق أنه استعمل

---

(١) الجوهري، الصحاح، ٦: ٢٥٢٩.
(٢) الجوهري، الصحاح، ٦: ٢٥٣١.
(٣) الجوهري، الصحاح، ٦: ٢٥٣١.
(٤) ابن مالك، إكمال الإعلام بتثليث الكلام، ص٥٢.

في اللغة ولا نجد له مثنى ولا جمعًا، فهل يفهم من هذا أن لنا أن نشتق المؤنث من كل اسم تفضيل؟ هذا هو الأمر المنطقي، ولكن اللغة ليست عقلًا حسب تعبير أحمد حاطوم، ولذا نجد نزوع لغة المحدثين إلى تعميم استعمال اسم التفضيل المذكر، وإن حُلّي بأل، فيقولون: المدينة الأبعد، والقضية الأهم، والحجة الأقوى، لأنهم لا يستسيغون أن يقولوا: البُعدى والْهُمّى، والْقُوّى. وما يفعله المحدثون معاند لقانون المطابقة بين النعت والمنعوت؛ فهم ينعتون المؤنث بالمذكر، ولذا دعا ابننا الأستاذ عبدالعزيز المقحم في بحثه (المطابقة في اسم التفضيل) إلى اعتماد هذا الاشتقاق على الرغم من الغرابة، قال «مطابقة اسم التفضيل المحلى بـ(أل) لازمة، في جميع صوره (المفرد المذكر والمثنى والجمع، والمفرد المؤنث والمثنى والجمع)، وفي وصف الجمع نلجأ لجمع السلامة إن لم يكن الجمع على (الأفَاعِل) غير مستعمل»[١]. وأرى أن التعود كفيل بجعل تلك الألفاظ مألوفة، وهي ليست بأغرب من كثير من الألفاظ الأعجمية التي يتبادلها المتحدثون غير منكرين لها ولا تعافها أسماعهم.

(ولا) مركب للمفاضلة

ليس إطلاق المفاضلة على المركب (ولا) من وضع النحويين بل هو اسم وضعته؛ لأني لم أجد في وظائف الواو ما أراه ملائمًا لاستعمالها في مثل هذا التركيب (المنيّة ولا الدنيّة) الذي هو عربي أصيل في وضعه متصل في استعماله؛ إذ تقع هذه الواو بين أمرين أحدهما مثبتٌ والآخر منفيٌّ بحرف النفي (لا)، وإن يكن الأمران كلاهما مرغوبًا عنه فهما متفاضلان، كما تفاضل الأمران في قول أبي فراس الحمداني:

---

(١) بحث مقدم لمشروع البحث للماجستير الموازي.

وقالَ أصيحابي: الفرارُ أو الردى؟

فقُلتُ: هُمَا أمرَانِ، أحلاهُما مُرُّ

وأمّا قول العرب (المنية ولا الدنية) فجاء عنه في جمهرة الأمثال «المثل لأوس بن حارثة ... وكانوا يقولون: النار ولا العار»[١]، فلا المنية مرغوب فيها ولا الحياة الدنيّة مرغوب فيها؛ ولكن إن كان لابد فالمنية بشرف أهون من الدنيّة أي الحياة الدنيّة. وجاء شرحه في مجمع الأمثال «أي أختار المنيّةَ على العار ويجوز الرفع أي المنيةُ أحبُّ إليَّ ولا الدنية أي وليست الدنية مما أحِبُّ وأختار»[٢]، وواضح من هذا الشرح تفضيل أمر على أمر على كراهتهما، كما يقال: ويلٌ أهون من ويلين، وكذلك قولهم (النار ولا العار) ليست النار مرادة ولا العار مرادًا؛ ولكن إن كان لابد فالنار على حرها أهون من العار. ومن ذلك (العقاب ولا العتاب)، و(التجلد ولا التلدد)، و(والسيف ولا الحيف)، و(التقلل ولا التوسل). ومن الأمر الذي يستأنس به لدلالة هذا التركيب على المفاضلة كونه سيق مع جمل أخرى تناظره وهي مصوغة على تركيب المفاضلة، جاء في أمالي القالي «المنية ولا الدنية؛ استقبال الموت خير من استدباره؛ الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور»[٣].

نجد هذا التركيب الأصيل متصلًا إلى يومنا هذا؛ فالعامة في الجزيرة تقول (العوض ولا القطيعة)، فالعوض وإن كان مرغوبًا عنه أولى من الخسارة الكاملة بسبب القطيعة من الشيء. ومن أمثالهم (رمح تطعن به ولا رمح توعد به)؛ إذ انتظار المصيبة

---

(١) أبوهلال العسكري، جمهرة الأمثال، ٢: ٢٥٣.
(٢) أبوالفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال، ٢: ٣٠٣.
(٣) أبوعلي القالي، الأمالي، ١: ١٦٩.

لها من الهم ما يفوق وقوعها، ويقولون (منّة الله ولا منّة خلق)، فالمنة تكرهها النفس وتستثقلها، فإن كان لابدّ فمنّة الله الكريم تختار على منّة خلقه، ويقولون (دخانه ولا هبوب شماله) ويقال حين يتحلق القوم على النار الموقدة بحطب قد يكون مبتلًّا فتكثر أدخنته فتؤذي العيون؛ ولكن ذلك أهون من معاناة برد الرياح الشمالية، ويقولون (عتيق الصوف ولا جديد البريسم)، فالجدة ليست هي المعيار بل النوع، فالصوف وإن عتق أنفع من البريسم وإن كان جديدًا، وهي دعوة للتمسك بالقديم النافع، وقالوا (قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق)، وهو مبالغة منهم في التعبير عن أهمية الرزق للإنسان حتى جعل قطعها أشد من قطع الأعناق نفسها. ويقولون (مْقابَل الجيش ولا مْقابَل العيش)، وهو مبالغة في بيان أن الشهوة أمام الطعام قوية لا تقاوم حتى إنها لتفوق مقاومة الجيش.

والأمثال والحكم الشعبية التي جاءت في هذا التركيب التفضيلي كثيرة نذكر طائفة منها من غير تفسير وهي واردة في كتاب الأمثال لعبدالكريم الجهيمان رحمه الله، ذكر منها: بعير مكفوف ولا حمار يشوف، جربوع يخصّني ولا أرنب مشروكة، حمارنا ولا حصان الناس، حمار تركبه ولا حصان يركبك، حمارتنا العرجى ولا منّة نخْولي، كلب ينبح لك ولا كلب ينبح عليك، وطْية الحصان ولا وطْية الحمار، سنة الذباب ولا سنة الغراب، ريح الأم ولا لبن المرضعات، ظلم العدا ولا ظلم القرايب، العلم بالشي ولا الجهل به، اطلع جوعان ولا تطلع عريان، كبر الجهام ولا شمات العدا، ردى العطية ولا جودى العذر، شوي العطا ولا كثير العذر، طق الفقير ولا تشق خْلقه [ثوبه البالي]، جودى السوق ولا جودى البضاعة، القضْب ولا التلمّس، اسأل مجرب ولا تسأل طبيب، ألف حيّة ولا ها الحيّة،

جال الركيّة ولا جال ابن غنام، العمش ولا العمى، بصيص العين ولا عماها، قطع الخشوم ولا قطع الرسوم، ظلام الدور ولا ظلام الجحور، أهن فلسك ولا تهن نفسك، ذيخ ركض ولا ذيب ربض، شبر من ذنب الخروف ولا بوع من ذنب الثور، اقعد نايم ولا تقعد متنيوم، سلك واضح ولا شق فاضح، شين مجمل ولا زين مهمل، طهر وليدك بالفاس ولا تحتاج للناس، عِشّة تضحك فيها ولا قصر تبكي فيه، زلتك بقدمك ولا زلتك باثمك [بفمك].

وليس كل سياق وردت فيه (ولا) تدل فيه على المفاضلة بل قد تكون الواو للعطف، وقد تكون (لا) نافية أو ناهية. من ذلك ما ورد في الأمثال: ما له ثاغيه ولا راغيه، سِلب داب يخوّف ولا يقرص، يموت المتدين ولا يموت دينه، طوّل جدارك ولا تتهم جارك، دشّر الكلب ولا تجدع العصا، احفظ للقوم ولا تصلح لهم، اقضب المفرص ولا تحرص. ولعل القارئ الكريم يعود بما يثري البحث في هذا أو يسدده.

<u>ثالثًا: المسائل المعجمية</u>

إكمال المادة اللغوية

نحن اليوم مدعوون إلى استكمال المادة اللغوية في معاجمنا؛ إذ المعاجم القديمة اعتمدت على بعض ما جمع من اللغة، ولم تر حاجة لإثبات ما يعلم بالقياس، وهو أمر قد يكون ملائمًا في القديم حين كان الناس على مستوى عال من المهارات اللغوية؛ ولكن الأمر اليوم يستدعي تجنب ترك ذلك للاجتهاد الشخصي، فلا بد أن توضع المعجمات المستغرقة كل ما تتيحه أنظمة اللغة القياسية وكل ما استعمل في لغة الناس ولم تتضمنه المعاجم القديمة، وأمر هذا الاستكمال من الأمور التي دعا إليها مجمع اللغة العربية في القاهرة واعتمد عليه في إجازة بعض الاستعمالات الحديثة. وكان

في إطار إكمال المادة المعجمية كتاب (تكملة المعاجم العربية) الذي دونه المستشرق رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، ونقله إلى العربية وعلق عليه محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م، وبلغ ١١ جزءًا. واستدراك ما فات المعجمات القديمة مشروع اعتمده مجمع اللغة الافتراضي بإشراف العالم اللغوي أ.د. عبدالرزاق الصاعدي.

ولعل من المفيد أن أضرب مثالًا على استعمال لفظ ليس في المعجمات القديمة، وهو مما استفدته من العالم المحقق د. عبدالله بن علي الشلّال، ذكر لي المصدر (طرآن) وأنه ليس مثبتًا في مدخل (طرأ) من المعجمات القديمة. وبالبحث نجد أنه مستعمل في بعض كتب النحو المتأخرة، قال ابن مالك «إلّا إن قُدِّرَ طَرآنُ التأنيث»[١]، وقال: «ويكتفى بتقدير طرآن السكون مسبوقًا بحركة في الضرورة»[٢]. وقال ابن الناظم «ولا تنعت المعرفة بنكرة، صونًا لها من توهم طرآن التنكير عليها، وإنما تنعت بالمعرفة»[٣]. وذكر الشلال ورود المصدر في بعض مخطوطات النحو بالياء (طريان). والمصدر بهذا اللفظ كثر استعماله في لغة الفقهاء، جاء في مقدمة تحقيق كتاب (النَّظْمُ الْمُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ) لابن بطال الركبي، قوله «ونبّه إلى أن (طرأ) مهموز، وذلك، لجريان لفظ (الطريان) على ألسنة الفقهاء، وقد ورد كثيرًا في الوجيز للغزالي، كقوله: طريان ما يغير مقدار

(١) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص٣٠٥.
(٢) ابن مالك، شرح التسهيل، ١: ٥٥.
(٣) ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، ص ٣٥١.

الدية[١]، وقد أجازه النسفي في (طلبة الطلبة)، على سبيل تليين الهمزة للتخفيف، ولا وجه لتسهيل الهمزة المفتوحة في مثل الطرآن، وقد خطّأ المطرّزي هذا التسهيل في قوله: وأما الطريان فخطأ أصلًا»[٢].

وأما ما جاء في (طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية) للنسفي فقوله «الْعَجْزُ عَنْ التَّسْلِيمِ مَتَى طَرَأَ عَلَى الْعَقْدِ هُوَ مَهْمُوزٌ وَأَصْلُهُ طَلَعَ وَيُرَادُ بِهِ هَاهُنَا حَدَثَ وَاعْتَرَضَ، وَالطَّرَيَانُ بِالْيَاءِ مُسْتَعْمَلٌ عَلَى أَلْسُنِ الْفُقَهَاءِ فِي مَصْدَرِهِ وَهُوَ عَلَى وَجْهِ تَلْيِينِ الْهَمْزَةِ لِلتَّخْفِيفِ دُونَ الْوَضْعِ»[٣]، وقوله «وَالشُّيُوعُ الطَّارِئُ الْحَادِثُ بِالْهَمْزِ مِنْ حَدِّ صَنَعَ يُقَالُ طَرَأَ أَيْ طَلَعَ وَالْفُقَهَاءُ يَقُولُونَ فِي مَصْدَرِهِ طَرَيَان الشُّيُوع بِالْيَاءِ الْمُلَيَّنَةِ وَلَا وَجْهَ لَهُ فِي الْأَصْلِ إلَّا عَلَى وَجْهِ تَلْيِينِ الْهَمْزَةِ»[٤].

والذي يقصده من تليين الهمزة هو ما يكون من تسهيل للهمزة في الطارِئ أي الطاري؛ إذ حذفت الهمزة وعوض عنها بمطل الكسرة، ولعلهم صاغوا المصدر على (فَعَلان) من الطاري من غير نظر إلى الأصل؛ لأنه لا وجه لأخذه من (الطرآن).

هذا المثال وغيره مما تنطوي عليه أثناء الكتب ومما يتداوله الناس في بيئاتنا اللغوية المتنوعة في الجزيرة جدير بالرصد والبحث وليس ينهض بهذا مثل مجمع لغوي للغة العربية يؤسس

---

(١) الغزالي، الوجيز، ٢: ١٣٢.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، النَّظْمُ الْمُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِيرِ غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ، مقدمة تحقيق مصطفى عبدالحفيظ سَالِم، ص٢٩. وانظر: المطرزي؛ المغرب، مادة: طرأ، ص٢٨٩.

(٣) النسفي، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، ص٦٥.

(٤) النسفي، طلبة الطلبة، ص ١٤٧.

في هذه البلاد، فلعل حكومة بلادنا الرشيدة تسارع إلى ذلك وهي له أهل بإذن الله.

ألفاظ المياسم

تعبر اللغات عن تفاصيل مستعمليها، وهذه عربيتنا الضاربة في عمق التاريخ ذات تراث لفظي هائل معبر عن تفاصيل حياة البادية، وهي تفاصيل ربما ورثتها اللهجات وزادت عليها أو تركت بعضها، ولكن مجتمعاتنا التي مالت إلى حياة المدن وابتعدت عن حياة البادية فاتها ما يتصل بهذه البادية من ثقافة لغوية، فلم يعد الفرد قادرًا على تسمية ما قد يصادفه من نباتات الصحراء إن أتيح له زيارتها زيارة عجلى، ولا هو مميز بين أنواع المطر ولا ما تشتمل عليه ثقافة الوادي من معان وألفاظ، وحسبنا أن نورد هنا جانبًا من هذا الأمر المغيب المجهول لبعدنا عنه ولاستغنائنا عن استعمال ألفاظه.

الوسم أثر كيّ يراد به بيان ملكيّة الحيوان الموسوم لمعرفته إن تعرض لسلب، ومن طرائف ما سمعته أن أحد أبناء المذنب صحب أخاه الأعمى إلى بريدة ليشتريا ناقة، فلما عثر على ناقة أعجبته طلب أخاه الأعمى ليأخذ رأيه بالناقة، فلما تحسسها الأعمى قال لأخيه: الله يعميك، ذي ناقتك التي سرقت منك. عرف الأعمى ذلك من الوسم عليها.

نجد في معجماتنا العربية أسماء مختلفة للوسم حسب موضعه من الحيوان الموسوم، أو حسب شكل الوسم نفسه، من ذلك قول ابن دريد «والْمِحْدَج: ميسَم من مياسم الْإِبِل على أفخاذها»[1]. وقال ابن سيده «والمِحْدَجُ: ميسم من مواسم الْإِبِل.

---

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة (ح د ج).

وحَدَجَه: وسمه بالمحْدَج»(١). ولا نجد تفسيرًا لعلة تسمية الميسم على الفخذ محدجًا، ولعله ميسم يشبه آله الحدج وهي العصا، جاء في (المحيط في اللغة) «وحَدَجَه بالعَصَا: ضَرَبَه بها»(٢). ومنها «والدِّماع: مِيسَم فِي مجْرى الدمع»(٣). «والعِراض: مِيسم فِي عُرْض الْعُنُق من الْبَعِير»(٤) أي في وسط العنق. «واللِّهاز: مِيسم من مَياسم الْإِبِل»(٥)، وسمي بذلك لأنه في اللهزمة، و«اللِّهْزِمَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَالزَّايِ عَظْمٌ نَاتِئٌ فِي اللَّحْيِ تَحْتَ الْأُذُنِ وَهُمَا لِهْزِمَتَانِ وَالْجَمْعُ لَهَازِم»(٦). «والعَلْط: مِيسم فِي عُرْض خدّ الْبَعِير»(٧)، وسمي بذلك من موضعه وهو صفحة العنق، إذ «العِلاطُ، ككِتابٍ: صَفْحَةُ العُنُقِ، وهُما عِلاطانِ، و[العلاط] من الحَمامَةِ: طَوْقُها في صَفْحَتَيْ عُنُقِها بسَوادٍ، وخَيْطُ الشمسِ، والخُصومةُ، والشَّرُّ، وحَبْلٌ يُجْعَلُ في عُنُقِ البعيرِ. وعَلَّطَهُ تَعْليطًا: نَزَعَه منه، وسِمَةٌ في عُرْضِ عُنُقِه، كالإِعلِيط، كإِزْمِيلٍ. ج: أعْلِطَةٌ وعُلُطٌ، ككُتُبٍ. وعَلَطَ الناقةَ يَعْلِطُ ويَعْلُطُ وعَلَّطَها: وسَمَها به، وذلك الْمَوْضِعُ من عُنُقِه: مَعْلَطٌ ومُعْلَوَّطٌ، مفتوحةَ اللامِ والواوِ الْمُشَدَّدةِ»(٨). «والعِراض: مِيسم فِي عُرض الفَخِذ» أي وسطه، «والعراض: وسم بالفخذ معترض»، «والعراض: وسم بالأذن والخدِّ»(٩). وقال الأزهري «وغِفارٌ: مِيسمٌ يكون على الخدّ»(١٠)،

---

(١) ابن سيده، المحكم، (حدج) ٣: ٦٢.
(٢) ابن عباد، المحيط في اللغة، (حج) ٢: ٣٩٦.
(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، (دمع) ٢: ٦٦٤.
(٤) ابن دريد، جمهرة اللغة، (عرض) ٢: ٧٤٨.
(٥) ابن دريد، جمهرة اللغة، (لهز)، ٢: ٨٢٧.
(٦) الفيومي، المصباح المنير، (لهز).
(٧) ابن دريد، جمهرة اللغة، (ع/ل/ط)، ٢: ٩١٦.
(٨) الفيروزبادي، القاموس المحيط، (علط)، ص ٦٧٨.
(٩) الخليل بن أحمد، العين، (عرض) ٢: ٢٩٥.
(١٠) الأزهري، تهذيب اللغة، (غفر)، ١: ٢٩٢.

وسمي بذلك لموضعه، قال ابن سيده «والغَفَر، والغُفَار، والغَفير: شَعر العُنق واللحيين والجبهة والقفا»[(١)]. ومن المياسم الدماع و«الدِمَاع مِيسَم فِي المناظِر سَائل إِلَى الْمَنْحِرْ»[(٢)]، وسمي بذلك لموضعه إذ «الدُّمَاعَ أَثَرُ الدَّمْعِ عَلَى الْخَدِّ»[(٣)]. ومن المياسم «اللِّحَاظُ: مِيسَمٌ من مُؤْخرِ العَيْنِ إِلَى الأُذُن وهُو خَطٌّ ممْدُود، وربْما كانَ لِحَاظَيْن من جانبين، وَرُبمَا كانَ لِحَاظًا وَاحِدًا من جَانب وَاحِد»[(٤)]. و«الذَّابحُ: مِيسَمٌ على الْحَلْقِ فِي عُرْضِ العُنُق»[(٥)]. و«القِصارُ: مِيسمٌ يوسم بهِ قَصَرة العُنق»[(٦)] أي أصلها. «فَأَما الطَّابَعُ فَهُوَ مِيْسَمُ الفَرائضِ، يُقَالُ: طَبَع الشَّاةَ»[(٧)]، والفرائض جمع فريضة أي ما فرض من زكاة الإبل والغنم. «والأثْرة: مِيسمٌ فِي خُفّ الْبَعِير»[(٨)]. و«الصَّليب: مِيسَمٌ فِي الصُّدْغ وَفِي العُنُق، خَطَّان أحدُهما على الآخر، يُقَال: بَعِيرٌ مَصْلوب، وإبل مُصَلَّبة»[(٩)]. قال الأزهري «والخداد: مِيَسمٌ في الخَدِّ»[(١٠)]. ومن المياسم ما يعرف بشكله، قيل «ورِجْلُ الطائِرِ: ميسَمٌ»[(١١)]. وذكر ابن السكيت من المياسم الخباط، قال «وأما الخباط فهو خط معترض في الفخد»[(١٢)]، «والمحجن خط في طرفه مثل محجن العصا أينما

---

(١) ابن سيده، المحكم، (غ/ف/ر)، ٥: ٥٠٠.
(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، (دمع)، ٢: ١٥٣.
(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة،(دمع) ٢: ٣٠١.
(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، (لحظ)، ٤: ٢٦٤.
(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، (ذبح)،٤: ٢٧٣.
(٦) الأزهري، تهذيب اللغة، (قصر)،٨: ٢٨٠.
(٧) الأزهري، تهذيب اللغة، (طبع)،٩: ١٥.
(٨) الأزهري، تهذيب اللغة، (روق)، ٩: ٢١٨.
(٩) الأزهري، تهذيب اللغة، (صلب)، ١٢: ١٣٩.
(١٠) الجوهري، الصحاح، (خدد)، ٢: ٤٦٨.
(١١) الجوهري، الصحاح، (رجل)، ٤: ١٧٠٤.
(١٢) ابن السكيت، الكنز اللغوي في اللسن العربي، ١٣٤.

وضع من الجسد»[١]، والمحجن هو الحجنة المعروفة وهي عصا ذات فرعين على هيأة الرقم ٧، ولها غير استعمال فقد تشد إلى مرس أو شبكة لتكون خطّافًا يشد الأحمال، وقد تثبت في نهايتيها سيران من المطاط بينهما رقعة جلد لتستعمل أداة صيد للطيور أو رجمها. وقال ابن السكيت «والخطاف أن يُخط خط حيثما كان ثم يعوج له رأس كذا ورأس كذا كأنه كلاب رحل، والمشط ثلاثة خطوط يفترق رؤوسها من أعلى ثم تجتمع، والخطام ميسم على أنف البعير يقال ناقة مخطومة، والمحلق الذي في عنقه حلقتان»[٢]. وذكر ابن السكيت طائفة من المياسم، قال «ومن المواسم العتيقة التي في النجائب مواسم بالشفار وبالمرو، ومنها الحزّة وهي حزة تحز بشفرة في الفخذ أو العضد ثمّ تفتل فتبقى كالثؤلول، ومنها الجرفة وهي حزة أعظم من هذه تحز ثم ترفع فتستبين شاخصة، ومنها القرعة وهي قرعة بشفرة أو بمروة تكون على الساق أو العضد، ومنها القرمة وهي حزة تحز على أنف البعير ثم تفتل فتبقى قائمة كأنها زيتونة، وهي من مواسم الشاء، والترعيل من مواسم الإبل يقال ناقة رعلاء وأينق رعل وهو أن يشق شقة من أذنها ثم تترك مدلاة»[٣]. وقال «ومن المواسم الإقبالة والإدبارة والناقة مقابلة مدابرة، وهو أن تشق أذن البعير من مقدمها ثم تفتل فتصير مثل الزنمة، فهذه المقابلة، فإذا شقت من خلفها وفتلت فهي المدابرة، والخرق والشرق من الغنم دون الإبل، والخرق أن تفرض قطعة من وسط الأذن فتبقى خريقة

(١) ابن السكيت، الكنز اللغوي في اللسن العربي، ١٣٤.
(٢) ابن السكيت، الكنز اللغوي في اللسن العربي، ١٣٤.
(٣) ابن السكيت، الكنز اللغوي في اللسن العربي، ١٣٤.

فتسمى خرقاء، والشرق أن يُشق شق في الأذن فتسمى شرقاء، والصيعرية ميسم كان للملوك»[١].

سردت ذلك على الرغم من أنه قد يهب مللًا للقارئ لأبيّن مدى ابتعادنا عن كنوز لغتنا ومفردات حياتنا الماضية، والمتأمل في عربيتنا المعاصرة يدرك بوضوح أنها ليست على مستوى تراثها الضخم من حيث ما يستعمل من ألفاظ؛ ولذلك مات كثير من الألفاظ وبهت ما بينها من اختلاف في معانيها. وهو أمر جدير بالمعالجة.

معاني الألفاظ بين المعجم والاستعمال المعاصر

قد يتوهم الإنسان أن بين ما يستعمله من الألفاظ ويجده في التراث مطابقة في المعنى حتى إذا فتش في المعجم وفحص تبين له أن المعنى غير المعنى؛ إذ قد يناله تخصيص بعد تعميم أو تعميم بعد تخصيص، أو اختلاف بيّن كأنه من قبيل المشترك اللفظي، ولعل من المفيد أن أعرض لبعض نصوص معجمية لنرى كيف تغير معناها على ألسنة الناس.

من ذلك ما جاء في معجم (جمهرة اللغة) «الطَّفَف: التقتير، طفَّف عَلَيْهِ تطفيفًا، إذا قتّر عَلَيْهِ»[٢]. وجاء في معجم (ديوان الأدب) «ويُقالُ: هو الوَشيقةُ وشَيْءٌ طَفيفٌ»[٣]. وأوجز لنا ابن فارس المعنى قال في (مقاييس اللغة) «الطَّاءُ وَالْفَاءُ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: هَذَا شَيْءٌ طَفِيفٌ. وَيُقَالُ: إِنَاءٌ طَفَّانُ، أَيْ مَلْآنُ.

---

(١) ابن السكيت، الكنز اللغوي في اللسن العربي، ١٣٥.
(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، ٢: ١٠١١.
(٣) الفارابي، ديوان الأدب، ٣: ٧٧.

وَالتَّطْفِيفُ: نَقْصُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ»[١]. وأما في استعمال الناس اليوم فنجد معنى جديدًا هو الرغبة الطارئة في الشيء أو الشخص، فيقال «طفّ بالشيء، وهو طافّ به» إذا تعلق به فجأة، وفي هذا القول إشارة إلى أنّ هذا التعلق مؤقت قد يعقبه فتور وازورار، حتى إنهم ليعبرون عن مثل هذا الفعل بأنّه (طفّة). وقد أثبت هذا الاستعمال الشيخ محمد بن ناصر العبودي «والطَّفَّة في الشيء: الإقبال الشديد عليه الذي يعقبه تركه وإهماله. (طَفَّ) فلان بفلان: احتفى به وأكرمه إكرامًا زائدًا عن المعتاد. ولكن كان ذلك إلى أجل حيث أهمله ونسيه بعد ذلك»[٢].

ومن أمثلة هذا أيضًا ما جاء في (جمهرة اللغة) «طمَّ الْمَاءُ يطم طمًّا وطمومًا إِذا ارْتَفع. وكل شَيْء أفْرطَ فِي ارْتِفَاعٍ فقد طمَّ. وطمَّ الْفرسُ طَميمًا إِذا عدا عدوًا سهلًا. وطمَّ شعرَه طمًّا إِذا أَخذ مِنْهُ»[٣]. وجاء في معجم (لسان العرب) «والطَّمُّ: طَمُّ الْبِئْرِ بِالتُّرَابِ، وَهُوَ الكَبْس وطَمَّ الشَّيْءَ بِالتُّرَابِ طَمًّا: كَبَسه. وطَمَّ البئرَ يَطِمُّها ويَطُمُّها؛ عَنِ ابْنِ الأَعرابي: يَعْنِي كبَسَها. وطَمَّ رأْسَه يَطُمُّه طَمًّا: جَزَّه أَوْ غَضَّ مِنْهُ»[٤]. والمقصود بكبس البئر ردمها، جاء في معجم (تاج العروس) «كَبَسَ البِئْرَ والنَّهْرَ يَكْبِسُهُمَا كَبْسًا: طَمَّهُما ورَدَمَهُمَا وطَوَاهُما بالتُّرابِ، وكذلِك الحُفْرَةَ»[٥]. وأما الفعل (طمّ) في استعمال الناس فمختلف، فهو يعني (سقَفَ)، جاء في (كلمات قضت) «الطمام: الطين الذي يوضع على سقف

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣: ٤٠٥.
(٢) محمد بن ناصر العبودي، ، كلمات قضت، (ط/ف/ف).
(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ١: ١٥١.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ١٢: ٣٧٠.
(٥) الزبيدي، تاج العروس، ١٦: ٤٢٥.

المنزل، طمّ العامل الغرفة بمعنى سقّفها ووضع الطين الذي ييبس فيصير سقفًا لها»[١]، وليس يسهل ربط المعنيين في (الطمّ بمعنى الردم) و(الطمّ بمعنى السقف) من غير تكلف ملاحظة شبَه البيت من غير سقف بالبئر المفتوحة، وأنه بعد السقف والتغطية أشبه البئر المردومة والجامع أنّك لا ترى جوف البيت المسقوف ولا جوف البئر المردومة المكبوسة.

ومن ذلك استعمال الفعل (عاز)، نجد في معجم (المحكم) «عازَني الشَّيْء وأعْوَزَني: أعْجَزني على شدَّة حَاجَة وَالِاسْم العَوَزُ»[٢]. فالفعل مرتبط بالعجز والإعجاز وهو مسند للشيء المعجِز، وأما في استعمال الناس اليوم فانتقل الإسناد إلى المفعول به في الأصل، وهو الشخص، على نحو من المطاوعة للفعل؛ إذ يقولون (اعتاز الإنسان الشيء) ،كأنّ التحول جاء من (عازني الشيءُ فاعتزتُ الشيءَ)؛ ولكن الفعل بالتحول اللفظي وهب معنى جديدًا بملابسته الحاجة فصار الفعل (اعتاز) بمعنى احتاج والعازة بمعنى الحاجة، ولا يخفى أنَّ في الحاجة عجزًا سوغ استعمال العازة، وثمة فرق دقيق بين العوز والحاجة في الأصل؛ فالعوز هو العجز المصحوب بالحاجة لا الحاجة نفسها، ثمّ غاب هذا الفرق في استعمال المحدثين الذين سوّوا بين العوز والحاجة، فأنت تسمعهم يقولون: هذا ما له عازة، أي حاجة، وما يعتاز أي ما يحتاج.

ومن أمثلة ذلك الفعل (عبط) ومشتقاته، جاء في الصحاح

---

(١) العبودي، كلمات قضت، (ط/م/م).

(٢) أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقق: عبدالحميد هنداوي (دار الكتب العلمية/ بيروت، ط:١٢٠٠٠ م

«وعَبَطْتُ الناقةَ واعْتَبَطْتُها، إذا ذبحتها وليس بها علَّة فهي عَبيطَةٌ، ولحمها عَبيطٌ. وعَبَطَ فلان، إذا ألقى نفسَه في الحرب غير مُكْرهٍ. والعَبيطُ من الدم: الخالص الطريُّ. والعَبْطُ: الكذِبُ الصُراحُ من غير عُذْر. يقال اعْتَبَطَ فلانٌ عليَّ الكذب»[١]. وأمّا (العبط) في استعمال الناس اليوم في الجزيرة فيدل على العجن بالأصابع أو بالجمع لتليين ما يراد عجنه ليختلط ويتجانس محتواه، ومنه عبيط التمر أي المعبوط.

ومن أمثلة ذلك (العجّ) و(العجاج). فاستعمال الناس اليوم متعلق بالغبار وما تثيره الرياح من الرمال والأتربة، ولكنا نجد في المعاجم القديمة دلالة اللفظ على الصوت، جاء في معجم (العين) «العَجُّ: رفع الصوت، يقال: عَجَّ يَعِجُّ عجًّا وعَجِيجًا»[٢]، ولكنا نجده يثبت المعنى المتصل في استعمال الناس «والعجاج: الغُبار، والتَّعجيجُ إثارةُ الريح الغبار، وفاعِلُه العَجَّاجُ والمِعْجَاجُ، تقول: عَجَّجَتْهُ الريحُ تَعْجِيجًا، وعَجَّجْتُ البيت دخانًا حتّى تَعَجَّجَ، أي امتلأ بالدخان»[٣]. فالفعل له معنيان استمر أحدهما وتخلف الآخر وهذا تخيّر مستعملي اللغة فهم يحيون منها ما يستعملون ويميتون منها ما يهملون. والأمثلة على ذلك كثيرة، ولذا نجد أنّ درس العلاقة بين التراث المحفوظ والاستعمال الملفوظ من مهمات أبناء العربية والباحثين، كما أنّ من مهماتهم ضمّ ما جدّ من استعمال ألفاظ وضعها الناس وضعًا وليس لها في المعاجم تقييد وهي جديرة بالتقييد والاستعمال.

---

(١) الجوهري، الصحاح، ٣: ١١٤٢

(٢) الخليل بن أحمد، العين، ١: ٦٧.

(٣) الخليل بن أحمد، العين، ١: ٦٧.

رابعًا: مسائل الرسم الإملائي

ابن سِيْدَه بالهاء لا بالتاء

خلط الناس قديمًا، وما زالوا يخلطون وأنا منهم، في كتابة (ابن سيده)؛ فقد يكتبونه بالهاء أو بالتاء، وفي يوم الخميس ٢٣ محرم ١٤٣٦هـ كنا نناقش رسالة الدكتوراه لابنتنا عزة بنت علي الشدوي الغامدي، وعنوانها "الأداة (حتى) في العربية: دراسة تركيبية دلالية تداولية"، وشاركنا في المناقشة أستاذنا القدير أ.د. إبراهيم الحندود من جامعة القصيم، وكان مما أفاده من ملحوظات قيمة التنبيه إلى الخطأ في كتابة كنية اللغوي (علي بن إسماعيل المرسي) فذكر للطالبة أنّ كنيته (ابن سيده) بالهاء لا بالتاء؛ ولكنّي للأسف الشديد رجعت حين أعطيت الكلمة مستأذنًا أخي بالقول إنه يكتب بالتاء، وأنّ الذين ترجموا له نصّوا على أنها منقوطة بنقطتين من فوق، نظر أستاذنا إليّ بدهشة ظاهرة؛ ولكنه لكرمه وسمو خلقه لم يراجعني في ذلك، غير أنّي شككت في الأمر على الرغم من أني نقلت قبل أيام نصًّا من شذرات الذهب منقولًا عن ابن خلّكان ينص فيه على كتابة الاسم، ليس من عادتي التوقف في ملحوظات الزملاء المناقشين؛ ولكن ثقتي بسعة صدر أخي هي ما جعلني أرتكب هذا الخطأ، رجعت لأتحقق من النص الذي نسخته من شذرات الذهب، فإذا هو ينقل عن ابن خلّكان قوله «وسيده: بكسر السين المهملة وسكون التحتية وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة»[1]. فالقول ما قاله أستاذنا الحندود، فلعله يقبل

---

(١) أبوالفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط (ط١، دار ابن كثير/ دمشق – بيروت، ١٩٨٦م، ٥: ٢٥١.

أسفي واعتذاري عن خطأ ووهم لا أعلم كيف تمكن من نفسي هذا التمكن الغريب.

كنت قبل سنوات مضت قد اطلعت على كتاب الدكتور عبدالكريم شديد النعيمي عنوانه (ابن سيده آثاره وجهوده في اللغة)، وأذكر أنه توقف عند كتابة كنية هذا اللغوي الضرير الذي صنّف لنا معجمين من أهم معاجمنا العربية أحدهما معجم ألفاظ هو (المحكم والمحيط الأعظم) والآخر معجم معان هو (المخصص)، جاء عن الكنية قوله «وهي محل خلاف، فمن المؤرخين من جعلها (ابن سيده) بالهاء الساكنة، ومنهم من جعلها منتهية بتاء التأنيث فتكون على هذا (ابن سيدة) ممنوعة من الصرف»[١]، ونبّه الباحث إلى أن هذا الخلاف مفهوم من ورودها في الكتب المطبوعة أو المخطوطة، وأنّ هذا مظنة التحريف فلا يعتمد عليه في معرفة مذهب المؤرخين، وأنّ المعتمد عليه ما ورد عند من نصّ على كيفية كتبه، وهم قلّة كابن خلّكان[٢]. وذكر قول الخوانساري «وأما ابن سيدة بصيغة التأنيث فكنية ...»[٣]، والخوانساري يورد ضبط ابن خلكان سوى الهاء، وأشار النعيمي إلى تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد في نشرته لوفيات الأعيان على قول ابن خلّكان، وهو أنه يريد بالهاء الساكنة التاء المربوطة مستندًا إلى ضبطه "لدانية وطنجة ولبلة" وتعبيره عن ذلك بأنها منتهية بالهاء الساكنة، ولكن يرى النعيمي أنها أسماء مدن أجنبية في الأصل لا تاء فيها، وأن العرب عربتها بما يشاكل لفظها أي بفتحة وهاء وليس في كتبها بتاء مربوطة دليل على أصلها.

---

(١) عبدالكريم شديد النعيمي، ابن سيده آثاره وجهوده في اللغة (وزارة الثقافة والإعلام العراقية/ بغداد، ١٩٨٤م) ص٢٢.

(٢) ابن خلكان، وَفَيات الأعيان، ٣: ٣٣١.

(٣) الخوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلامية/ بيروت، ١٩٩١م) ٥: ١١٣.

وينتهي إلى ترجيح ضبط ابن خلكان، ويرى أن (سيده) مركبًا من سيد وضمير الغائب[١]، وذكر مذهب المستشرق كولان المتخصص بلهجات الأندلس إلى استحسان قراءة (سيده) بضم الدال، وعضد النعيمي هذا بلفظ المصريين المعاصرين الاسم (عبده) بضم الدال[٢]، والملاحظ أنّ هذا النطق شائع عند غير المصريين بل من اللهجات ما حذفت الهاء ومطلت الضمة كما في اسم صديقنا النحوي المبدع (محمد عبدو فلفل)، وكان يمكن أن يسوغ نطقه بضم الدال (سيدُه) لولا نصّ ابن خلكان على فتح الدال الذي لا يجعل مجالًا لمثل ذلك.

والطريف أني حين رجعت إلى ثبت المراجع والمصادر في أعمالي المتواضعة وجدتني ملتزمًا بكتابة (ابن سيده) بالهاء لا بالتاء.

---

(١) النعيمي، ابن سيده، ص٢٣.
(٢) النعيمي، ابن سيده، ص٢٣، ح١٧.

الفصل الثاني

كتب وبحوث ولقاءات

أولًا: في الأعمال اللغوية والتراثية

أثر اللسانيات في تعليم اللغات

على الرغم من النقود التي وجهت إلى النحو العربي استمرّ اعتماده، خصيصى النحو المالكي، وأدرك النحويون واللسانيون أن اللسانيّات لم تستطع أن تأتي بنحو تعليميّ بديل عن النحو العربي المعياريّ، ولعل ذلك كان لغلبة نزعة المحافظة والتقليدية على الذهن العربي والشرقي عامة، ولأن اللسانيات نفسها لا تكاد تستقر فمدارسها تتابع تتابعًا تكاد تنسخ به الخالفة السالفة؛ ولكن الأمر الجلي الذي لا يمكن أن يغفل أن لهذه اللسانيات أثرها البالغ في تعليم اللغات للناطقين بها أو بغيرها بما ابتكرته من طرائق ناجعة إن أحسن استعمالها، ولعل من أوفى الأعمال التي شرحت هذه المسألة كتاب د. رضا الطيب الكشو (توظيف اللسانيات في تعليم اللغات)، وقد أحسن (مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية) أن نشره لما اتصف به من شمول واستقصاء وعمق ووضوح وحَيدة.

اهتم الكتاب ببيان أثر اللسانيات في تعليم اللغات انطلاقًا من كون اللغة بنية هي جملة من العلامات ذات العلاقات المترابطة، والسعي بعد ذلك إلى اتخاذ منهج علمي لإعداد مادة تعليمية صالحة، وكان اتجاه البنيوية نحو النظر إلى اللغة نظرة وصفية راهنة آخذة بالاعتبار الملفوظ والمكتوب داعيًا إلى مراعاة

الشيوع في استعمال الألفاظ والتراكيب، وفصّل المؤلف هذا في الفصل الأول عن (القوائم اللغوية)، وبهذا الإجراء اقتربت مادة تعليم اللغة من حياة الناس فظهرت جدوى تعلم اللغة وأمكن أن يكون متعلمها، من الناطقين بغيرها، أقدر على التواصل، وجاء الفصل الثاني (التدريبات البنيوية) ليؤسس منهجًا دقيقًا في إعداد المادة التعليمية المتدرجة في أغراضها؛ ولكنه موافق لتدرج المسائل النحوية الدائرة في فلك اللغة من دون احتفال بمقتضيات التواصل. واستفاد معدو المواد التعليمية من تركيز البنيوية على كون اللغة نظام من العلامات المتماسكة بعلاقات محكمة التي من مظاهرها إمكان الاستبدال، والتصنيف والجدولة، فكان المتعلم أثناء تعلمه كاللغوي السابر أغوار اللغة، وبنيت التدريبات اللغوية وفاقًا لهذه النظرة البنيوية، ولما كان الدارس يتأثر في تلقيه بما وقر في نفسه من عادات لغته الأم اهتمت اللسانيات بالتحليل التقابلي للغة، وفصّل المؤلف ذلك في (التحليل التقابلي) وهو تحليل يكشف عن التماثل أو التغاير بين اللغتين من حيث أصواتها وتراكيبها ودلالاتها، وروعي هذا في تأليف المقررات التعليمية بما يحقق الغرض ويتجنب صعوبات المغايرة، على أن تلك الصعوبات قد لا تكون عائقًا في تعلم اللغات، وهذا ما دعا إلى اتجاه آخر وهو مراقبة ما يقع فيه المتعلم من أخطاء ليكون منطلقًا للتعليم، وفصل المؤلف هذا في الفصل الرابع (تحليل الأخطاء) في استعمال الأصوات والأخطاء في التراكيب كتقديم النعت على المنعوت وتعريف المضاف واستعمال حروف الجر، وكذلك الأخطاء الدلالية مثل اتساع دلالة الكلمة والمبالغة في التعميم، ونجد في الفصل الخامس (لسانيات المدونات) دعوة للاستفادة من الإنجاز الحاسوبي لمدونات لغوية تضمنت كمية هائلة من النصوص المتنوعة وهي جديرة بالاستثمار مع توخي الحذر في ذلك؛ لأنها إنجازات لم تهدف إلى تعليم اللغة، وتوقف المؤلف

بإيجاز عند تلك المدونات وعرض لبعض البرامج والتطبيقات الحاسوبية وجملة من البحوث المعتمدة على المدونات، ومن حسنات لسانيات المدونات التي بينها المؤلف كونها تمثل الواقع اللغوي وأشكال استعماله، وأنها تتسم بتنوعها وأنها معتمدة على الدقة الحاسوبية وأن الحاسوب قد يظهر ما قد يخفى عن الإنسان، وأما الفصل السادس (اللسانيات والتعليمية بين التعاضد والتواتر) فهو أقصر فصول الكتاب وعرض فيه ثلاثة إسهامات هي ما ورد سابقًا من سمات منهج البنيوية وطرائق تحليلها اللغوي. وقد دعا المؤلف في خاتمته إلى «اتّباع منهج تأليفي ينبني على البنيويّة والتواصلية مع تجنّب سلبيات كلّ مذهب؛ لأن مثل هذا التوجّه يضمن القدرة اللغوية والتواصليّة في الوقت نفسه» وحذر المؤلف من الاقتصار على التواصلية وحدها.

تحية تقدير للدكتور رضا الطيب الكشو لإثراء المكتبة العربية بهذا الكتاب القيم الجدير بالقراءة حقًّا.

الأسمائية

لم تعد دراسة الاسم العلم مجرد موضوع نحوي جزئي يعرض عند الحديث عن المعرفة والنكرة من الأسماء لما لذلك من أثر في أحكام نحوية أخرى كالابتداء والخبر والحال وصاحبه والمصروف والممنوع من الصرف، ولم تعد جزءًا من موضوع فقهي فيعالج في إطار ما يجوز التسمي به وما يجوز تغييره كما في كتاب (تحفة المودود في أحكام المولود) لابن قيم الجوزية؛ إذ تعدّت دراسة الأسماء ذلك لتكون موضوع موسوعات كموسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، ولتكون موضوع كتب ورسائل علمية تعالج أسماء الناس وأسماء الأماكن، وأما في اللسانيّات الحديثة فصارت دراسة الأسماء عِلمًا من علوم اللسانيات هو

(الأسمائية)، ولعل خير ما يقدم لنا هذا العلم ويفصل مفرداته الكتاب الذي تفضل بإهدائه إليّ ابننا الأستاذ فهد العايد. وأما الكتاب فهو (الأسمائية في اللسانيّات الحديثة بين النظرية والتطبيق) كتبته زكيّة السائح دحماني، ونشرته كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنّوبة-تونس، عام ٢٠١٤م، وقدم له أستاذنا إبراهيم مراد.

ذكرت المؤلفة أن الأسمائية فرع من فروع المعجمية، نقل مصطلحه إلى العربية إبراهيم مراد، وتهتم الأسمائية بدراسة الاسم العلم لغويا في ثباته وتحوله وتتفرع عنها علوم جزئية تعنى بالاسم العلم أدبيا ولسانيا.

جعل كتاب الأسمائية في بابين يعالج أحدهما القضايا النظرية، ويعالج الآخر القضايا التطبيقية. وفي الباب الأول (الأسمائية اللسانية) خمسة فصول، عرف الفصل الأول (حد الاسم العلم) الاسم العلم عند اللغويين العرب القدماء وعند اللسانيين الغربيين، وجعل الفصل الثاني (مفهوم الأسمائية المجازية) للحديث عن تعريفها وأصنافها وعلاقتها بالدلالة حيث تولد ألفاظ معجمية مستمدة من الأعلام، وأما الفصل الثالث (الاسم المحول والاسم الثابت) فهو درس لما يثيره العلم المحول والاسم الثابت من قضايا، فمن الأعلام ما تحول للدلالة على صفة غلبت عليه فيدل أشعب على الطمع وحاتم على الكرم وباقل على العيّ وإياس على الذكاء، وربما سميت الأشياء والأماكن بأسماء ملاكها أو مبتدعيها. وأما الفصل الرابع فهو (الاسم العلم بين التحجر والدلالة)، ونجد في هذا الإطار مذهبين أما أحدهما فيرى الاسم ليس له معنى بل هو مجرد لفظ يشير إلى شخص أو شيء، ونجد

مذهبًا آخر يرى أن له دلالة فليس مجرد تتابعات صوتية خاوية بل يكتنز تاريخه المكتسب من أبرز من سموا به. والعلم دال بوجه من الوجوه فهو يدل على المسمى من حيث هو ذكر أو أنثى والعلم منه قديم تراثي ومنه حديث، وفيه دلالة على الأصالة أو العجمة. وختم الباب الأول بالفصل الخامس (الاسم العلم بين المعجم والقاموس)، وهنا تفريق بين العمل المعجمي المعالج للاسم بوصفه لفظًا موضوعًا لمعنى لغوي قبل نقله للعلمية، وأما العمل القاموسي فهو تعريف للاسم العلم بعد نقله للعلمية، فنجد في هذا السبيل كتب التراجم والطبقات والوفيات، وثمة ما عالجها معالجة دلالية مثل كتاب الاشتقاق لابن دريد والمبهج في أسماء شعراء الحماسة لابن جني.

يأتي الباب الثاني دلالة الأسمائية الأدبية في أربعة فصول، عالج الفصل الأول (التعريف والتحول) وفيه حديث عن أهمية العلم في الأثر الأدبي من حيث دلالته الإخبارية والتضمنية والرمزية، وهنا تبرز علة تخير أسماء الشخصيات الأدبية، وتضفي الأسماء الحقيقية للأماكن مثل الأندلس وبغداد وحيفا شيئًا من الواقعية للعمل الأدبي، وللعمل الأدبي أثره في إكساب اسم الشخصية فرادة بما يحاط به من صفات وما يلابسه من ظروف ثم إنه بها يتحول إلى رمز يمثل تلك الصفات المكتسبة. وبالمقابل قد تستبدل بالأعلام في الخطاب أسماء عامة مثل خنزير أو كلب أو حمار، كل ذلك لما تؤديه من وظيفة تواصلية حاملة على أغراض دلالية كالشتيمة وغيرها. وأما الفصل الثاني (وظيفة الاسم العلم ومحدداته) فعالجت المؤلفة فيه الأسماء في جملة نصوص منها موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح والشحاذ

لنجيب محفوظ وشرق المتوسط لعبدالرحمن منيف، ووقفتنا على أثر تكرار الأسماء وتعريف الشخصية الأدبية وآليات التعيين التي هي جملة الأوصاف والمحددات الأخرى من ضمائر وأسماء إشارة وهي تربط العلم بالنص ربطًا محكمًا، ويأتي الفصل الثالث (دلالة الاسم العلم الأدبي) حيث يكتسب الاسم العلم في النص الأدبي ما يدل به على معنى خاص تفوق إشارته إلى مسمى، فشخصية عمر في الشحاذ لنجيب محفوظ رمز للفناء لا الحياة والتعمير المرتبط بالمعنى المعجمي لعمر. واختيار أسماء الشخصيات قد لا يكون اعتباطيًا بل هو جزء من فن السرد نفسه. ويعالج الفصل الرابع (الشخصيات وعلاقة الاسم بالمسمى) أصناف الأسماء الأعلام فهناك أسماء أخبار وأسماء إيحاء، وهدف الأولى مشاركتها في السرد للوقائع وأما الإيحائية فهي منتقاة لما يكمن فيها من معنى يوحي به لفظها. وتعتمد الروايات على المزاوجة بين الواقع والخيال في استعمال الأعلام.

ولسنا نزعم بما قدمناه أننا أحسنا عرض مضمون الكتاب؛ لأنه مكتنز بالتفاصيل التي يعسر أن تزوى في هذا المقام، ولا بدّ للقارئ من الوقوف عليها والكتاب جدير بالقراءة بحقّ.

التفكير المقاصديّ بين النحويين والأصوليين

هذه رسالة علمية استكمل بها ابننا الدكتور نايف بن عبداللطيف مبارك الهبوب متطلبات درجة الدكتوراه.

يثير عنوان هذه الرسالة أسئلة منها لمَ التفكير لا الفكر، ولمَ المقاصديّ لا القصديّ، ولعل إرادة التعبير عن التعدد هي ما اقتضت هذا الاستعمال، فالتفكير مصدر الفعل فكّر، وإنما يعبر بالتضعيف لكثرة الفاعل أو كثرة المفعول أو كثرة الفعل نفسه،

وعلى الرغم من أن الأصل النسب إلى المفرد ساغ النسب هنا إلى الجمع لتعدد تلك المقاصد وتنوعها، ويلاحظ القارئ أن النحويين مقدم ذكرهم على الأصوليين في هذا العنوان حتى إذا شرع يقرأ الرسالة وأوغل فيها وجد أن الأصوليين مقدمين في الذكر على النحويين تقديمًا مطّردًا، وهو قد يرى بعد ذلك أن لو كان لفظ الأصوليين مقدمًا في العنوان أيضًا، ولكن يشفع لذلك أنّ واو العطف في استعمال العرب لمطلق الجمع غير مراد بها الترتيب حتمًا وإن كان الترتيب أولى. وتقديم الباحث الأصوليين في ثنايا بحثه موفق؛ لأن البحث النحويّ جاء في ساقة العلوم الإسلامية ابتداءً من فهم نص القرآن والسنة ثم تفهم ما فيهما من شريعة وفقه، وكان الفقهاء أسبق إلى وضع أصول الفقه حتى إذا جاء الأنباري لتدوين أصول النحو التي استعملت منذ كان النحو عمد إلى أصول الفقه وجعلها أصولًا للنحو مركبًا عليها مُثُلًا نحويّة، ومن هنا تأتي أهمية موضوع هذه الرسالة التي تجلي القواسم المشتركة أو المختلفة بين تفكيرين: تفكير أصوليّ وآخر نحويّ؛ إذ كانا من منبع واحد.

يعلم المتصلون بالنحو أن من الأصوليين من كتب في النحو حتى عُدّ من كبار النحويين كالسهيليّ والقرافي، والباحث عدّ السهيليّ في عداد النحويين، وانطلاقًا من هذه الجهود الأصولية المعروفة قد يتوقع قارئ عنوان الرسالة أنّ البحث مقصور على التفكير المقاصديّ بين النحويين ومن ضرب بسهم في النحو من الأصوليين، أي إن البحث نحويّ خالص آخر الأمر؛ ولكنه لا يكاد يمضي في قراءة هذا العمل الجليل حتى يدرك أنه موازنة بين تفكيرين تفكير أصولي وتفكير نحوي، بل ربما جار الحديث عن التفكير الأصولي على التفكير النحويّ.

درس التفكير المقاصديّ واسع الجوانب متعدد الاتجاهات؛ إذ المقاصد قد تعني الأهداف إن كان المراد ما يُقصد إلى تحققه، وقد تكون المقاصد العلل إن كانت تفسيرًا للأفعال، وهو في الدرس اللغوي درس لجانب من جوانب علم استعمال اللغة.

بنيت هذه الرسالة بناءًا منهجيًّا ابتداء بالتمهيد الذي بيّن جملة من المقدمات المعرفية حول التفكير المقاصديّ: مفهومه، ودلالاته الصرفية، ومسيرة التفكير المقاصدي بين الأصوليين والنحويين، وجاء الفصل الأول من الرسالة ليعالج المفاهيم والأنواع، ومن أبرز ما جاء فيه علاقة المقاصد بعلمي أصول الفقه والنحو، وعالج الفصل الثاني الأدوات المنهجية من وسائل استدلال وقواعد، وشروط، وتعارضات، وأما الفصل الثالث فدراسة تحليلية في المقاصد عالج فيه الجانب الأصولي والجانب النحويّ، ونجد في الجانب النحوي قصدهم إلى تفسير كلام العرب، وتبين معنى العبارة الذي قصده المتكلم، وتبين نيّة المتكلم في صناعة الكلام، وتبين كلام النحويين ومقصودهم، وقصد إبراز حكمة العرب في صناعة كلامها، وقصد حفظ نظام الفصحى وتعليمها، ومقاصد الكلام التواصلية، ومقاصد الوظائف النحوية.

ما من شكّ أن عمل الباحث هو ثمرة جهد بالغ يحمد له؛ ولكني كنت وددت لو اقتصر الباحث على المقاصد عند النحويين وعند الأصوليين النحويين بما شاركوا به من معالجة نحوية رائعة كما ظهرت في أعمال السهيلي والقرافي.

التمثيل بالشعر عند ابن مالك

ترتبط بعض التراكيب والألفاظ باستعمالات خاصة ترد إلى الذهن وإن لم تكن مرادة في السياق، هذا ما كان من أمر

عنوان هذا البحث الذي كتبه زميلنا يحيى بن عبدالله بن حسن الشريف، ونشر في مجلة الدراسات اللغوية المجلد الثامن عشر العدد الأول (المحرم-ربيع الأول ١٤٣٧هـ)، لا أدري لماذا قفز إلى ذهني التمثيل بقتلى المعارك، ربما لأن ما دار حول بيوت ابن مالك في الكتب الحديثة والمواقع الشبكية هو لون من المعارك بين متحيزين لشخص ابن مالك ومتحيزين لما هو فوق كل الشخوص وهو العلم والحقّ، بل سماها معركة عبدالعزيز الحربي رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

لقد حسم الشريف أمره في العنوان الذي صدر به بحثه أو دراسته حين جعل ما ورد من بيوت الشعر عند ابن مالك من قبيل الأمثلة، وعلى الرغم من هذه النتيجة المبكرة حاول أن يجعل لدراسته مكانة وهو أمر مشروع؛ ولكن الأمر المتوقف فيه النظر إلى الدراسات السابقة أو الأعمال السابقة أنى صنفتها؛ فلا يلزم أن تأتي الدراسة الجديدة مسوغة لنفسها باتهام ما سبق بالقصور؛ إذ الدراسات تتوالى فمنها ما يكمل بعضها بعضًا ومنها ما يكون لها غرض مختلف عن أغراض تلك الأعمال السابقة، يقول الباحث في ملخص بحثه «وناقش البحث المسائل المختلفة مناقشة دقيقة متعمّقة، وغاص في تعيين مرامي ابن مالك وتوضيح مقاصده، وتأصيل كل ذلك وربطه بأصول الصناعة، وهذا ما تفتقر إليه الدراسات التي تناولت هذه القضية التي توجَّهَ بعضها إلى اتهام ابن مالك بالوضع والصناعة وإحصاء الأبيات وعدها دون الولوج إلى أس وجوهر المسائل، أو الدراسات التي قامت دفاعا عن ابن مالك ومحاولة الدفاع عنه دفاعا تغلب عليه

العاطفة، أو محاولة البحث عن نسبة الأبيات وعزوها»[١]، ومن الواضح أن تلك الأعمال السابقة واضحة أهدافها وهو ما حدد مضمونها، وليست مفتقرة كما يظن الشريف إلى ما جاءت به دراسته من مسائل وصف مناقشته لها بأنها «دقيقة متعمقة» وهي تزكية للنفس كان يجمل به تركها لفهم القارئ، وأمر آخر لفت انتباهي وهو أنه ضرب صفحًا عن أعمال ومشاركات أراها مهمة في الحديث عن بيوت ابن مالك، منها كتابة جواد الدخيل «نظرة في شواهد ابن مالك»[٢]. وكتابتي عن نظرة جواد بعنوان «شواهد أم أمثلة»[٣]، ثم كتابتي عن كتاب فيصل المنصور «تدليس ابن مالك»[٤]، وكتابتي عن بحث رفيع السلمي «براءة ابن مالك»[٥]، وفي موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية «معركة ابن مالك» لعبدالعزيز الحربي.

يقول الباحث في مطلع بحثه عن ابن مالك «مارس عملية إحياء نفض فيها الغبار عن نصوص كثيرة جدا بقيت هامدة في ثنايا الكتب والمؤلفات والرسائل، وسجّلتها الصحائف والدواوين

---

(١) يحيى بن عبدالله بن حسن الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثامن عشر العدد الأول، المحرم-ربيع الأول ١٤٣٧هـ) ص١٧١.

(٢) انظر: جواد الدخيل، «نظرة في شواهد ابن مالك: كتاب شواهد التوضيح والتصحيح نموذجًا»، مجلة الدراسات اللغوية، مج١٤، ع٢، ربيع الآخر-جمادى الآخرة، ١٤٣٣هـ، مارس-مايو ٢٠١٢م. ص ٤١-٦٣.

(٣) انظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، «شواهد أم أمثلة»، المجلة الثقافية، صحيفة الجزيرة، ع٣٨٢، الخميس ١٨، ذو القعدة ١٤٣٣هـ.

(٤) انظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، تدليس ابن مالك، صحيفة الجزيرة،ع ١٥١٥٧ السبت ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ.

(٥) انظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، هل من براءة لابن مالك، ع٤٧٠ السبت ٢٧ رجب ١٤٣٦هـ.

والمختارات، فبعثها تدبّ فيها الحياة ضمن قراءة موسوعية أحاطت بالتراث منظومه ومنثوره إلا ما ندر»[١]، إن غضضنا الطرف عن الإنشائية في هذا النص لا نجد ابن مالك يختلف عن غيره في استعمال شواهد سيبويه وما أضافه لاحقوه من الشواهد المعتبرة وهي شواهد تتوارثها المطولات النحوية، وعاد الباحث إلى ما وضعه ابن مالك من أمثلة ليصفها بأنها مقيسة على المسموع، قال «وبعد أن أحكم ابن مالك المسموع، وضبطه أو كاد ذهب يُعمل فيه أصلا نحويا وهو قسيمه (القياس) واستعمله بأكثر من طريقة، وأبرز قياساته في أمثلة شعرية من نظمه تناثرت في كتبه، وتعاورها من بعده النحاة»[٢]، والباحث بهذا يقرر وضع ابن مالك للأبيات وأن من بعده من النحويين تعاوروها ولكنه سكت عن الكيفية التي تعاوروا بها تلك البيوت الموضوعة؛ إذ هم وثقوا به وتوهموا أن ما يسميه الباحث أمثلة شواهد ولذلك استعملوها ليرجحوا رأيًا على رأي.

ويحاول الباحث جاهدًا أن ينأى بنفسه عن اتهام ابن مالك، فهو يعلق على عمل فيصل المنصور بقوله «وقضية أن هناك أبياتا كثيرة لابن مالك في بعض كتبه فهذا أمر محسوم، ولكن الفرق والتباين بيننا في تفسير هذا الصنيع من ابن مالك كما سيبين هذا البحث»[٣]، فالباحث يوافق فيصلًا في وضع ابن مالك لتلك البيوت الكثيرة، ولكنه يرى نفسه مخالفًا له في تفسير صنيع ابن مالك، ولست أرى ما فعله الباحث مفسرًا لعلة سكوت ابن مالك

---

(١) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص١٧٢.
(٢) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص١٧٣.
(٣)يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص١٧٧.

عن التصريح بوضع تلك البيوت بل راح ينسبها حينًا لشاعر من طيّئ وهو أمر قد يوهم بقدم البيوت، وجل ما فعله الباحث هو درس وصفي لميادين استعمال تلك البيوت وهو أمر نافع؛ ولكنه لا يغفر لابن مالك ولا يبرئه إن كان الباحث يروم تبرئته، ويذهب الباحث مذهبًا غريبًا حين يقول «إن الكذب ليس واردا عليه لأنه لم ينسب بيتا إلى غير قائله، ولم يكذب حين نسب أبياتا لرجل من طيئ، أو نسبها لأحد الفصحاء أو لإمام من أئمة العربية فكل هذا يصدُقُ عليه»[١]، وهذه مغالطة وسفسطة بينة، نعم هو ليس بذلك كاذبًا ولكنه مدلس كما قال المنصور، وينفي الباحث في الصفحة نفسها عنه التدليس بحجة أن طريقة المحدِّثين تختلف عن طريقة النحويين وأنه «لم يكن لزاما على ابن مالك أن يخبر بهذه الأبيات» وهو قول لا يخلو من لبس فإن كان يقصد بأنه لا يلزمه نسبة البيوت كان التوقف في هذا؛ لأنه ليس في عصر الاحتجاج حيث يقبل الشعر المجهول القائل، وإن كان يقصد أنه ليس ملزمًا أصلًا بوضع تلك البيوت فالقول إنه قد فعل. ومن عجب أن يقول الباحث «ومع أن ابن مالك لم يُرِدْ لتلك الأبيات أن تكون شواهد، ولكنّه لو أراد ذلك فإن له في كلام المتقدمين ما يشفع له»[٢]، وينقل نصًّا لابن قتيبة يعيب فيه من يقبل القديم لقدمه لا لجودته، وقول ابن قتيبة صالح في نقد الشعر وبلاغته؛ ولكنه لا علاقة له بالاستشهاد، فالشاهد لا ينظر فيه إلى جمال بل إلى توافر شروط الاستشهاد به، ولست أخالف في أمر شاعرية ابن مالك وجمال سبكه ولا أدفع حقه بأن يمثل بما شاء من مُثُل من شعره أو من شعر غيره؛ ولكن المطلوب التصريح بأن ما يساق هو من قبيل

---

(١) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص١٧٧.

(٢) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص١٨٧.

التمثيل أو الاستشهاد. ونقع في حيرة أفَمدحًا يراد لنا أن نفهم أم قدحًا من قول الباحث «كان من طريقة ابن مالك أنه عند تناول بعض المسائل يسوق عليها أبياتًا من نظمه ويترك ما استشهد به النحاة عليها»[١]. ومن ذلك قوله «قد يكون الشاهد المسوق للاستشهاد على مسألة ما غير محقق للمراد كما يريده ابن مالك ويرى أن غيره أكمل في الدلالة، ويظهر هذا الأمر في مثل مسألة نصب المضارع بـ(أن) مضمرة»[٢]، ومثله في الصفحة نفسها «فقال ابن مالك: إنه لا يُستشهد على هذه المسألة بما أنشده سيبويه من قول زهير السابق؛ لأن الفعل المتقدم على الفاء منفي، وجواب النفي يُنصب في مجازاة وغيرها، وإنما يستشهد بقول الشاعر:

ومن يقتربْ منّا ويخضعَ نُؤْوِهِ

ولا يخش ظلما ما أقام ولا هضما

فقد رأى ابن مالك أن بيته أوفى بالقاعدة وأسلم من استدراك»[٣]. ومثله قوله «وكان من طريقته أنه قد يمثّل على المسألة ببيت من شعره، ويذكر المسألة نفسها في مؤلَّف آخر فيمثل ببيت آخر»[٤]، وهو يذكر كيف أن ابن مالك ردّ الزعم بأنه لم يسمع النصب في خبر (لا) العاملة عمل (ليس) ملفوظًا، وأورد بيتين من نظمه، وقد فعل ذلك لما رأى الشواهد الواردة يدخلها الاحتمال «فلم يبق ما يدل على أنها تعمل عمل (ليس) إلا البيتان

---

(١) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص٢٠٠.
(٢) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص٢٢٦.
(٣) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص٢٢٦.
(٤) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص٢٠٥.

السابقان»[١]. ويذكر أنه استشهد بآية وبثلاثة أبيات ومثل من شعره بثلاثة أخرى، ولست أدري كيف يخرج قول ابن مالك الذي جاء في ساقة كلامه هذا ونقله لنا بنصه، وهو قول ابن مالك «وأنما كثّرت الشواهد في هذه المسألة لأن المخالفين كثيرون»[٢]، يفهم من هذا أن ابن مالك يسمي ما يعده الباحث من المثل شواهد. والباحث نفسه قد يسمي مُثُلَ ابن مالك شواهد كما قال «ويلاحظ هنا أن أبياته التي مثّل بها لم تَزِدْ في المسألتين عن نصف الشواهد»[٣].

وأحسب عمل الباحث عملًا وصفيًّا جيّدًا لو نأى عن محاولة تبرئة ابن مالك من الوضع واكتفى بهذا الوصف المفيد.

الخُلْف ليس من مصطلحات سيبويه

نشرت جامعة الكويت حولياتها (مجلد ٣٤، الرسالة ٤٠٥، عام ٢٠١٤م)، وعنوانها «مصطلح (الخُلْف) في كتاب سيبويه» ألفها المتولي محمود المتولي عوض، حاول فيها بيان مصطلح لا وجود له، إذ توهم أنّ لفظًا معجميًّا ورد في كتاب سيبويه مرة واحدة من قبيل المصطلح. ويعلم الدارسون أن بعض ألفاظ سيبويه تحولت عند اللاحقين إلى مصطلح وإن لم تكن عنده مصطلحًا، مثل قوله في فاتحة كتابه «وحرف ليس بفعل ولا اسم» أي كلمة ليست بفعل ولا اسم، صار (الحرف) مصطلحًا بعد ذلك، أما لفظ (الخَلْف) كما هو في نص كتاب سيبويه حسب طبعتي بولاق وهارون، وليس (الخُلْف) كما أراده الباحث، فهو لفظ معجمي،

---

(١) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص٢٠٧.
(٢) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص٢١٨.
(٣) يحيى الشريف، التمثيل بالشعر عند ابن مالك، ص٢١٨.

ولو كان مصطلحًا أو يصلح أن يكون مصطلحًا لاستمر عند اللاحقين أو عند بعضهم على الأقل، ولكنا رأينا أن الباحث يقول «ولعل ما سبق ذكره يفسر لنا انصراف كثير من الباحثين في مصطلحات سيبويه عن دراسة هذا المصطلح أو الإشارة إليه لندرة وجوده في الكتاب»[١]، فإن يكن كثير من الباحثين انصرفوا عن هذا المصطلح فمن درسوه أو أشاروا إليه وإن كانوا قليلا منهم، لم يسم الباحث لنا أحدًا أشار إلى هذا المصطلح المزعوم.

جاءت هذه الحوليّة في مقدمة، ومهاد، وستة مداخل: (الخلف لغة واصطلاحا/ مصطلح الخلف بين الاستعمال والإهمال/ ثنائية اللفظ والمعنى في النحو العربي/ طبيعة اللغة عند سيبويه/ مقومات مفهوم مصطلح الخلف في كتاب سيبويه/ المصطلحات الدالة على مفهوم مصطلح الخلف في كتاب سيبويه) وخاتمة.

وأرى الباحث قد اختلطت عليه بعض المفاهيم وبالغ في بعض الأحكام ولم يوفق في صياغة ما يريد أحيانًا، فمن ذلك قوله عن المصطلحات «وهي فرع من فروع علم اللغة التطبيقي»[٢]، ولكنه ينقل «يعتبر الاصطلاح لغة مصطنعة تصاحب النظرية وتنشأ معها»[٣]. ومن ذلك قوله عن (الخلف) «يُعد مصطلح الخلف من المصطلحات النادرة الاستعمال في التراث العربي، إذ لم يستخدمه سيبويه إلا في موضع واحد»[٤]. فمن الذي يعد الخلف

---

(١) المتولي محمود المتولي عوض، مصطلح (الخُلْف) في كتاب سيبويه، حوليات جامعة الكويت، مجلد ٣٤، الرسالة٤٠٥، عام ٢٠١٤م، ص١٤.

(٢) عوض، مصطلح الخلف، ص١٣.

(٣) عوض، مصطلح الخلف،ص٢٢.

(٤) عوض، مصطلح الخلف، ص٢١.

مصطلحًا بله عده نادرًا، كيف للفظ واحد أن يكون مصطلحًا للوهلة الأولى ومن المرة الفريدة، إنه أمر لا ينتهي منه العجب.

وبالجملة فإن كل المداخل على ما فيها من كلام نظري مستفاد من الثقافة اللغوية الحديثة يصلح في مكان غير هذا المكان؛ إذ ليس يصب في هدف البحث ولا يخدمه بحال، ولم يفلح الباحث بتسويد الصفحات الطوال أن يُقنع بأن ثمة مصطلحًا هو (الخلف).

وعلى الرغم من اتصاف لغة المؤلف بالسلامة يمكن أن تؤخذ عليه بعض الأخطاء الكتابية من مثل قوله «الغاية الأسمى»، فنعت المؤنث بمذكر، والصواب: أسمى غاية، ومثله قوله «المقاصد الأسمى»[١]، والصواب: أسمى المقاصد.

ونجد الباحث قد لا يهتم بتصحيح ما يرد في المقتبسات من أخطاء وإن في الحاشية، مثل (نفسه)[٢] الواردة في النص الأساسي المنقول من كتاب سيبويه، والصواب: نفسك،[٣] و(صدُّ الفأس)[٤] والصواب: حدُّ الفأس[٥]، ويلاحظ أن الباحث أقحم قوله «أي: حده» موهمًا بذلك صحة ما جاء في نص البطليوسي وهو

---

(١) عوض، مصطلح الخلف، ص١٤س٩. وانظر: ص٢٥س٢تحت
(٢) عوض، مصطلح الخلف، ص١٧س٩.
(٣) السيرافيّ، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: محمد عوني عبدالرؤوف، دار الكتب/ القاهرة، ٦: ١٦٦.
(٤) عوض، مصطلح الخلف، ص١٨س٦.
(٥) جاء في العين للخليل، ٤: ٢٦٥ «الخَلْفُ: حد الفأس». وهكذا في غيره من المعجمات.

خطأ طباعي، ويمكن أن نقول أن (الخلف) ليس مصطلحًا لسيبويه ولا غيره في ما نعلم.

العرب والخيار اللغوي

أمام العرب في عصرهم الراهن طريق ذات ثلاث شعب، إحداها اللغة الفصيحة، والثانية اللهجات العامية، والثالثة اللغات الأجنبية، هكذا يقدم أستاذنا الدكتور أحمد بن محمد الضبيب في كتابه (العرب والخيار اللغوي: دراسات ومقالات في الواقع اللغوي العربي المعاصر) رؤيته الكاشفة لهذا الواقع، فيجلي المشكلة ويظهرها للعيان في سلسلة من الدراسات والمقالات، وهذا الكشف رسالة اضطلع بها أستاذنا وشغلت طائفة كبيرة من وقته وجهده، فهو يزاول ذلك في كل محفل لغوي يشهده، ولو جمعت أقواله في ذلك لسودت أسفارًا كثيرة؛ ولكنه في هذا الكتاب الجليل يزوي جوانب في غاية الأهمية لهذه المشكلة العربية المزمنة التي لا تختلف عن مشكلاتهم الأخرى في اضطراب معالجاتها والتخبط في إدارتها.

أحسن أستاذنا البدء في دراسات هذا الكتاب بدراسة (لغة الطفل العربي في ظل العولمة)؛ لأن الطفل هو نواة المجتمع وهو أمل مستقبله، فبيّن مخاطر العولمة على لغة هذا الطفل، وما جرّه الاستعمار الغربي في بعض البلاد العربية من تغيير لغة المجتمع، وهو ما ترك آثاره الظاهرة حتى بعد مكافحته والخلوص منه، عرض لعلاقة الطفل بلغته الأم وعلاقته باللغة الأجنبية، وناقش متى تدرس اللغة الأجنبية مبينًا الآثار السيئة لتعليم الطفل اللغة الأجنبية في سن مبكرة، وختم دراسته بجملة نافعة من الاقتراحات من وضع سياسة لغوية، وتمكين للطفل من لغته، وإعداد

المعلمين، وتأخير لتعليم اللغة الأجنبية، واستفادة من التقنية الحديثة.

وينتقل من لغة الطفل إلى لغة المجتمع في دراسة (اللغة العربية والمجتمع تأملات في الأزمة والمصير)، وأما الأزمة فتظهر في ثلاثة أبعاد، أولها البعد الوجداني الذي آسفه تآكله نحو الفصحى بغلبة العامية في وسائل الإعلام والكتابة، واستفحال اللغة الأجنبية بين الناس الخاصة والعامة. وأما البعد الثاني فهو التربوي الذي بيّن ضعفه وإخفاقه في تعليم الفصحى وإقامة حاجز بينها وبين الطلاب، ودعا إلى كسر هذا الحاجز، وأما البعد الثالث فالبعد الاقتصادي الذي بيّن فيه كيف نحيّت العربية عن إدارة الأعمال واستبدت اللغات الأجنبية بذلك، وهو أمر عاد على ترك العناية بتحصيلها. وبعد أن فصّل ملامح الأزمة بأبعادها الثلاثة عاد إلى بيان مصير العربية الذي يمكن أن تؤول إليه، وبيّن أنّ أهم عاملين يفتان في عضد اللغة ومجتمعها التعدد اللهجي ومزاحمة اللغات الأجنبية، والتعدد اللغوي لا ضير فيه إن كان في مستوياته الدنيا، أي المسافة بينه وبين الفصيحة ضيقة؛ ولكنها متى اتسعت وعمّقت ونالت حاشية من الاستعمال كبيرة ربما أدّى ذلك إلى الانقسام والانحلال على نحو ما آلت إليه اللغة اللاتينية التي تفرق شملها في لغات متعددات وطوي أمرها ونسي ذكرها. واللغات الأجنبية قد تستولي على المجتمع حتى تنسيه لغته الأصلية وتبعده عن جذوره بما تحتمل من ثقافة خاصة، ويفقد بهذا هويته ويصير إلى حاشية من حواشي ثقافة أخرى. وأما تجاوز هذه الأزمة فيكون في وضع سياسة لغوية تراعي البعد الثقافي القومي والديني، واللغة هي مفتاح الثقافة العربية

الإسلامية وعامل القوة الموحد لأبناء هذه الثقافة «كي يعبروا هذا العصر متحدين سياسيًّا واقتصاديًّا وفكريًا، من أجل تحقيق طموحاتهم في التقدم والرخاء، في زمن لا مكان فيه إلا للأقوياء»[١]. ويواصل أستاذنا حديثه عن أزمة اللغة العربية التي عالج جوانبها في دراسته السابقة؛ فهو يعود لمزيد من التفصيل عن (اللغة العربية وتحديات العصر)، فيبين أن من التحديات ما هو عام ومنها ما هو خاص، وبعد الإفاضة في شرح تلك التحديات دعا إلى الاقتداء بفرنسا التي جعلت تمكين لغتها جزءًا من قانونها، وبيّن أن الطريق قد تكون طويلة؛ ولكن ذلك يمكن أن يعالج بتكثيف العمل، ورعايته على جميع المستويات لوضع السياسات اللغوية وإحسان تنفيذها. وما عرض له أستاذنا من شأن اللغة الفرنسية أو غيرها هو جانب من جوانب ما تموج به الأرض من صراع لغوي أحسن أستاذنا إفراده بالدراسة في (صراع اللغات في عصر العولمة وموقف اللغة العربية منه) الذي ابتدأ بالإشارة إلى كتاب (صدام الحضارات) لصامويل هنتنجتون، وهو كتاب يعبر عن الصدام والهيمنة وما نال لغات كثيرة في أرجاء العالم من اجتثاث، وذكر تأكيد الباحثين أن صدام الحضارات هو صدام لغوي، ومثّل الأستاذ لهذا الصراع بأمثلة كثيرة ،كل ذلك ليمهد لما كان من شأن العربية وصراعها المرير مع ألوان الاستعمار الذي كاد يطمس معالمها في كثير من أرجاء البلاد العربية لولا نضال الشعوب المشرف المتيقظ، ولكن اليوم في عصر الهيمنة تعود المشكلة جذعة «فإذا كانت لغة المستعمر هي لغة الوظيفة والتجارة والسوق؛ فإن الإنسان العربي المعاصر

---

(١) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص٧١.

محاط بظروف أشبه ما تكون بظروف عصور الاستعمار البائدة»[١]، وفي غياب سياسة لغوية قوامها النظر إلى أن اللغة أداة النهضة ووسيلة التفاهم المشترك بين أبناء الأمة تمسي العربية مهددة بفقدان مزيد من مواقعها في حياتنا وسينال الفصحى مزيدٌ من الجفاء والهجر «ولسوف يرى الذين تنكروا لهذه اللغة من أهلها وفرّطوا في جنبها أيَّ منقلب ينقلبون»[٢]. ومثل هذا الصوت قد يساء فهمه وقد يجابه بمن يرى اللغات الأجنبية أنفع وأجدى وأجدر بالتعلم لمكانة تعبيرها المباشر عن العلوم والحضارة في مقابل عربيتنا المعبرة عن ثقافة صحراوية تجاوزها الزمن، ولعل مثل هذا الهاجس ما جعل أستاذنا يعقد دراسة يعالج فيها (واقع اللغة الأجنبية في التبادل الثقافي بيننا وبين الغرب) وحاول في دراسته بيان أن اللغات الأجنبية نافذة يُطلُّ منها على الآخر من غير تهوين من شأن هذه اللغات ولا دعوة لمقاطعتها، وهكذا كانت بداية العلاقة بها صحيحة بإنشاء مدرسة الألسن وتكثيف البعثات وازدهار الترجمة، وكان يؤمل أن تتوحد أقطار العرب بعد زوال الاستعمار؛ ولكن ذلك لم يتحقق لانحراف المسار بتعزيز لغة المستعمر وبسط نفوذها، ومع ذلك أخفقت تلك اللغات في مجال الاقتصاد أن تدخلنا عصر التقدم، وعم الإخفاق في المجالات الأدبية والتطبيقية من زراعة وهندسة وطب، وليست المشكلة في معرفة اللغة، بل سوء استعمال لها حيث جعلناها لغة علاقات عامة فلم ننقل بها خبرات الأمم نقلا من شأنه توطين العلم لينتج باللغة القومية إنتاجًا صحيحًا، ومع هذا الإخفاق ما زال ثمة من يدعو إلى مزيد من تمكين اللغات

---

(١) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص١١٣.

(٢) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص١١٥.

الأجنبية، فيدعو إلى تعليمها في المراحل الابتدائية، وهذا من شأنه مزاحمة اللغة الأم وبلبلة ذهن المتعلم، وإلى جانب ذلك نجد فتورًا في الترجمة لا يواكب تسارع الإنجاز العالمي، وإنه من الجلي «أن تعاطينا مع اللغة الأجنبية تعليمًا واستعمالًا لم يصل بنا إلى الهدف المرجو من النهضة»[١]، وختم دراسته بما يمكن أن يكون مخرجًا، وهو استشعار الثقة بلغتنا، وتوظيف اللغات الأجنبية لتكون جسرًا بين الثقافتين، وتكثيف الترجمة ضمن مشروع تكاملي للبلاد العربية لنقول «إننا وضعنا اللغة الأجنبية في موقعها الصحيح من حركة التثاقف الحضاري بيننا وبين الغرب»[٢]. وما سلف أمر مشروع لا محيد عنه؛ لأن (اللغة العربية لغة النهضة) وهي دراسة تحدث فيها عن مكوناتها الرئيسية التي تشكل الهُوية، وتحدث عن العربية التي تأبّت على القطرية والإقليمية، وكيف أن العربية استمرت مفهومة عبر القرون؛ فأبناؤنا يفهمون نصوص الشعر الجاهلي، أما بعض اللغات الأخرى فأهلها عميت عليهم نصوص لا يزيد عمرها على ٤٠٠ عام، وبيّن كيف أدرك دعاة الإقليمية أهمية الفصحى في توحيد البلاد العربية فدعوا إلى محاربتها؛ ولكن أمة العرب محظوظة على كثرة مآسيها بهذه العربية الفصحى الموحِّدة بما تختزنه من ثقافة هي حصن الهوية الراسخ، وقد قويت لغة هذه الوحدة وكان يتوقع لهذه النهضة أن تواصل تقدمها بما هيئ لها من السبل أيام محمد علي الذي انتكس التوجه بعد رحيله، وكان المستعمر الساعي لهدم الفصيحة وتعزيز العامية، والمستعمر إن لم يفلح في تغيير لغة المجتمع فقد عمل على إبعاد العربية عن المجالات العلمية وترك العلم بيد اللغة

---

(١) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص١٢٩.

(٢) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص١٣٠.

الغازية، وهو أمر ثبت فشله في التحضر الحق، ولذلك علينا أن نغير خططنا بأن نركز على تعليم لغتنا، واستثمار ثقافتها، والاعتماد على الترجمة لتوطين العلوم وتجنب السلوك الاستهلاكي، وحان وقت مراجعة المواقف اللغوية والسياسات التربوية والثقافية، علينا أن تكون لدينا لغة موحدة منضبطة في التعليم تؤهلنا للارتباط الصحيح بالاقتصاد في عصر المعلوماتية، ووحدة الثقافة بالفصحى ميزة من الخطأ التفريط بها، وهذا لا يعني تجنب إتقان لغات أجنبية، بل علينا إتقانها من غير إحلالها محل اللغة الأم في التعليم؛ «فلتكن اللغة العربية أداتنا التي تقود إلى النهضة الحقيقية، ولتكن اللغة الأجنبية أداتنا التي تقود إلى التحديث لا إلى التغريب»(١)، ولكن هيهات ونحن أمام (تعجيم التعليم) وهي دراسة لحال التعليم في البلاد العربية. وتعجيمه «جعله أعجميًّا أجنبيًّا، تدرس مناهجه للطالب العربي بلغة أجنبية»(٢)، بيّن في هذه الدراسة كيف يعمد الاستعمار إلى انتزاع اللغة القومية من أفواه الصغار لتختفي العلاقة بين الأجيال وإرثها الثقافي، والتعليم بالأجنبية مسخ للهوية، ثم إن تمكين اللغة الأجنبية أدّى إلى فتن عرقية وطائفية؛ إذ نُظر إلى العربية على أنها لغة العرب وحدهم، ونظر آخرون إلى أنها لغة المسلمين منهم، ولو أن حلول الأجنبية عاد على الأمة بالخير والصلاح لدل ذلك على صحة اتجاهها؛ ولكن من مُسخت لغته صار أكثر شعوب الأرض تخلفًا؛ لأن اللغة القومية سلاح إن أحسنْت استعماله انتصرت وإن أسأت «حاقت بك المشكلات»، كل العالم أدرك ذلك سوى العرب؛ فوزارة التربية سمحت للمدارس الأهلية أن تعلم بلغات

---

(١) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص١٤٥.
(٢) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص١٤٧.

أجنبية، والعربية هي من مقومات وجودنا المهمة التي يجب الحفاظ عليها، وهذه تجارتنا ومستشفياتنا وفنادقنا وجميع مواقع الوظائف العامة والخاصة تدار بلغة أجنبية، ووزارة التعليم تشارك في ترسيخ هذا الوضع الشاذ، وكان عليها أن تكون حربًا على فشو اللغة الأجنبية، والداعون لتعجيم التعليم مخطئون وهم يحتجون بأهمية اللغات الأجنبية في التواصل العالمي والشبكي ويصفون المدافعين عن وجود العربية بالتقوقع وأنهم يريدون منع تعلم اللغات مطلقًا، وهو وهم إن لم يكن افتراء؛ فالمدافعون عن العربية يقرّون بأهمية تعلم اللغات الأجنبية. ومن معَجّمي التعليم من يحتج بأن التعددية اللغوية من حق المواطن تأسيًا بالوضع في أمريكا غافلًا عن الاختلاف في الوضع، وهذه أوروبا احتفظت دولها بلغاتها القومية ولم تتحول إلى اللغة الإنجليزية، وهم يبذلون أموالًا طائلة في سبيل الحفاظ على لغاتهم؛ لأن «لغة التعليم في البلاد المتقدمة أمر سيادي لا يؤدَّى إلا بلغة الدولة الرسمية»[١]، وناقش موقف جامعة حائل الذي واجهت مشكلة في فرضها الإنجليزية لتعليم العلوم، ورأى أن تكون لغة التعليم بالعربية وأن تعلم الإنجليزية مادة واحدة مستمرة حتى تفي باحتياج الطالب بعد ذلك، واستغرب أن يُنظر إلى الدعوة لتمكين العربية وحبها على أنه مغالاة في حب الذات، فهل في صنيع دول أوروبا وغيرها من العالم تلك المغالاة، ومن حجج معجّمي التعليم أنّه معالجة لما يشهدونه من ضعف في تحصيل اللغة الأجنبية، غافلين عن أن الواجب أن يلتفتوا إلى ضعف تعليم العربية نفسها، ثم يلتفت إلى جانب مهم هو ما يسمى بالأنا اللغوي الذي يتعلق بالتنشئة الأولى،

---

(١) أحمد محمد الضبيب، العرب والخيار اللغوي، ص١٥٩.

وهو ما فعله العرب القدماء حين احتكّوا بلغات غيرهم كانوا مسلحين بغيرتهم على لغتهم وبثقتهم بها، وقد بينت الدراسات كيف جنى تعليم اللغة الأجنبية على اهتمام الصغار بالعربية، ومثّل لذلك بما بثّته قناة العربية عن ظاهرة العربيزي[١] التي بينت مدى تنكر الشباب للفصحى، ويحتج دعاة التعجيم بالتعليم في لبنان غافلين عن اختلاف مكونات لبنان عن مكونات بلادنا، ومع ذلك قد جنى التعدد اللغوي على ذلك البلد حين جعل العربية، وهي اللغة الرسمية، في أدنى مستوياتها، إن التشبه بلبنان في خطر مستقبلي لا يعيه من يدعو إليه.

ويأتي القسم الثاني من كتاب أستاذنا ليعبر في مقالات زويت فيها مواضيع عرضت لها الدراسات السابقة، فهي تفصيل لمسائل جزئية، وعنواناتها بالغة الدلالة على مضامينها بما يغني عن عرض ذلك المضمون، فنجد مقالة (لا..لتعليم اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية)، ومقالة (لا...لتغيير لوحات السيارات)، ومقال فيه شيء من الطرافة وهو (بولات)، ومقال (موبايلي لماذا؟ يا اتحاد الاتصالات!!)، (واستعمال المفردات والتعبيرات الأجنبية: هل هو تلاقح حضاري أم استلاب؟)، ويأتي الختام بالمسك بمقال (نحو سياسة لغوية سعودية).

لقد أحسن أستاذنا افتتاح كتابه وختامه، وهو سلسلة جهادية أخذ نفسه بها وعرف بها، فلست أعرف أحدًا في مثل إصراره ومثابرته على الدفاع عن العربية والاستماتة في نصرتها، وهو

---

(١) هذا مصطلح منحوت من (عربي) و(إنجليزي) ويعني كتابة العربية بأحرف وأرقام إنجليزية، وبدأه مغتربون لا تخدم محارف حواسيبهم العربية ثم شاع عند الشباب استسهالًا له أو استلطافًا.

لا يكتفي بالدراسات والمقالات والتعقيب المثمر في المؤتمرات والندوات، بل هو عضو فاعل في كثير من مجمعاتها ومؤسساتها المهمة وجمعياتها، فلا تجد مرفقًا يُعنى بالعربية إلا كان الدكتور أحمد بن محمد الضبيب حاضرًا فيه مشاركًا في فعالياته، وما نشْره معجم مطبوعات التراث الذي أتحف به المكتبة العربية إلا مثال على هذه العناية والتعلق الشديد بالعربية والدفاع عنها وتمكينها.

في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها

صدر هذا الكتاب عن دار جرير للنشر والتوزيع في عمّان (ط١، ١٤٣٥هـ -٢٠١٥م) في ٢١٢ صفحة، وتأتي أهمية هذا الكتاب من مؤلفه العلامة اللغوي (داود عبده) أطال الله بقاءه، وهو ثمرة من ثمار عمر طويل في البحث اللغوي الجاد وتعليم اللغة للناطقين بها وبغيرها وبتدريب المعلمين والباحثين.

جاء الكتاب في ثمانية فصول، أما الأول فهو عن المبادئ التي يجب أن تراعى عند وضع كتاب لتدريس حروف العربية وأصواتها، وعن تراكيب الجملة للمبتدئين بتعلم العربية من الناطقين بغير العربية، وفيه تفصيل للمبادئ التي يقوم عليها اختيار التراكيب منها اختيار التراكيب الشائعة وتقليل عدد التراكيب في الدرس الواحد واستعمال تراكيب جديدة؛ ولكن بكلمات غير جديدة وتعمد تكرار التراكيب والكلمات في الدروس اللاحقة، والبدء بالتراكيب في هيأتها الضيقة قبل الموسعة، وتقديم التراكيب باستعمال كلمات لا تتغير جذوعها، أي كالأفعال الصحيحة السالمة لا المعتلة والأسماء الصحيحة لا المنقوصة أو المقصورة، والاجتزاء بتركيب واحد إن تعددت التراكيب المترادفة، وتأجيل ما يخالف من التراكيب مألوف الدارس

بتراكيب لغته، وتجنب ذكر تركيب من غير شرح، وفي هذا الفصل بيان لكيفية شرح التركيب وشرح بنية الكلمة وما يواجه المعلم من مشكلات في ذلك.

ويأتي بعد بسط المبادئ السابقة الفصل الثاني ليتناول تدريس قواعد العربية للناطقين بغيرها، وهي قواعد تختلف عن القواعد التي تدرس في المدارس والجامعات العربية، فعقد موازنة بين التدريس في المستويين ثم تحدث عن أهمية تعليم العربية تعليمًا وظيفيًّا مبينًا القواعد الوظيفية، منبهًا إلى ما ليس من النحو الوظيفي وما هو إعراب وظيفيّ، وفصل القول في الكيفية التي ينبغي أن تتخذ عند شرح القواعد للناطقين بغير العربية.

ولَمّا كان الهدف هو النجاح في تعليم العربية خصص الفصل الثالث لتدريبات على المهارات اللغوية الأربع: فهم المسموع، وفهم المقروء، والتعبير الشفوي، والتعبير الكتابي، وهي أمثلة من نصوص للتدريب على فهم المسموع والمقروء والتعبير شفويًّا وتحريريًّا.

ومن الطبيعي أن يأتي الفصل الرابع ليبسط فيه ملاحظات عن المعجم الذي يحتاج إليه دارس اللغة العربية من الناطقين بغيرها وهي معلومات لا تتوافر في المعاجم المعتادة التي تورد الكلمات مجردة من سوابقها ولواحقها.

ولَمّا كان الدارس يتلقى اللغة من مصادر أخرى غير قاعات الدرس؛ إذ يسمعها مباشرة في وسائل الإعلام جعل الفصل الخامس عن الأخطاء اللغوية الشائعة في الإعلام العربي، وصنف هذه الأخطاء حسب عللها فمنها الضعف في قراءة الكلمات غير المشكولة، والضعف بالنحو، والجهل بالقواعد

الصرفية، وتأثير اللهجات العامية، وتعميم القاعدة، والتفاصح، وربط الحركة بالموقع، وتشابه الكلمات.

والعربية ذات تاريخ طويل وتراث واسع ومعجم ضخم وهو قد لا يستطيع ذلك كله وقد لا ينفعه، ولذلك جاء الفصل السادس عن مفردات شائعة في اللغة العربية لتكون دليلًا عند التأليف والتعليم.

وكثير من متعلمي العربية من الناطقين بغيرها من المسلمين إنما دفعهم الدين لتعلم العربية لتفهم القرآن والسنة وتفسير القرآن وشروح الحديث وتعلم الثقافة الدينية بلغتها التي كتبت بها، ولذا جاء الفصل السابع عن مفردات شائعة في القرآن الكريم، وختم الكتاب بالفصل الثامن بمعلومات متفرقة تهمّ دارسي اللغة العربية. وأحسب هذا الكتاب الجليل من الكتب التي تثري مهارة معلم اللغة العربية للناطقين بها أو للناطقين بغيرها.

كتاب السعد

من مباهج ما نالني في لقاء أستاذنا علامة العربية أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح تلطفه بإهداء نسخة من الكتاب التكريمي الذي كتب له، وعنوانه (الأستاذ الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة) حرر هذا الكتاب د.خالد فهمي، ود. عبدالسلام حامد، ونشرته (عالم الكتب) نشرة فاخرة فظهر في مجلد واحد على الرغم من أن صفحاته بلغن ٩٥٩ صفحة، وكان لي شرف المشاركة ببحث مهدى إليه، هو (من أثر الرسم الكتابي في التحليل اللغوي)[١].

---

(١) انظر: الأستاذ الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة، حرر هذا الكتاب د.خالد فهمي، ود. عبدالسلام حامد، (عالم الكتب/

شارك في إعداد هذا الكتاب ثلاثون من أبنائه وطلابه وأصدقائه ليكون تحية لعلامة العربية الذي شهد له في حداثته الدكتور محمد مندور.

تطالع في مفتتح الكتاب سيرة علامتنا العطرة التي تفسّر لك سرّ المكانة المرموقة التي نالته، فهي لم تأت إلا بالكد والمثابرة التي تساعدهما ملكات لا تتهيأ لكل أحد، من ذهن حاضر وذكاء وقّاد وفطنة عالية وخبرة غزيرة ومعرفة عميقة وإحاطة متمكنة بعلوم العربية وبعلوم اللغة الغربية الحديثة على نحو متوازن لا يجور بعضها على بعض؛ بل استطاع أن يلتمس الحكمة في الجانبين، وأن يؤلف بينهما تأليفًا لطيفًا، ومكنه اقتداره وما منّ الله عليه به من ملكات أنّ يخدم العربية وأهلها في اتجاهات متعددة تتكامل في أداء الغرض منها، وتنوعت عطاءاته في الترجمة والتأليف وكتابة البحوث ومراجعة الأعمال وتقديم الكتب ومناقشة الرسائل والإشراف عليها، زويت له مكارم الأخلاق فهو صريح الرأي كالرائد الذي لا يكذب أهله؛ ولكنه عفيف اللسان والقلم، فهو يظهر الحق من غير أن يؤذي، وهو يداوي من غير أن يجرح، شاعر النفس واللغة، فإذا كتب العلم وجدت سمة الشعر في لغته من غير جور على مقتضيات الفكر؛ ولكنه حُسْن استعمال اللغة واستثمار جمالها، وله من فنون الوضع اللغوي ما لا تجده عند غيره على نحو يدهشك ويمتع نفسك.

يأتي القسم الأول من الكتاب لدراسات وبحوث عالجت ما أنجزه أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح وهي جملة من أعماله النظرية في البلاغة والنقد واللسانيات ونحو النص، وثمة أعمال

القاهرة، ٢٠١٦م) ص ص٤٣٣- ٤٥١.

تطبيقية تناول فيها الباحثون بعض أعماله الإبداعية مثل قصيدته (السبعون).

وأما القسم الثاني فهي جملة من الدراسات النافعة التي أهديت إليه في هذا الكتاب وهي أبحاث متنوعة فيها النحوي واللساني والبلاغي والأدبي.

وأما القسم الثالث فهي جملة من الشهادات عن علامتنا، واستوقفني ما كتبه د.سليمان الشطي «فهو ليس راوية يمتح من ذاكرة المحفوظ، ولكنه قنّاصٌ لماحٌ بموهبة الانتقاء وسلامة الاختيار»[١]. وأما الملاحق ففيها نموذج من خطه ومسوداته، وما كتبه الدكتور محمد مندور عنه، وهناك بلا شك كثير من النماذج التي كان يمكن أن تذكر مثل تقرير تيمور عن كتابه (حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر)، وهو كتاب كتبه كما قال لي في شهرين، وهو أمر لا ينتهي منه العجب. وفهمت من أستاذنا أن أجل أعماله هو مشاركته في موسوعة (التفصيل في إعراب آي التنزيل) التي خرجت في ١٦ مجلدًا.

ومهما قيل في حق أستاذنا أو كتب عنه سيكون دونه، قليلًا في جانبه؛ لتعدد إنتاجه وتنوعه وغزارة محتواه، ولما تنطوي عليه نفسه الكريمة من خلق سمح وتواضع جمّ، أطال الله عمره وحفظ عليه صحته وقواه ما أبقاه.

لحن القول

ليس غريبًا تمكن الدكتور عبدالعزيز الحربي، رئيس

---

(١) الأستاذ الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة، ص٩٠٢.

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، من علوم اللغة العربية فتخصصه في القراءات والتفسير جمع بين الأداء اللفظي والتحليل الدلالي وآلة كليهما علوم اللغة المختلفة وهذا ما هيأه للفصل في دقائق ومشكلات لغوية نجدها في بعض أعماله التي منها (لحن القول) وما يعالجه من اللحن في هذا الكتاب شامل لما يخل في الوفاء بمهارات اللغة أو ما يعاند الكفاية الاجتماعية أو الكفاية الدينية، ويكاد يكون الكتاب صورة من صاحبه فهو جاد كل الجد؛ ولكنه فكه يمزج لك جده بفكاهة وطرافة فلا ترى المعالجة الجادة لمسألة لغوية ثقيلة على النفس فتعافها أو يزور النظر عنها بل تقبل عليها، وهي معالجات اتسمت بالإيجاز الوافي بالمراد من غير استطراد أو ترهل في الجمل أو تكثر بفضول القول، واحتال الشيخ للمتعجل بحيلة تمكنه من معرفة حكمه وخلاصة قوله حيث ختم كل مسألة بخلاصة قصيرة فيها جماع قوله وما انتهى إليه في بعض سطر أو سطر قد يزيد قليلًا.

أعجبني الإخراج الفني للطباعة وهو أمر يضارع محتوى العمل من حيث أثره في النفس، وأما المحتوى فليس من السهل عرضه؛ لأنه جملة من القضايا (٢٣٠مسألة) جرت على ألسنة الناس فمنها ما هو لحن لا ينتبهون إليه ومنها ما وصفه بعض اللغويين بأنه لحن وهو ليس كذلك.

من المسائل التي وقف عندها (هل يقال: يا ساتر؟!) ومن الواضح أن ليس في مثل هذا لحن في قواعد اللغة نحوها وصرفها؛ ولكن الأمر متعلق بسلامة استعمالها لعلة دينية لا لفظية، وأعجبني تحليله للمسألة وتفريقه بين أسماء الله التوقيفية وصفاته المستفادة من أعماله، وهي أعمال لا تحدها الحدود،

وبهذا فلا حدود لصفاته، ومن هنا قرر في خلاصته «أسماء الله تعالى مبنية على التوقيف، ولم يرد (الستار) اسمًا من أسماء الله، ولنا أن نقوله على سبيل الوصف». ومن خلاصاته التي تمزج بالطرافة قوله «قل: فلان كسول، ولا تكن مثلَه».

تجد من سماحته وبعده عن التنطع والتشدد قوله «(وحشتني) لم ترد عن العرب بحروفها، وصدر اللغة يتسع لها؛ لأن أصل مادتها عربي». وهو هنا يشير إلى أصل متين وهو أن ما وافق جذورًا عربية وجاء على بنية من أبنية العربية فهو عربي، وبلفظ آخر أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب وهذا ما يفهم من قول إمامي العربية الخليل وسيبويه وما أكده الفارسي وتلميذه ابن جنّي.

والعمل الذي قدمه أستاذنا مبناه على الاجتهاد الذي لا يعدم الأجر، ومن أجل ذلك يمكن لغيره أن يخالفه في بعض ما انتهى إليه كما خالف هو غيره، فهو إن رأيناه متسامحًا في وحشتني نجده متشددًا في قبول جمع مدير؛ إذ يدون في خلاصته «لا يجمع (مدير) جمع تكسير، فلا تقل: مُدراء، وقل: مديرون». فلعلي أميل إلى قول المجمع القاهري، قال أحمد مختار عمر في معجم الصواب اللغوي «رأى مجمع اللغة المصري أن توهّم أصالة الحرف الزائد لم يبلغ درجة القاعدة العامة، غير أنه ضَرْب من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون ودعمها [ص:٦٧٧] المحدثون؛ ولذا ففي الوسع قبول نظائر الأمثلة الواردة على توهّم أصالة الحرف الزائد، مما يستعمله المحدثون إذا اشتهرت ودعت إليها الحاجة. وقد ورد منها في القديم: تمندل، وتمرفق، وتمسكن،

وتمدرع. وهو ما ينطبق على كلمة (مُدَراء)»[١].

ومن الأمور المتوقف فيها ما انتهى إليه في خلاصته "لا يجوز نعت علاقة الرجل بامرأة أخرى علاقة مباحة بالخيانة الزوجية"؛ لأن المشهور عند مستعملي اللغة إطلاق هذا الوصف على علاقة محرمة شرعًا.

والكتاب في جمهرة ما ورد فيه رائع المحتوى، يصحح أوهامًا، وينبه إلى أمور قد تغيب عن المتخصصين، بله عامة المثقفين، وهو من هنا جدير بالقراءة والانتفاع بما ورد فيه.

مآخذ على النحو العربي

من أبرز جوانب النشاط اللغوي عند المحدثين ما كتبوه من مآخذ على النحو العربي، وما كان لتلك المآخذ من آثار تنظيرية وتطبيقية. وقد وفق منصور بن عبدالعزيز الغفيلي إلى زوي جملة تلك المآخذ في كتابه (مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها التنظيرية والتطبيقية)، والكتاب في أصله رسالة علمية نوقشت في جامعة القصيم. وتجد محتويات الكتاب تفصيلًا مباشرًا لهذا العنوان؛ إذ جعل الكتاب في بابين أولهما لرصد المآخذ وآخِرهما للآثار، وجعل الباب الأول في فصلين أولهما المآخذ على الاستشهاد بالمادة اللغوية وآخرهما المآخذ على المنهج، ولعل المآخذ على الاستشهاد، في نظري، داخلة في المنهج، وربما يختلف الأمر لو قيل المآخذ على موقف النحويين من الشواهد، ويلاحظ ما في عنوان الفصل (المآخذ على المنهج) من غموض؛

---

(١) أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي (ط١، عالم الكتب/ القاهرة، ٢٠٠٨ م) ١: ٦٧٦.

فالباحث لا يوضح أي منهج بل يهجم، من غير تمهيد، على تفاصيل المفردات فيعقد مبحثًا لتحكيم النظر المنطقي والفكر الفلسفي ومبحثًا ثانيًا للتصنيف، وثالثًا للتقعيد، ورابعًا للمصطلح النحوي، وعليك لتفهم مراده من المنهج العودة إلى المقدمة التي يبين فيها أن المآخذ على المنهج هي «مآخذ على النحاة في تعاملهم مع المادة اللغوية بعد جمعها». وجعل الباب الآخِر (الآثار) في فصلين أولهما الآثار التنظيرية، وفيه ثلاثة اتجاهات تنظير من منطلقات تراثية، وتنظير من منطلقات غربية، وتنظير جمع بين التراثي والغربي. وأما آخرهما (التطبيق) فجاء حسب الغرض منه فأحدهما تعليمي والآخَر بحثي.

إن أبرز ما يلفت انتباه القارئ في هذا الكتاب هو الجهود الاستقصائية التي أخذ الباحث نفسه بها فجمع بين المصادر التراثية والحديثة، وبين الكتب والرسائل والبحوث المتناثرة في المجلات والدوريات العلمية، ويحس القارئ دقة الباحث وعمق فهمه محتويات تلك الأعمال، ويظهر هذا في دقة استخلاص نصوص اقتباساته وعرضه لبعض الأعمال الطويلة المفصلة، فيحسن عرضه ويصدر عن فهم دقيق لها على الرغم ما تتصف به بعض الأعمال من غموض كبعض المحاولات المغربية. واتصف الباحث بالحيدة، فترك الباحثين والمؤلفين يتحاورون وهو يرصد حوارهم بدقة ونزاهة ولم يستجب لإغراء مناقشة تلك الآراء واتخاذ مواقف واضحة منها إلا في حالات نادرة تجده مجبرًا على تقرير ما ينبغي أن يقرر، وحين سألته عن عزوفه عن مناقشة أقوال المحدثين تعذر بطول العمل وأنه لو فعل لتضاعف العمل وطال طولًا مفرطًا، وهو جواب يكفي؛ ولكنه لا

يشفي.

ختم الباحث عمله بخاتمة ضافية أجملت موقفه من عمل المحدثين، فجبر بذلك عزوفه عن المناقشة الجزئية في أثناء البحث، وجاء في هذه الخاتمة «أنّ النحو العربيّ القديم ينطلق من نظرية دقيقة في أصولها وعميقة في مفاهيمها، ومتماسكة في بنائها، وقابلة للتطبيق في دراسة التراكيب اللغوية، ومتسقة مع أهدافها»، وأن مراجعة التراث النحوي وتقويمه من أولويات الدرس النحوي ومطلب ثقافي حضاري يتطلب جهدًا وعملًا منهجيًّا منظمًّا لا يُغفل أيَّ منجَز، وأنّ نقد النظرية النحوية القديمة ضروري؛ لأنه مقدمة منهجية للسانيات العربية الحديثة، وأن كثيرًا من مآخذ المحدثين صدى لمراجعات قدماء كابن حزم وابن رشد وابن مضاء وابن خلدون، وأنّ تلك المآخذ كانت دافعًا قويًا للدراسات المعاصرة مستثمرة النظريات الغربية لإعادة وصف العربية وتفسير ظواهرها، و«أنّ دعاة المنهج الوصفي قاموا بأول دراسة للتفكير اللغوي العربي القديم تقوم على أصول نظرية وعلمية، وإن افتقدت في كثير منها الحديث عن الإطار النظري الذي تعتمده، كما أن بعضهم قدم مقترحات بديلة، غير أن كثيرًا من تحليلاتهم ظلت تدور في فلك النظرية النحوية القديمة»، وأنّ مراجعات الوصفيين اقتصرت على الملاحظة المجردة رافضة الجوانب التفسيرية التي قامت عليها النظرية النحوية القديمة التي هي في نظر الباحث أهم مرتكزات الفكر النحو العربي، وأن النظرية التوليدية التحويلية أسهمت في بلورة نظرة مغايرة للنحو العربي تنبّهت لجوهره الفكري، وظهرت موازنات بين تلك النظرية والنحو لما جزم به كثير من الباحثين من تماثل النموذجين

مما جعلهم يتلمسون مظاهر التوليدية والتحويلية في النحو العربي، وأنّ الاتجاه الوظيفي تجاوز الصراع بين النحو واللسانيات؛ ولكن من الباحثين من رآه لا يضيف جديدًا، فلا يمكن أن يكون بديلًا للنظرية النحوية، وأن التخلص من وهم تعارض النحو واللسانيات يمكن أن يطور النحو بما لا يقوض نظريته بل يكملها، وأنّ المعطيات بعد مرور نصف قرن كان يتوقع معها حدوث ازدهار في البحث اللساني؛ ولكن الواقع خالف ذلك؛ إذ ظلت اللسانيات تعاني من الإشكالات ما يقتضي التوقف والتأمل والمراجعة.

أرجع الباحث فشل محاولات التيسير أو تعديل النظرية النحوية ومعاناة اللسانيات العربية الحديثة وتجاهل نظرياتها إلى جملة أسباب منها: قوة النظرية النحوية القديمة ومنزلة النحو في الثقافة العربية، وأن منشأ اللسانيات الحديثة غربي يشي بأهداف تغريبية استعمارية تؤدي إلى رفضها خوفًا على العربية، وأنّ تعدد نماذج النظريات اللسانية وإسرافها في استعمال الرموز والمعادلات الرياضية يشكك في جدواها، ولعلي أزيد على ما قاله الباحث أنّ للإلف قوة وسطوة تحول دون التغيير، وأن اللسانيات الحديثة لم تفلح بتقديم بديل تعليمي يثبت نجاعته، وظلت جمهرة الجهود في إطار البحوث النظرية التي لم تسلم من الغموض والتعقيد.

وأحسب هذا الكتاب أجمع عمل أطاف بجملة ما وجّه للنحو العربي من مآخذ وهو يبرز مرحلة مهمة من مراحل الثقافة اللغوية العربية، وهو من أهم ما يوصى بقراءته طلاب العربية.

مجيء (أبو) في محل نصب أو جرّ، على الحكاية

أهداني ابني البار الأستاذ فهد الخلف المحاضر في قسم اللغة العربية في كلية الآداب، من ضمن ما يواليه من هداياه القيمة، كتابًا له من اسم مؤلفه نصيب هو كتاب «مجيء (أبو) في محل نصب أو جرّ، على الحكاية: عليّ بن أبو طالب، معاوية بن أبو سفيان، رضي الله عنهم»، ألفه إبراهيم بن عبدالله بن عبدالرحمن المديهش، فالكتاب مدهش في استقصائه متنًا وحاشية، وقد أحسن تقليب المسألة على وجوهها، وانتهى في الختام إلى ذكر أربعة أقوال:

القول الأول:(أبو) تأتي في موضع نصب أو جرّ، على الحكاية.

القول الثاني: إذا وردت (أبو) في موضع نصب أو جرّ، فهي كتابةً لا نطقًا.

القول الثالث: لا ترد مطلقًا، لا كتابة ولا نطقًا.

القول الرابع: يمكن أن يقال به: تلزم (أبو) في جميع الأحوال، على لغة قريش.

ورجح المؤلف القول الثاني، وكان قد بادر في صدر بحثه إلى ترجيحه، وجاء في بحثه ما سماه (وقفة تأمل) جاء فيها «في الحقيقة لم أجد نصًّا صريحًا صحيحًا يُحتَجَّ به على مجيء (أبو) في موضع نصب أو جرّ على الحكاية، وإذا وجد في النصوص القديمة، فالتخريج على ما قاله علماء النحو: وردت كتابة لا نطقًا.

تساؤل: لماذا تكتب بالواو، وتنطق حسب موقعها الإعرابي؟».

هذا سؤال وجيه، كان يمكن أن يُدْفَعَ به القول الثاني الذي أراد به بعض النحويين ردّ ما خالف القاعدة بشيء من التأويل والتخريج غير ملتفتين إلى أن اللغة أوسع من قواعدها، وأن مستعمل اللغة ربما خرج في بعض استعمالاته عن تلك القواعد، مع أنّ قولهم مدفوع بأنّ قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد-١] قرئ أيضًا {تَبَّتْ يَدَا أَبُو لَهَبٍ وَتَبَّ}[1]، فليست القضية رسمًا بالواو ولفظًا بالألف أو الياء حسب الإعراب؛ لأن القراءة مشافهة.

نبّه المؤلف إلى أمر مهم، قال «والحقيقة أنّ الأمثلة المشار إليها في حاشية (ص٥) تعتبر قليلة بالنسبة لضخامة التراث، خاصة كتب التراجم، هذا إن ثبتت الأمثلة كلها، فربما نجد بعد الرجوع إلى مخطوطات ذلك الكتاب مجيئها منصوبة أو مجرورة، فلا تعتبر دليلًا».

ولذلك لا حاجة لتخريج ما جاء في التراث منها، ولا الزعم أنها في الكتابة بالواو وفي النطق بالألف نصبًا وبالياء جرًّا؛ وأما في العصر الحديث فإن المصلحة تدعو إلى تثبيت الاسم على حالة واحدة فيكون الاسم مبنيًّا ولمن أراد إعرابه أن يعربه على الحكاية، وقد ورد في (مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا) ص٣٦، قرار ذهب في بعض ما ذهب إليه إلى تسكين الأعلام كلها إجراءًا للوصل مُجرى الوقف. واقترح عباس حسن أن يكون الاسم مثل (محمد علي حسن) اسمًا واحدًا مركّبًا تركيب مزج، وأنا أميل إلى قوله.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٦: ٤٥٦. الرازي، تفسيره، ٣٢: ٣٥٠.

إنّ عمل الأستاذ المديهش عمل متميز؛ ولكنه لم يسلم من الأخطاء الكتابية من صفحة العنوان حتى أواخر صفحات كتابه، تجد في العنوان كلمة (مجيئ) وصوابها: مجيء، واضطرب الكاتب في رسم تنوين المنصوب فهو قد يرسمه على الحرف، وقد يرسمه على الألف، وربما تجد فتحة على الحرف وفتحتين على الألف، والأولى عندي التزام طريقة واحدة هي رسم الفتحتين على الحرف ليطرد اقتران التنوين ضمًّا وكسرًا وفتحًا بالحرف، وهذه طريقة إمام العربية الخليل بن أحمد التي هي امتداد لنقط أبي الأسود الدؤليّ. وهذه الأخطاء لا تقلل من أهمية الكتاب، فهو عندي جدير بالقراءة.

معجم مطبوعات التراث في المملكة العربية والسعودية

هذا كتاب من أجلّ إصدارات كرسيّ الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جمعه ورتبه وعلق عليه أستاذنا الدكتور أحمد بن محمد الضبيب. وإن نظر القارئ إلى أن الإضافة تكون لأدنى ملابسة فلن يمنع أن يخطر بالبال أن المراد بمطبوعات التراث كتب التراث وما دار حولها من دراسات. وجعل أستاذنا لهذا المعجم حدودًا، فقال «يحاول هذا المعجم أن يرصد كتب التراث المنشورة في بلادنا منذ دخلت الطباعة هذه البلاد بإنشاء المطبعة الميرية في مكة المكرمة سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م حتى سنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م»[١]. وهو تحديد مقبول؛ ولكن المشكلة في حدود ما يسمى تراثًا فإلى أي سنة هجرية يقف التراث حتى نعدّ ما قبلها تراثًا وما بعدها محدثًا، وأحسب أن مثل

(١) أحمد محمد الضبيب، معجم مطبوعات التراث في المملكة العربية والسعودية (جامعة الملك سعود، كرسي عبدالعزيز المانع/الرياض، ٢٠١٦م) ١: ١٠.

هذا التحديد مهم جدًّا. نجد ابن بشر (ت بعد ١٢٩٠هـ) في المعجم؛ ولكن ابن بسام (ت ١٢٤٦هـ) غير داخل فيه وكتابه المطبوع (تحفة المشتاق في تاريخ نجد والحجاز والعراق) طبع في الكويت عام ٢٠٠٠م.

وجاء هذا المعجم في سبعة أجزاء وثامنها الكشافات، وقسم إلى أبواب وفصول، قال أستاذنا معلّلًا التقسيم «كي يتجه الباحث إلى الباب الذي يهمه، فيجد بغيته فيه دون أدنى عناء»، واحترز من التداخل فقال «ومن المعلوم أن التداخل وارد بين بعض العلوم، وبخاصة في العلوم الشرعية، فمن الصعب الفصل في التصنيف بين بعض كتب الحديث مثلًا وكتب العقيدة والزهد ... ومع ذلك أخذنا بالموضوع العام الذي يغلب على الكتاب»[١]. ولعله لو أخذ بما هو معتاد في المعاجم من الترتيب الهجائي من غير تصنيف للعلوم لسلم من هذا التداخل، ولحقّق فائدة أخرى، وهي جمع مؤلفات كل مؤلف في تتابع مرتب هجائيًّا، وهذا معين لمن يريد معرفة مؤلفات المؤلف الواحد أو يريد أن يترجم له، ولا شك أن تصنيف الكتب في موضوعاتها مهم؛ ولكن هذا معجم اعتمدت مداخله أسماء المؤلفين، على أنه يمكن صنع كشافات للكتب حسب موضوعاتها. قال أستاذنا «ويبلغ عدد أبواب الكتاب عشرة أبواب على النحو الآتي: الباب الأول: كتب علوم القرآن الكريم. الباب الثاني: كتب علوم الحديث النبوي الشريف، [والأولى عندي: كتب الحديث النبوي الشريف وعلومه]، الباب الثالث: كتب العقيدة، الباب الرابع: كتب الفقه وأصوله، الباب الخامس: كتب اللغة والنحو والعروض. الباب السادس: كتب

---

(١) الضبيب، معجم مطبوعات التراث، ١: ٧.

الأدب. الباب السابع: كتب البلاغة والنقد الأدبي. الباب الثامن: كتب التاريخ والسير والتراجم. الباب التاسع: كتب الجغرافيا والرحلات. الباب العاشر: علوم متفرقة». ولم يفسر أستاذنا علة ترتيب هذه الأبواب على هذا النحو، ولا سرّ جعله كتب الرحلات مع كتب الجغرافيا وهي يمكن أن تكون مع كتب التاريخ والسير، ويمكن أن تكون في كتب الأدب بمعناه الواسع. وكذلك كتب العروض أقرب إلى مجموعة كتب الأدب. والخلوص من كل هذا هو بترك التصنيف واعتماد ما أسلفت ذكره من ترتيب هجائي.

ولي بعض الملحوظات وهي:

١-ذكر في (١: ٢٢، ٢٣) المدخل ٤، والمدخل ٥ كتاب الأزهري في القراءات بعنوانين مختلفين ولم ينبّه إلى أنهما كتاب واحد، وذكرت د.نوال الحلوة في كتابها (ص٢٤) وهي تعدد آثار الأزهري ما يأتي: «١٥-كتاب علل القراءات

المسمى بـ(معاني القراءات) وهو الذي أقوم بدراسته وتحقيقه».

٢- ذكر في (٥: ٢٤) مدخل ١٩٣٦ ابن بري وكتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح (الجزء الثالث). ويحسن وضع ملاحظة أن الجزء الأول والثاني صدرا في مصر عن دار الكتب المصرية بتحقيق مصطفى حجازي عام١٩٨٠م. وأن الجزء الثالث حققه أيضًا رجب عبدالجواد إبراهيم ونشره المجمع في ٢٠٠٨م، أي قبل عام من تحقيق عاطف مغاوري المنشور ٢٠٠٩م.

٣-ذكر في (٥: ٤٨) مدخل ١٩٦٩ الجندي ... الإقليد.

يضاف إلى الملحوظات أنه في الأصل رسالة دكتوراه.

٤- ذكر في (٥: ١١١) مدخل ٢٠٤٣ كتاب تنبيه الألباب على فضائل الإعراب بتحقيق معيض بن مساعد العوفي، نشر في ١٩٨٩م بعد سنة من تحقيق عبدالفتاح السيد سليم الكتاب نفسه ونشره في ١٩٨٨م، فهل ذكر العوفي تفسيرًا لإعادة التحقيق فالنشر؟

٥-ذكر في (٥: ١٣٧) مدخل ٢٠٧٣ كتاب التكملة للفارسي بتحقيق فرهود ١٩٨١م. ولعل من المفيد الإشارة إلى أنه في السنة نفسها صدرت الطبعة الأولى منه بتحقيق بحر كاظم المرجان وكانت جزءًا من رسالة الدكتوراه.

٦-ذكر في (٥: ١٦٤) مدخل ٢١٠٤، بغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال للبلي بتحقيق سليمان العايد نشر في ١٩٩١م. والكتاب سبق أن حققه جعفر ماجد بعنوان بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال، ونشر في تونس سنة ١٩٧٢م فهل بيّن العايد علة إعادة تحقيقه؟

٧-(٥: ١٦٩) مدخل ٢١١٠، تسهيل الفوائد مكة المكرمة ١٣١٩هـ، وقد نشر بتحقيق محمد كامل بركات في القاهرة ١٣٨٧هـ.

٨- ذكر في (٦: ٣٤) مدخل ٢٢١٠، كتاب الفسر الصغير لابن جني بتحقيق عبدالعزيز المانع نشر في ٢٠٠٧م، جاء في الملحوظات ص٣٥: عنوان المخطوط هو (الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي). قلت: وهو بهذا العنوان حققه في العراق محسن غيّاض عام ١٩٧٣م.

٩- ذكر في (٦: ٢٤١) مدخل ٢٦١٠ ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر بتحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ١٩٨٣م، والمحققان كانا نشرا الكتاب من قبل في مصر من غير تحقيق. وحققه في مصر محمد محي الدين عبدالحميد ونشر في ١٩٣٩م.

١٠-من المطبوعات التي فات ذكرها:

أ) محمد بن عبدالله بن عثيمين. (١٢٧١ - ١٣٦٤ هـ) (١٨٥٤ - ١٩٤٤ م)

ديوانه عنوانه: «العقد الثمين من شعر ابن عثيمين» - مطابع دار الهلال للأوفست - الرياض ١٩٨٠م (جمع الديوان وبوّب قصائده سعد بن عبدالعزيز بن رويشد).

ب)ابن الوردي؛ زين الدين أبوحفص عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ):

شرح ألفية ابن مالك المسمى تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، تحقيق عبدالله بن علي الشلال.-ط١- الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ٣٥٦ص.

والمعجم في نظري قاعدة معلومات مهمة ومنهجه طريقة يمكن احتذاؤها، وخليق بمثل هذا العمل الجليل أن يصور ويرفع على الشابكة ليتيسر اطلاع طلاب التراث العربي في كل مكان عليه بيسر وسهولة، بل لعل من المفيد أن يحول إلى قاعدة معلومات حاسوبية بما يهيئ إمكان الدخول بمداخل مختلفة تصنف محتواه حسب مراد الباحث.

مقاصد علم اللغة

هذا جزء من عنوان كتاب أ.د. خالد فهمي إبراهيم، وهو (مقاصد علم اللغة في الحضارة العربية الإسلامية دراسة استقرائية)، وهو كتاب ثقافي لو لم يتميز إلا بإهدائه لأستاذنا أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح وتقديمه للكتاب لكفاه شرفًا ورفعة، وتقديم أستاذنا قطعة فنية أحسن تخير ألفاظها كما أحسن وضع ما تتيحه إمكانات اللغة وأنظمتها من استعمالات يرتادها بما ملكه من اقتدار وتمكن من ناصية اللغة، وليس يشغلك جمال رصف العبارة ولا متانة السبك وما عليه من حلاوة وطلاوة؛ إذ هو يذكرك بصنيع الجاحظ في رسائله ويزوي بين أسطره من المعاني ما تنوء به الأسفار.

ويستوقفك هذا العنوان الطويل فإذا تصفحت الكتاب ونظرت في مداخله لم تجده في مقاصد علم اللغة إلا إن عمدت إلى توسيع الدلالة وقبلت الإضافة لأدنى ملابسة، فهذا الكتاب يتحدث عن مقاصد المؤلفين من تأليفهم كتب علوم اللغة وأحسب أنَّ بين الأمرين فرقًا. وقد جعل المؤلف مقاصد المؤلفين همه وإن نسبها للعلوم؛ فأنت تراها متكررة متداخلة؛ لأنها مهما تعددت ليست تملأ سفرًا بهذا الطول، وهو أمر أقر به المؤلف واعتذر عنه؛ ولكن الشيء بالشيء يذكر، فكان سعي المؤلف إلى كتابة هذه المقاصد، وقد دعي إلى الكتابة فيها تلبية لرغبة صاحب دار المقاصد، سبيلًا إلى استعراض للثقافة اللغوية في الباب الثاني من الكتاب، وهو جمهرة الكتاب، حيث ضم خمسة فصول عن علم الصوتيات وعلم الصرف وعلم النحو وعلم الدلالة وعلم اللغة في كتب الطبقات.

والكتاب إذن يحقق ما قصد إليه مؤلفه من «الطموح نحو أن يكون كتابًا في المصادر اللغوية في ثوب مختلف عما أنجزه

علماء هذا الباب المعرفي في العصر الحديث».
وختم المؤلف كتابه بمجموعة من النتائج وصفها بأنها شديدة الأهمية، بيّن فيها أثر القرآن الكريم في الانفجار المعرفي الذي أنتج الدرس اللساني، وأن علوم اللسان بينها شبكة معقدة من العلاقات كان يمكن أن تتفوق على منجز الحضارة الغربية المعاصرة، وأنه منجز متعدد الوظائف متنوع يعكس خصائص الإسلام على الأرض، وتعجب المؤلف من اتفاق مصادر اللغة في مقاصدها من حفظ للدين وحفظ للعقل وحفظ للنفس وحفظ للمال، وبيّن أنّ الكتاب كشف عن استغراق العقل العربي كل مجالات العمل العقلي، وذكر أن تطبيقات مقصد التيسير ظاهرة في علوم العربية بتنوع منهجي وتنوع تأليفي وإرادة جمع وتنظيم وإرادة استدراك وتكميل، وتعجب من سعي المنجز اللساني إلى خدمة مقصد السلام الاجتماعي، وأوضح تنبه الحضارة العربية إلى مخاطر التوقف عند المناهج الوصفية فتجاوزتها في وعي معجِب مشيرًا إلى أثر الأحكام الفقهية في السعي اللغوي إلى المعيارية، وأشاد بالوعي الملازم للمنجز اللساني بقضايا المعنى والدلالة، وأوضح أهمية الكتاب في تمييز اللسان العربي على غيره من الألسنة من حيث التنوع خلافًا لجمهرة اللسانيين المعاصرين، وذكر أن الكتاب فتح الباب لإعادة النظر في تقسيم فروع كل مستوى لغوي بما أنجزته العرب بمصادرها المتنوعة. وختم نتائجه بأنه من المفاجئ أن يكشف فحص المنجز اللساني عن تقدير ظاهر للتاريخ يمكن القول معه إن الحضارة العربية سبقت وعدّت تاريخ علم اللغة فرعًا من العلوم اللغوية.

جاء هذا الكتاب في لغة واضحة سليمة، ولست أشك أن القارئ سيحمد للمؤلف ما حمده له أستاذنا سعد مصلوح من صبر وأناة على جمع المتفرقات، وإنه واجد بلا شك من الخير والمتعة ما يستحق له المؤلف الشكر والثناء.

من جهود مركز خدمة العربية

يكفيك أن تطلع على الموقع الشبكي لمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية لتدرك الجهود المتعددة التي يبذلها هذا المركز بإدارة الدكتور عبدالله بن صالح الوشمي الذي وهب نفسه بإخلاص وتفان ودأب منقطع النظير لإدارة أعمال هذا المركز على تعددها وتشعبها.

بين يديّ جملة من إصدارات المركز المتفردة بمضامينها، الشاملة في اتجاهاتها، وهي إصدارات تكشف جوانب عن اللغة العربية قد لا تتيسر لكل قارئ، فجاءت من ذلك سلسلة عنوانها (مباحث لغوية) منها (معايير الأداء المهني لمعلمي اللغة العربية) حرره د. مرضي بن غرم الله الزهراني وكتبه ستة من المتخصصين، و(المدونات اللغوية العربية بناؤها وطرائق الإفادة منها) حرره د. صالح بن فهد العصيمي وكتبه خمسة باحثين، و(القيمة المعنوية للغة العربية لدى الشباب في دول مجلس التعاون الخليجي) حرره د. خالد بن عبدالعزيز الدخيل وكتب بحوثه أربعة من المتخصصين، و(المخطوطات والتراث اللغوي: خدمة التراث اللغوي، المخطوطات في مجال اللغة العربية بين الواقع والمأمول) حرره د. سامي بن محمد الفقيه الزهراني، وكتبه أربعة من المتخصصين. و(اللغة العربية في المنظمات الدولية) حرره د. ناصر بن عبدالله الغالي، وشارك في كتابة بحوثه عدد من المتخصصين، و(مسارات التنسيق والتكامل بين المؤسسات اللغوية في الوطن العربي) حرره أ.د. علي بن إبراهيم السعود، وكتبه خمسة من المتخصصين. و(انقراض اللغات وازهارها محاولة للفهم) حرره د. محمود بن عبدالله المحمود،

وشارك في كتابة فصوله ستة من المتخصصين.

ومن هذه الإصدارات ما يكشف عن منزلة العربية في العالم ومدى انتشارها وهي سلسلة عنوانها (العربية في العالم) كان أولها المجلد الضخم عن (الثقافة العربية في الهند) كتبه مجموعة من المؤلفين بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي في الهند وراجعه وحرره مجموعة من المتخصصين، و(اللغة العربية في إسبانيا) من تحرير د. ماء العينين العتيق، وشارك في كتابته عدد من الباحثين في الجامعات الأسبانية.

واهتم المركز بإصدار سلسلة من الأدلة التي تعرف القارئ بالعربية وهي سلسلة (الأدلة والمعلومات) ومنها (١٠٠ سؤال عن اللغة العربية) و(دليل ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية) كتبه أ.د. محمود إسماعيل عمار، و(دليل معلم العربية للناطقين بغيرها) كتبه د. علي عبدالمحسن الحديبي، و(دليل متعلمي العربية الناطقين بغيرها) كتبه د. محمود علي شرابي، و(عالمية الأبجدية العربية وتعريف باللغات التي كتبت بها) ألفه عبدالرزاق القوسي وحرره د. عبدالله الأنصاري، وجاء في جزأين، و(دليل علماء اللغة العربية في الصين) كتبه أ.د. خليل لوه لين.

ولا تقف جهود المركز من حيث النشر عند تلك الإصدارات المتنوعة بل يتولى إصدار مجلتين نادرتين هما (اللسانيات العربية) التي يرأس تحريرها أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، ومجلة (التخطيط والسياسة اللغوية) التي يرأس تحريرها أ.د. محمود إسماعيل صالح.

وإن ننظر بعين الإعجاب إلى تلك الجهود فإنا نأمل أن يعمق اهتمام المركز بالسياسة اللغوية لتأسيس مشاريع لغوية، منها إعادة الجمع اللغوي المنظم للغة العربية المعاصرة التي لا تضمها مدونة واحدة، ولا تظهر في معجم له صفة الاستقصاء والدقة، ومنها السعي الجاد نحو توحيد الرسم الإملائي وتجنب الفوضى الكتابية لتجاور الطرائق الكتابية المختلفة بحجة أنها موروث عربي. ومنها الالتفات إلى تعليم العربية في مراحل التعليم الأولى للتأكيد على تعليم اللغة من غير انشغال بقواعدها. ومنها تعزيز مكانة العربية في سوق العمل وفرضها لغة للعمل. ولا شك أنها مشاريع كبيرة تقتضي توسيع المركز وتعزيز قدراته.

المنهج الوصفي في كتاب سيبويه

بمنهج علمي دقيق وبتمثل عميق للمنهج الوصفي وبسبر لأغوار كتاب سيبويه وبفهم مستوعب لمفرداته استطاع الدكتور نوزاد حسن أحمد أن يكشف جانبًا مشرقًا لكتاب سيبويه، وأن يقفنا على أسس المنهج الوصفي في الكتاب، وأن يقفنا على تمثله استعمال هذا المنهج في الدرس اللغوي عنده في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية، وفصّل في قواعد العلاقات النحوية من قرائن معنوية كالإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية وقرائن لفظية كالعلامات الصوتية والمطابقة والربط والتضام والتنغيم، وبيّن قواعد الاستبدال والتحويل.

انتهى الباحث القدير إلى جملة من النتائج المهمة أقتبسها مميزة بين علامات التنصيص، وهي النتائج التي بينت أن «قيمة التراث تظهر من خلال الجد الذي بذله سيبويه في جمع مادة كتابه ودراستها ... فالكتاب مرجع لمن يروم البحث في موضوعات

علم اللغة››، وسيبويه قد ‹‹بدأ البحث اللغوي عنده وفق منهج وصفي دقيق››، إذ تراه ‹‹اهتم بالمسموع من اللغة››؛ لأن ‹‹منهجه الوصفي يحتم عليه دراسة اللغة من خلال الكلام››، ولذلك ‹‹ميّز بين اللغة والكلام، وإذا كان الكلام هو الجانب المستعمل من اللغة في المنهج الوصفي الحديث فإن سيبويه قد ربط في أكثر من موضع بين الكلام والاستعمال››، فقد ‹‹أدرك أهميّة اللغة المنطوقة، وحمله الاهتمام بها على ملاحظة نطق التغييرات››، ومن هنا ‹‹لم يكن جهده اللغوي بعيدًا عن التصنيف الدقيق، الذي هو أحد الأسس التي يعتمد عليها المنهج الوصفي››؛ إذ ‹‹ألزم نفسه في الاستقراء بمنهج وصفي لصيق بالواقع متصف بالعلمية››، فكانت ‹‹السمة الغالبة للقياس في كتابه، هي القياس الوصفي المعتمد على منطق اللغة ولا نجد في الكتاب أثرًا للمنطق، والمقولات الفلسفية في تطبيق هذا المبدأ اللغوي››، و‹‹حرص على أن تكون بين منهجه، والواقع اللغوي جذور مشتركة لذلك اتّسمت أحكامه اللغوية بالموضوعية، فقد أدرك أنّ وظيفة الباحث اللغوي هي وصف الحقائق لا فرض القواعد، وهو رائد في دقة تطبيق هذا المبدأ الوصفي››، فهو ‹‹ميّز في منهجه الوصفي بين الاستعمالات اللغوية الحقيقية والتي اقترحها قصد التوضيح وهي أمثلة مصنوعة أطلق عليها مصطلح (التمثيل)››، و‹‹تنبه إلى أن اللغة نظام قائم على مبدأ العلاقات، وأنّ بنية هذا النظام هي الأصوات التي تنتظم في تشكيل صوتي منسجم لتؤلف الأبنية، وتدخل هذه الأبنية في علاقات سياقية لبناء التركيب النحوي الذي هو غاية الارتباطات الصوتية المتتابعة››، و‹‹قاده حسه اللغوي إلى التمييز بين علم الصوت Phonetic وعلم وظائف الأصوات Phonology››، وعالج الظواهر الصوتية ‹‹استنادًا إلى القوانين

الصوتية في نحو: (قانون السرعة)، و(قانون الأقوى)، و(قانون الجهد الأقل)، و(قانون التردد النسبي)، وهذه القوانين هي التي يلجأ إليها المنهج الوصفي لدراسة التغييرات الصوتية»، و«إنّ ما توصل إليه من وصف للأبنية والتقعيد للأصول المستقراة، يعبّر عن عمق منهجه الوصفي»، وفي «دراسة التراكيب النحوية ظهر له أنّ الجملة هي بؤرة التحليل اللغوي، واستند في وصف الجملة، وتحليل بنيتها إلى القواعد، التي يحرص عليها المنهج الوصفي الحديث»، «وميّز بين البنية السطحية للجملة والبنية التحتية لها، واهتدى قبل المنهج التحويلي بقرون طويلة، إلى أن الاقتصار على الجانب الشكلي لدراسته اللغة لا يكفي للإحاطة بوصف كامل للنظام اللغوي، وأنّ وظيفة القواعد التحويلية هي الربط بين البنى التحتية، والبنى السطحية للتراكيب النحوية»، وربط بين التركيب النحوي والعالم الخارجي بملاحظة «تأثير المواقف في دلالات التراكيب، وهو ما يعرف في علم اللغة الوصفي بـ(المنهج السياقي)».

ومن أهم نتائج البحث في هذا الكتاب القيّم بيانه أنه «لم ينضج الدرس الوصفي الحديث إلّا بعد قطعه مراحل كثيرة، في حين أن هذه المراحل قد وجدت طريقها مرة واحدة إلى كتاب سيبويه».

وختم نتائجه بقوله «وبعد، فإنّ سيبويه قد أرسى باكورة المنهج الوصفي من خلال وضعه لنظرية لغوية متكاملة، وتوضح أصول اللغة وتعبّر عن تجربة إبداعية فريدة، وتثبت عراقة البحث اللغوي العربي المتمسك للمكونات الفكرية العربية، والمستمد مقوماته من إرث اجتماعي وحضاري متميزين.

فالتراث اللغوي العربي مؤهّل للتأمل والدراسة كلما انتهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى منطلقات جديدة، وأنّ العودة إلى التراث اللغوي بعين التأمل، والنظرة الموضوعية ومن خلال فهم عميق له، كفيلة بأنْ تمنحنا الحقائق، التي ما تزال مجهولة لدى بعض الباحثين».

وما هذا الكتاب سوى ردّ علميّ لتهمة بعض الدارسين المحدثين بأن النحو العربي نحو معياريّ حين توقفوا عند كتب تعليمية تطبيقيةٍ المعياريةُ من لوازم تأليفها، ولم يلتفتوا لأصول التدوين النحوي المتقدم التي اعتمدت على الوصف، منذ كان الوصف منهجًا لازبًا لبحث كل موضوع علمي ليؤول بعدئذ إلى المعيارية المسعفة عند التطبيق والتعلم والاختبار. وهذا الكتاب إضافة قيمة للمكتبة العربية وكتاب سيبويه بحر لا تنتهي عجائبه.

ثانيًا: في الأعمال البلاغية والإبداعية والثقافية

البحث البلاغي والنقدي في العمدة

كتاب (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) من أجلّ كتب البلاغة العربية وأشهرها، وقد وفق الدكتور محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل في اختياره ليقيم عليه بحثه لمرحلة الماجستير، وهذا هو الكتاب الذي أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ضمن سلسلة الرسائل الجامعية بعنوان (البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة)، وكانت سمعة الكتاب وصاحبه من دوافع الباحث إلى الكشف عن البحث البلاغي والنقدي فيه معززًا بما ثقفه الباحث من معرفة بالبلاغة العربية ودقائقها؛ ولكن الباحث حين شرع

يقرأ ما كتبه المحدثون عن هذا الكتاب هاله ما قرأ، وما رأى «من بعضهم من أحكام تقويمية عامة، هي دون المستوى الحقيقي للعمدة وصاحبه». بل إن بعضهم وصف ابن رشيق بأنه مجرد ناقل جامع، وهي نظرة سائدة عند كثير من المتخصصين؛ ولذا حاول الباحث جهده أن ينصف الكتاب وصاحبه، وسعى بمنهج وصفي تاريخي إلى أن يربط مفردات هذا الكتاب بأصولها عند سلفه وأثرها عند خلفه، وهو لا يكتفي بالعرض الوصفي بل يحقق ويقوم جهد ابن رشيق مناقشًا لبيان تأثره بمن قبله وتأثيره في من بعده وبيان مدى إضافته.

جاء الكتاب في مقدمة وتمهيد وستة فصول، ألم في تمهيده بالدراسات البلاغية والنقدية قبل ابن رشيق، وخصص الفصل الأول لابن رشيق نفسه لحياته ونشأته والتعريف به والعوامل المكونة شخصيته البلاغية النقدية، وجعل الفصل الثاني لكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه مبينًا الغرض من تأليفه ومادته العلمية ومنهجه في البحث البلاغي النقدي مدونًا أبرز الملحوظات في المنهج وكاشفًا عن مصادره، وبدأ في الفصل الثالث بالدراسة المعمقة للقضايا البلاغية في كتاب العمدة وتقويمها، فعالج القضايا والمصطلحات، وألم بصور من البيان وفنونه، وببحوث علم المعاني ودلالاته، وبشيء من وجوه المحسنات البديعية المعنوية منها واللفظية، وأما في الفصل الرابع فشرع بالقضايا النقدية في كتاب العمدة وتقويمها، فوقف على الشعر وحدّه عند ابن رشيق، ومسألة التكسب بالشعر، وعمل الشعر وفنونه وأغراضه، وعالج قضاياه المشهورة وهي: اللفظ والمعنى، والطبع والصنعة، والقديم والجديد، ومشكلة السرقات،

وانتهى من ذلك إلى الفصل الخامس حيث عالج البحث البلاغي والنقدي في العمدة من حيث الأصالة والتقليد، وعزز هذا الاتجاه في الفصل السادس عن العمدة ومنزلته عند النقاد، فعرض رأي ابن خلدون ثم آراء الدارسين المحدثين: المنصفين منهم وغير المنصفين، وأنهى الفصل برأيه في كتاب العمدة.

اعتمد الباحث في بحثه على طائفة كبيرة من المصادر والمراجع التراثية والحديثة، وقد أحسن الأخذ منها والصدور عنها، ومناقشة ما فيها من أقوال، وعمله مثال مدهش لما يتصف به الباحث الحق من الصبر والأناة وتلمس وجه الصواب من غير تحيز؛ وأما خاتمة الكتاب فموجزة مركزة أشار فيها إلى أبرز ملامح عمله موصيًا باستكمال دراسة كتاب العمدة لغويًّا وعروضيًّا، ودراسة كتب ابن رشيق الأخرى لاستكمال الصورة العامة عن جهود هذا العالم الجليل، وكذا دراسة شخصيته وشعره دراسة تفصيلية معمقة؛ ولذلك أرى عمل الدكتور محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل من الأعمال المهمة في مجال الكشف عن البحث البلاغي والنقدي عامة، وعند ابن رشيق خاصة، وهو كتاب جدير بالقراءة في نظري.

البلاغة والنقد الأدبي في شروح الاختيارات الشعرية

إنها جسارة مدهشة أن يتصدى باحث لمعالجة موضوع واسع متعدد الجوانب في ستة شروح كبيرة ذوات أجزاء (شرح المفضليات للأنباري، شرح اختيارات المفضل للتبريزي، معاني أبيات الحماسة للنمري، شرح الحماسة للمرزوقي، شرح الحماسة للتبريزي، شرح المضنون به على غير أهله للعبيدي)، ولولا رغبة قوية وإصرار فعّال ونية صادقة ما استوى لنا هذا الكتاب

(البلاغة والنقد الأدبي في شروح الاختيارات الشعرية) في مجلداته الثلاثة، ولقد وفق الدكتور محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل في اختيار هذا الموضوع ليقيم عليه بحثه لمرحلة الدكتوراه، وكان عمله في مرحلة الماجستير (البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة) تجربة موفقة دفعته للمواصلة في هذا الاتجاه البحثي الشاق المثمر. عمد الباحث إلى التنقير عن مفردات بحثه مستقريًا محللًا ليقف على مدى عناية هؤلاء الشراح بمصطلحات البلاغة وقضايا النقد الأدبي.

جاء الكتاب في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، ألم في تمهيده بمفهوم الاختيارات الشعرية واقفًا عند أسمائها وأسماء أصحابها، وخصص الباب الأول لدراسة (البلاغة في شروح الاختيارات الشعرية) وهو أطول أبواب الكتاب، وفيه مدخل عالج فيه الباحث منهج البحث البلاغي عند شراح الاختيارات الشعرية، ثم عقد لموضوعات هذا الباب ثلاثة فصول هي علوم البلاغة المشهورة فجاء الفصل الأول عن علم المعاني، والفصل الثاني عن علم البيان والفصل الثالث عن علم البديع، وأما الباب الثاني فعالج (أهم الدراسات النقدية في شروح الاختيارات الشعرية)، والباحث قصد بالدراسات القضايا النقدية التي عالجها النقد العربي القديم، ولما كانت القضايا متعددة جاءت في ستة فصول، كان أولها عن (قضية الانتحال)، والثاني عن (عمود الشعر) والثالث عن (أغراض الشعر العربي)، والرابع عن (قضية السرقات) والخامس عن (القِدم والحداثة)، والسادس عن (اللفظ والمعنى)، وأما الباب الثالث فهو دليل على حرص الباحث على استكمال القول في شأن هذه الشروح فراح يعرض (شروح الاختيارات

الشعرية من خلال الدراسات الحديثة) وجاء هذا الباب في أربعة فصول جعل الأول للمضمون والثاني للرمز الشعري والثالث للخصائص الأسلوبية والرابع للأوزان والقوافي.

على الرغم من ضخامة العمل واتساعه لم يكن الباحث منكفئًا على الرصد والجمع والتدوين بل أحسن تقديم مفردات البحث؛ فهو واضح المنهج يمهد بين يدي المسألة بمهاد نظري ملائم لا إسراف فيه ولا تطويل ثم يعرض لما جاء في هذه الشروح، وهو في كل ذلك واضح الشخصية فعال في مناقشته ومعالجته بلغة واضحة سليمة.

انتهى الباحث القدير إلى طائفة من النتائج المهمة التي لا يسعنا تفصيلها بل الإشارة إليها، فمنها «قلة عناية الشراح بالمصطلحات البلاغية والنقدية»، و«عدم وفائهم بجوانب البحث البلاغي والنقدي»، ومنها أنه «تميز جهد هؤلاء الشراح بالإيجاز في عرض المباحث والفنون البلاغة ودراستها وتحليلها وبالاقتضاب في عرض مسائل النقد وقضاياه ودراستها وتحليلها، وعدم وضوح مواقفهم النقدية منها [سوى المرزوقي]». ومن ذلك أنهم لم يعدوا السرقات الشعرية عارًا بل نظروا إليها من زاوية فنية دعت بعضهم إلى امتداح إعادة المعنى بلفظ جديد أوفى بأداء المعنى، ولمس الباحث أثر إجادة الشراح دراسة الخصائص الأسلوبية وأن هذا متصل بنظرية النظم عند البلاغيين والنقاد العرب القدماء كما يتصل بنظرية الأسلوب والصورة الفنية الأدبية في النقد الحديث، ولم يغفل الباحث عن بيان رأيه في قضايا النقد العربي القديم، وتبين له أن التبريزي في شرحيه عالة على المرزوقي والأنباري اللذين كان لهما «عناية ظاهرة بفن

التشبيه»، وبيّن الباحث استغراقه كثيرًا من شروح الاختيارات سوى الستة المذكورة، وأنهى الباحث خاتمته بتوصيات مهمة منها دعوته لبحث غرض (الوصف) في هذه الشروح، ومنها تحقيق شرح المفضليات للمرزوقي لغناه بعلوم اللغة والنحو والصرف والأدب والبلاغة والنقد.

اعتمد الباحث في بحثه على طائفة كبيرة من المصادر والمراجع التراثية والحديثة، وقد أحسن الأخذ منها والصدور عنها، ومناقشة ما فيها من أقوال، وعمله مثال مدهش لما يتصف به الباحث الحق من الصبر والأناة وتلمس وجه الصواب من غير تحيز؛ ولذلك أرى عمل الدكتور محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل من الأعمال الموسوعية المهمة في مجال الكشف عن موضوعات البلاغة والنقد العربيّ القديم عامة، وفي شروح الاختيارات الشعرية خاصة، وهو كتاب جدير بالقراءة في نظري.

تراحيل أستاذنا الحقيل

حين تقرأ ما دونه أستاذنا الشاعر الأديب المربي عبدالله بن حمد الحقيل في رحلاته تجد نفسك راحلًا معه، رفيقًا لدربه، يهديك إلى المكان بأسلوب شائق، ويطرّز لك حديثه بأبيات من الشعر له أو لغيره بما يناسب الموقف ويبسط لك جانبًا من المشاعر.

لم يكتف الأستاذ في (رحلة إلى اليابان) بوصف زياراته فيها؛ بل ألقى الضوء على جوانب أخرى قد لا يدركها السائح العادي أو الزائر العابر، فهو يحدثنا عن تعلم اليابانيين العربية

بفضل جهود المملكة مشيرًا إلى تعاون جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والجامعات والجمعيات اليابانية المعنية بذلك. وهو ينقل لنا حديث د. غوتو أكيرا عن الدراسات العربية والإسلامية في اليابان.

ولأستاذنا (رحلات الحج في عيون الرحّالة وكتابات الأدباء والمؤرخين) يزوي لك فيها ٣٤ رحلة عبر التاريخ وهي رحلات نظرية رحلها في كتب الرحّالة، فهو يبدأ برحلة ابن جبير فابن بطوطة فناصر خسرو، ومن الأدباء الزيات والمازني والعقاد، ومن علماء بلادنا حمد الجاسر، ثم يختم برحلات فعليّة إذ رحل أستاذنا غير مرة إلى الرحاب الطاهرة.

ولما كانت بلادنا حرسها الله من أوسع بلاد المعمورة كانت جديرة مناطقها بالرحلة والزيارة، وفي ذلك كتاب (ذكريات ورحلات في ربوع بلادنا) افتتحه ببيان «أهمية العناية بتاريخ مدننا» لأن «الرحلات رافد ثقافي وتاريخي»، ولأن «أدب الرحلات فن متميز»، ولم يفته أن يكتب عن «الجزيرة العربية في عيون الرحالة»، ثم بدأ رحلاته «أول رحلة إلى الرياض في ١٣٧٠هـ» ثم توالت موضوعات تناولت رحلاته في مناطق مختلفة من بلادنا غربها وشرقها شمالها وجنوبها فكأنه زار كل بقعة فيها.

ولأستاذنا الحقيل رحلاته (في آفاق التربية وأفياء التعليم) ويسطر في هذا الكتاب جوانب من تجربة المعلم والمربي والإداري الناجح، تحدث فيه عن أمور كثيرة: عن «التعليم وأهدافه» وعن «التربية ودورها في تنمية أنماط السلوك الإنساني»، عن المدرسة وعن المناهج وعن توظيف المكتبة

المدرسية. وعن «دور الأسرة في تكوين الأجيال»، عن «الإعلام التربوي وتأثيره»، عن «المرأة ووظيفتها التربوية».

ولم تقتصر رحلات أستاذنا على ربوع بلادنا بل امتدت إلى الوطن العربي فكتب (رحلات ومشاهدات في الوطن العربي والأندلس) وقرن الأندلس بالوطن العربي لما وقَر في نفسه من أنها عربية عمرها العرب ثمانية قرون حتى أخرجوا منها. في هذا الكتاب زيارات لربوع دول الخليج: الكويت والبحرين وقطر والإمارات وعمان، ثم حديث عن رحلته إلى اليمن فبلاد الرافدين فالشام ولبنان والأردن وفلسطين، حيث زار المسجد الأقصى وصلى فيه، وسجل زيارته لأرض الكنانة والسودان وتونس والجزائر والمغرب وراح يحدثنا بعد عن أيام في الأندلس زار مكتبة الإوسكوريال وجامع قرطبة وجبل طارق وهي رحلة سيعود إليها في كتاب آخر.

وأما الكتاب فهو (رحلات ومشاهدات سائح في البلاد الأوروبية) وهو كتاب جميل شكله ومضمونه صوره وطباعته، زار فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، وسويسرا، وإيطاليا، والنمسا، وموناكو، وهولندا، وبلجيكا، واليونان، وسلوفاكيا، والمجر. وأكثر ما شدني رحلته إلى أسبانيا وهنا سماها باسمها الغربي وكان قد سماها الأندلس في رحلته إلى البلاد العربية، شدّني لأنه ذكرني بنفسي وأنا أزور مع ابنتيّ مدن الأندلس تلك؛ طليطلة وقرطبة التي حول جامعها إلى كنيسة وكاتدرائيات وكسيت مئذنته ببرج كنسي، إنه مشهد يعصر الفؤاد، وتوقف أستاذنا وقفة خاصة في قصر الحمراء كما توقفنا وتجولنا في جنباته وخيالنا يسرح في أيام خالية كان أجدادنا يملؤونها حياة، قالت لي إحدى ابنتَيّ

أراك مكتئبًا حزينًا، فلم أزد على هزّ رأسي، فلم أكن أقوى على الكلام، وغصة أخذت بمجامع حلقي، لم تجد لها متنفسًا إلا بعد خلوتي في غرفة الفندق، هناك سمعت أبا البقاء الرندي يقول:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ

فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسان

حتى قال:

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ

إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

على أني غرقت في موجة بكاء شديدة وأنا أقرأ قصيدة الشاعر المبدع نزار قباني:

في مدخل الحمراء كـــــان لقاؤنــــــا

مــا أطيب اللقيا بلا ميعـــــــــــــــــاد

عينان سوداوان في حجَريهـــــــــــما

تتوالد الأبعاد مــن أبعـــــــــــــــــاد

هل أنت إسبانية؟ ســــــــــــاءلتهـــا

قالت: وفي غرناطة ميـــــــــــــلادي

غرناطة؟ وصحت قرون سبعـــــــــة

في تينك العينين.. بعد رقـــــــــاد

وأمية راياتهـــــــــا مرفوعة

وجيادها موصولة بجيـــــــــــاد

ما أغرب التاريخ كيف أعـــــادني

لحفيدة سمراء من أحفــــــــــادي

وجـــــــه دمشقي رأيت خلالــه

أجفان بلقيس وجيد سعـــــــــــاد

ورأيت منزلنـــــا القديم وحجرة

كانت بها أمي تمد وســــــــــادي

والياسمينة رصعت بنجـــــومها

والبركة الذهبية الإنشــــــــــــاد

ودمشق، أين تكون؟ قلت ترينهـــا

في شعرك المنساب ..نهر ســـــواد

في وجهك العربي، في الثغـر الذي

ما زال مختزنًا شموس بــــــلادي

في طيب (جنات العريف) ومائهــــــا

في الفـــــــل، في الريحان، في الكَبّاد

سارت معي..والشعر يلهث خلفها

كسنابل تركت بغير حصـــــــــــــــاد

يتألق القرط الطـــــــــــــويل بجيدهــا

مثل الشموع بليلة الميـــــــــــــــلاد

ومشيت مثل الطفل خلــف دليــلتي

وورائي التاريخ كوم رمـــــــــــــاد

الزخرفات.. أكـــــــــاد أسمع نبضهـــا

والزركشات على السقوف تنادي

قالت: هنا (الحمراء) زهو جدودنا

فاقرأ على جدرانها أمجـــــــــــــادي

أمجادها؟ ومسحت جرحًـــــــــا نازفًا

ومسحت جرحًا ثانيًا بفـــــــــؤادي

يا ليت وارثتي الجميلة أدركـــــــــــت

أن الذين عنتهمو أجـــــــــــــــدادي

عانقت فيهـــا عندما ودعتهـــــــــــــــــــا

رجلًا يسمى (طارق بن زيـــــــــــاد)

ثلاث الرسائل التراثية في النقد والبلاغة

ضمن سلسلة الأعمال التراثية المحققة التي يوالي نشرَها كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها صدر كتاب ضمّ ثلاث رسائل كان أستاذنا الدكتور محمد بن عبدالرحمن الهدلق حققها ونشرها في دوريات علمية ثم جمعها لتخرج في مجلد واحد، وأحسن في ذلك؛ لأن في إعادة النشر فرصة إعادة نظر للنشرة السابقة ولأن كثيرًا من القراء والباحثين أميل إلى قراءة الكتب والانتفاع بها، وقلّما نجد طلاب الدراسات العليا يعودون إلى بحوث نشرت في المجلات الدورية.

أما الرسالة الأولى فهي (رسالة في استخراج الْمُعَمّى) لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ)، و(مُعَمّى) اسم مفعول من الفعل (عَمّى)، جاء في معجم (لسان العرب) «والتَّعْمِيَةُ: أَنْ تُعَمِّيَ عَلَى الإِنْسانِ شَيْئًا فتُلَبِّسَه عَلَيْهِ تَلْبِيسًا. وَفِي حَدِيثِ الْهِجْرَةِ: لأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرائي، مِنَ التَّعْمِيَة والإِخْفاء والتَّلْبِيسِ، حَتَّى لَا يَتبعَكُما أَحدٌ. وعَمَّيتُ مَعْنَى الْبَيْتِ تَعْمِية، وَمِنْهُ الْمُعَمَّى مِنَ الشِّعْر، وَقُرِئَ: {فَعُمِّيَتْ عَلَيْهِمُ}[1] [٦٦-القصص] بِالتَّشْدِيد»[2]. ونقل لنا أستاذنا الهدلق تعريف أبي هلال العسكري

---

(١) قراءة الجمهور بفتح العين وتخفيف الميم، وقرأها بضم العين وتشديد الميم الأعمش، وجناح بن حبيش، وأبوزرعة، وأبورزين، العقيلي، وأبوعمرو بن جرير، وقتادة، وأبوالمتوكل، وعاصم الجحدري. انظر: معجم القراءات، لعبداللطيف الخطيب، ٧: ٥٦- ٦٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٥: ١٠٠.

معنى التعمية في الشعر «والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسمًا .. فإذا مضت الكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت»[١]. وذكر أن فن المعمى عربيّ الوضع منذ الخليل وانتقل إلى العجم فأغرموا به. وابن طباطبا شرح في رسالته كيفية الاهتداء إلى ما عميّ في الشعر بالاستعانة بمعرفة أوزانه وإحصاء حروفه وذكر جملة من الخطوات المتبعة المعينة على كشف المعمّى، والتعمية في عصرنا الحاضر تعددت أغراضها وتعقدت أساليبها.

أما الرسالة الثانية فلا تقل طرافة عن الرسالة الأولى، وهي (رسالة في الفرق بين المترسّل والشّاعر) لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابِئ (ت٣٨٤هـ). وهي جواب لسؤال ربما يخطر على بال كثير من الناس حين يلاحظون أن المشتغلين بعلوم غير أدبية إبداعية تأتي لغتهم إشارية مبلغة لكنها ليست بلاغية الطابع كلغة الإبداع الشعري وما يشاكل الإبداع الشعري، وكنت أظن هذه الملاحظة عند المحدثين حتى اطلعت على هذه الرسالة التي تجيب عن هذا فتتحدث عن تباين فنّين ليسا بتباعد غيرهما كالكتابة في النحو والفقه ببعد لغتهما عن لغة الشعر وإن جاء في نظم شعري كالألفيات التي تزوى فيها العلوم، فهي ليست شعرية وإن استعارت شكل الشعر وهو نظمه، افتتح الصابئ رسالته بقوله «كنت سألتني –أدام الله عزّك- عن السبب في أنّ أكثر المترسلين البلغاء لا يفلقون في الشعر، وأن أكثر الشعراء الفحول

---

(١) محمد بن عبدالرحمن الهدلق، رسائل تراثية في النقد والبلاغة (جامعة الملك سعود، كرسي عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها/ الرياض، ٢٠١٦م) ص٢٠.

لا يجيدون في الترسل فأجبتك بقول مجمل ووعدتك بشرح مفصل»[١]، وهو يرد ذلك إلى اختلاف طريقة الإحسان في الفنين، فسر الترسل في وضوحه وسر الشعر في غموضه، وهو بعد يفسر علة ذلك بما فرض للشعر من أوزان مقيدة وبيوت منفصلة لا يمتد النفس في البيت بأكثر من مقداره فكان لزامًا أن يكتنز بالمعنى ويدق ويلطف حتى يكون المفضي إليه فائزًا بذخيرة دفينة يظفر مستخرجها، وأما الترسل فهو موضوع وضع ما يهذّ ويقرأ متصلًا وبالجملة فما يستحب في الشعر يستكره في الترسل وما يستحب في الترسل يستكره في الشعر. وقد أدرك النحويون الفرق بين لغة الشعر ولغة غيره فالتمسوا العذر للشاعر أن يأتي من الضرورة ما يعاند به القواعد ولحنوا من يفعل ذلك في السعة منذ كان له مندوحة عن تلك المخالفة.

وأما الرسالة الثالثة فهي (الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض) لتقيّ الدين عليّ بن عبدالكافي السبكيّ(ت٧٥٦هـ)، و«الإِغْريضُ كُلُّ أَبيضَ مثْلِ اللَّبَنِ وَمَا يَنْشَقُّ عَنْهُ الطلْع»[٢]، وهي رسالة مختصرة تزوي لك المقصود عند البلاغيين والأصوليين بهذه المصطلحات البلاغية، «فالحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له. والمجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة»[٣]، وهذه دلالة مباشرة بخلاف الكناية والتعريض «فلا يدلان على المكنّى عنه والمعرَّض به وإنما لهما بهما إشعار يحتاج إلى قرينة أو نيّة»[٤]. والكناية قد تكون من

(١) الهدلق، رسائل تراثية في النقد والبلاغة، ص ٧١.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٧: ١٩٦.
(٣) الهدلق، رسائل تراثية في النقد والبلاغة، ص٩٥.
(٤) الهدلق، رسائل تراثية في النقد والبلاغة، ص٩٥.

الحقيقة أو المجاز؛ لأنه ليس سوى إخفاء للفظ وتعبير عن معناها؛ إذ «الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له»[١]، ومن هنا هنا هي «إمّا حقيقة خاصّة، وإما مجاز خاص»[٢]، وأما التعريض فخلاف التصريح فهو «أن تذكر شيئًا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلّم عليك، ولأنظر في وجهك الكريم ... وكأنّه إمالة الكلام عن عُرْض يدل على الغَرَض»[٣]، وهو يقع من حيث الدلالة والمجاز بحسب معناه، وأما التفطّن إليه وإدراك مراد صاحبه فمتعلق بفهم المخاطب وفطنته.

والمدهش في رسائل التراث جمعها بين غزارة الفكَر وعمقها وجمال السبك الذي يبهج النفس ويسر الخاطر، فلعل أبناءنا من الباحثين يطلعون عليها لتذكي مهاراتهم وتهذب لغة كتاباتهم.

جليلة جليلة

تفاجئنا جليلة الأضرعي القاصّة اليمنية الموهوبة بمجموعتها القصصية الأولى (شوارب) بجمال سبك لغوي يحاكي الصور المعهودة بلغة غير معهودة، فنجد حشدًا من مثل هذه الصور البديعة: «مستظلًا ببراءتها»، «فتنتحر الكلمات بداخلي»، «حملتها على وثنين من سراب وُعود»، «كان آخر عود ثقاب معي يطلب الإذن بإحراق جثمانها فمكنته من ذلك»، «انزلقت الفرشاة على خديها..تدحرج أحمر الشفاه على شفتيها»،

(١) الهدلق، رسائل تراثية في النقد والبلاغة، ص٩٩.
(٢) الهدلق، رسائل تراثية في النقد والبلاغة، ص١٠٠.
(٣) الهدلق، رسائل تراثية في النقد والبلاغة، ص١٠٠.

«فككت أسر عينيّ»، «فبادرته بحماس يتقافز من شفتيها»، «رجفة غرست مخالبها في أطرافي»، «اعتقلت المزيد من الهواء بين رئتي»، «أما أنا فقد دعاني أحد الكراسي للجلوس».

استفادت القاصّة من قراءاتها التراثية والحديثة، تمثلتها فأحسنت استعمال جمل منها، وأما التراث فكان أثره واضحًا في التعبير الموجز البريء من خطل ترهل جمل بعض المحدثين، وتجد أثره في لغتها: «وحسبت أن رجزًا من السماء سيصيبنا»، «استنجدت بعمود يعصمني، لكن يبدو أنه لا عاصم اليوم».

الرمزية والسخرية سمتان بارزتان من سمات هذه المجموعة تبدأ الرمزيّة من عنوانها (شوارب) الذي يرمز لقيم يحفل بها العالم الرجولي لتتعدد ألوان تلك الجوانب المعبرة حقًّا أو زيفًا عن تلك الرجولة تبسطها القاصة في حوادث يكاد يجزم القارئ أنه يعرفها أو يعرف مثالها؛ ولكنها تنسجها بلغة طريفة موحية تنهي لك الرسالة بسخرية عميقة، فالرجولة في (فحولة) استحالت إلى وحشية لم يدرأها حب وإعجاب قديم، والتزين في «الرقص مع الأشباح» لم يستدرج الرجل الملول المتطلع لنعجة أخيه، والوعود في (لسعة ورقة) ليست سوى أثر أحلام وهبتها ورقة قات جعلته يهذي بتحقيقها حتى إذا أفاق كان قد أنسي أمرها «أية شرفة؟!»، وفي cut استحالت الرجولة إلى سلبية تكتفي بالرصد التصويري للمشهد حيث يختلط التمثيل بالواقع المعيش، ولكن الرجولة تنهار أمام ضعف الأنثى وإن كان مصطنعًا مزيفًا في (حلال) «لفها بذراعيه.. ارتمت كريشة في حضنه، وهي تنظر إلى البصل من خلف ظهره وتقول: الله لا يحرمني منك» وهي نقطة تنوير. ومن السخرية أن الرجولة لا تظهر إلا أمام الضعفاء، في (سيدي حسن) تختم القصة «نظر الشيخ من خلف قضبان نافذته؛ ليتبين مصدر الضوضاء والصراخ، فأعطى

الأمر فورًا بالانطلاق؛ بعدما تبين له أنَّه حسن!». وفي «التنور» تجري محاولة خبز قد يؤول إلى «فتات خبز متفحم» ولكنه يُفتخر به، وهو ما تؤول إليه طبخ السياسة التي جاء ذكرها عرضا «وما تضج به من هتافات مؤيدة لأحد المرشحين السياسيين وصدى خبر تنقله شاشة التلفاز عن تظاهرات واحتجاجات»، وتسخر القاصّة في (براءة الشيطان) من شعبذة بعض القصاص وقسوتهم وجهلهم في تعاملهم، ولعلها تقصد (الجن) لأنه هو من يتهم بتسلطه على جسد الآدمي حتى يتولى قارئٌ أمر طرده بالقراءة وربما بالضرب المبرح كما وصفت الكاتبة، وهو مشهد متكرر في كثير من البيئات. وفي (لحية وضفيرتان) تظهر الرجولة في أوج تناقضها فعلى الرغم من إظهار ذي اللحية اللطافة بملابسه البيضاء وابتسامته أعقبه انفجار مزّق من في الحديقة من نساء وأطفال.

تصور القاصّة بلطف نسبية الألم في (حالة حرجة) حيث تتضاءل المعاناة متى وقف المرء على معاناة غيره، وأما (إرهابي) فهي، وإن حاولت الإشارة إلى ما استقر في الأذهان من أمر الإرهابيين وتغلغلهم وتخفيهم، ذات بنية مستفادة من ثقافة المؤلفة التراثية؛ فالذي يحدث ضوضاء في المخزن العلوي ويظن أنه إرهابي ولكن يتبين أنه قطّ لاجئ هي قصة أبي حية النميري مع الكلب الذي تسلل إلى بيته، ولكن شتان بين الأصل والفرع فقصة أبي حية جمعت الطرافة وجمال سبك لغوي لجملة من التهديد والوعيد من بعيد من غير مغامرة كمغامرة بطل قصة الإرهابي، وهي مغامرة لا يهم بها عاقل، فالإرهابي المختبئ مسلح في الغالب ومستفزّ، فمهاجمته تحتاج إلى فريق متخصص أما طريقة التنوير المبينة للمفارقة فغير مقنعة، فالقط في الظلام لن يهاجم القادم، بل سيختبئ أو ينتهز الفرصة للفرار، وتصور

القاصّة في (دعابة) خطأ تكرر كثيرًا حين يستعمل السلاح من لا يحسنه، ومن السخرية المرة أن تكون الدعابة مسوغا للكوارث، وتصور «ترانزيت» محاولات بعض المبشرين بالمسيحية التي قد لا تلقى من المسلمين استجابة، والحق أن سطوة المال قد تفعل فعلها في بيئات فقيرة. وتسخر القاصة من سلوك بعض الشباب الذي يخل برجولته فتصف في (كي تكتمل) شابًا خليعًا «يتماهى صوته كثيرًا مع أصواتهن، وتمتط شفتاه وترمش عيناه بدلال...» وهي سخرية تختم في نهاية القصة بموقف طريف «لم أتمالك نفسي.. تقدمتُ خطوات إليه.. أبديت أعجابي به وأهديتهُ نقابًا...».

مجموعة قصصية آسرة مدهشة بلغتها تستحق القراءة والدرس والتأمل على الرغم من كونها مشوبة ببعض الهفوات اللغوية التي كان يمكن تداركها لو حرصت الكاتبة على ذلك، ومع ذلك فإني وجدت جليلة جليلة.

ديرة عثمان

هي (المجمعة حاضرة إقليم سدير)، وهذا عنوان كتاب أستاذنا المربي الشاعر الأديب عبدالله بن حمد الحقيل جمع فيه (لمحات تاريخية وثقافية) عنها. قال شاعر الوشم حمد السياري (حميدان الشويعر):

الفيحا ديرة عثمان ومقابلتها دار الزيرة

سميت المجمعة في أرجح الأقوال عندي لاجتماع الأودية فيها، وأما عثمان فهو جدّ آل عثمان رؤساء المجمعة وهم أحفاد عبدالله الشمري الذي بدأ عمارة المجمعة.

جعل أستاذنا عبدالله الحقيل كتابه في خمسة فصول لم

يسمها؛ لأنها جملة من المقالات، تحدث في الفصل الأول عن (أهمية العناية بتاريخ مدننا وتراثها الثقافي)؛ ولذا بدأ بكلام عن (موقع المجمعة وجغرافيتها وحدودها الإدارية)، و(أحياء المجمعة القديمة والحديثة)، و(سوق المجلس القديم)، ثم (الاستيطان في المجمعة) التي هي مسقط رأسه وله فيها (أيام وذكريات من نبض الزمن الجميل والحاضر السعيد) معرجًا إلى رحلته (ما بين المجمعة والرياض)، وكان ختام فصله الأول (لمحات عن المجمعة وقصر إمارتها).

ويبدأ الفصل الثاني بالجامع (جامع الملك عبدالعزيز روضة من رياض العلم وصفحة مضيئة من تاريخ العلم والعلماء)، وهذا (الملك سعود يؤم المصلين في جامع المجمعة)، ثم ينتقل إلى (المسيرة التعليمية في المجمعة)، ومن ذلك (المدرسة السعودية في المجمعة نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع ومسيرة ثمانين عامًا) و(ذكريات وانطباعات لرواد التعليم) و(تأسيس أول مكتبة مدرسية بتعاون الأهالي في المجمعة ١٣٧٠هـ) ومنها (المعهد العلمي في المجمعة مركز إشعاع علمي وثقافي).

وخصص الفصل الثالث لجملة شهادات، فثمة (المجمعة في مرآة الرحالة والمؤرخين) و(المجمعة في ذاكرة أبنائها) و(المجمعة في عيون الشعراء).

وأما الفصل الرابع فهو عن (المجمعة في إشراقتها الحاضرة) التي من أبرزها أن (جامعة المجمعة منارة علمية)، وربما عاد به الحديث إلى الحديث عن القديم ليلم بشيء (من سوانح الذكريات ما بين المجمعة وشقراء)، ثم يعود إلى الحاضر ليتحدث عن (النشاط الثقافي والرياضي)، ومما يتصل بذلك

(مدينة الأمير سلمان الرياضية في المجمعة)، ويذكره هذا بالماضي ليقفنا على (صور من بعض الأمثال والألعاب الشعبية)، و(العادات والتقاليد الموروثة)، و(المواقع الأثرية والمعالم التاريخية)، و(النخلة والجصة شاهد مهم في تاريخ المدن النجدية)، ويطوف بنا (بين رياض المجمعة وروابيها) محسًّا (أهمية توثيق تاريخ المجمعة)، ولعل من ذلك التاريخ بمعناه الثقافي العام (أهازيج العيد في المجمعة لوحة من الذاكرة) و(أسماء أسر مدينة المجمعة)، ولعل مما يجدر بالتسجيل ما كان من (المجمعة ونصرة الشعب الفلسطيني)، ولما كان الشيء بالشيء يذكر ذكر (جوانب من العمل الخيري).

ونجد في الفصل الخامس عودة إلى التأصيل في الحديث عن (أصل تسمية سدير ومدلولها)، والمجمعة حاضرة سدير؛ ولذا كان (لقاء الأمير سلمان بأهالي محافظة المجمعة)، وليشير إلى النقلة الحضارية بانتقال المجمعة من بيئة زراعية إلى حداثة صناعية ختم الفصل بكلام عن (مدينة سدير الصناعية).

ما يكتبه أستاذنا عبدالله بن حمد الحقيل شاهد على العصر، جامع بين الماضي والحاضر، ليس فيه جفاف الرصد التقريري ولا إنشائية الأديب الممعنة في الخيال؛ بل هي كتابة ممتعة تطرزها الأشعار المختارة التي تميز كتابة أستاذنا وحديثه فهو لا يكتب أو يتحدث إلا استشهد بقول شاعر، وإن هذا الكتاب بما زوي فيه من تاريخ وثقافة وذكريات جدير بالقراءة والتأمل.

طوق الحمام

باقتدار مذهل على امتلاك ناصية الكتابة الروائية بتنوع

الشخوص وتعدد الأزمنة وتداخلها جاءت رواية (طوق الحمام) المعبر عن لوعة عشق لمكان يغتاله جشع اتخذ من تزايد زوار قبلة العبادة مطية لإشباع نهم بلا حدود، كأنما دونت بكائية رثائية على مكة التي تصوحت معالمها التراثية واجتثت دلائل تاريخها المكتسب قداسته من قداسة المكان، ونهشت تلك الجبال الحانيات على واد غير ذي زرع قدّر له أن يكون مهوى قلوب البشر من كل حدب وصوب. وتفاجئنا بإهداء اعتراضي لا استعراضي «لبيت جَدِّي عبداللطيف. البيت الذي يحمل علامة إكس حمراء، تعني أنه مُعَدٌّ للإزالة».

وفقت الروائية الرائعة رجاء عالم حين استنطقت (زقاق أبوالرووس) ليحكي الرواية التي لا يحسن غيره روايتها، فجاءت الرواية باهرة بما فيها من دقة التفاصيل واستقصائها وما تستعرضه من الحقيقة والأسطورة ومن التراث ومنجزات العولمة العاصفة بالثقافات، وما يموج به المكان من تغيرات مفروضة، تذهلك الروائية بقدر هائل من المعرفة والثقافة المثرية للرواية، فتنداح في دوائر تتجاوز محور الحادثة التي رويت عن انتحار امرأة أو قتلها في الزقاق، وسعي محقق جنائي في الكشف عن ملابسات هذا الحادث في تفاعله وتعامله مع شخوص الرواية الذين يعرضون جوانب متباينة من الصورة الفسيفسائية التي تبدو للناظر القريب مفرقة، ولكن تكاملها يجسد الصورة الكلية الفاقعة التي تتجلى بأوضح تجلياتها حين يظهر ضلوع المحقق في الجريمة الكبرى، وهي اغتيال المكان حين يحرق من شواهدها ما يحرق خضوعًا لسطوة المال.

الغموض والوضوح المتداخل في قسمي الرواية يدهش

القارئ؛ ولكنه يرهقه، كما تدهشه هذه اللغة السردية الرائعة؛ ولكنه بلا شك يأسف لهذه الأخطاء الطباعية الكثيرة التي لم تتخلص منها الرواية في طبعتها الثالثة، وقد يتعلق هذا بالقرآن ففي ص ١٨٧ نجد «أتعرف الآية ٢٦٠ من سورة البقرة، التي يطلب فيها عيسى من الله: ارني كيف تُحيي الموتى.. حين يأمره الله: فخذ أربعة من الطير فصُرَّهن إليك»، والصواب أن الطالب هو إبراهيم عليه السلام، وفعل الأمر ليس من (صرّ) بل من صار يصور فهو (فَصُرْهُنَّ)، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾. ومن الأخطاء في نظري ما آل إليه تنوين المنصوب فوضع الفتحتين على الألف أوهم أنهما للتنوين وحده؛ ولذا نجد فتحة على الحرف قبله مثل (مُحْتَاطَاً/ سِرَّاً/ سِتْرَاً) ص ٢٣، والأولى عندي: مُحْتَاطًا/ سِرًّا/ سِتْرًا. ومن الأخطاء العامة نعت المؤنث بالمذكر مثل «بدأت بالأكياس الأقرب» ص٣٣٨، والصواب: بدأت بالأكياس القربى، وأجمل من ذلك: بدأت بأقرب الأكياس. ونعت المعرفة بنكرة، مثل «تلك الجرافات فاقعة الصفرة» ص٣٤١، والصواب: تلك الجرافات الفاقعة الصُّفْرة، لأنك تقول في التنكير: تلك جرافات فاقعة الصفرة. وقد يخالف بين العددين المتعاطفين فيكون أحدهما معرفة والآخر نكرة، مثل «خلال المئة وخمسين عاماً الماضية» ص٣٦١، والصواب: خلال المئة والخمسين عامًا الماضية. وكذلك إدخال (ال) على المضاف، مثل «للسبع سنوات» ص٣٦٧، والصواب: لسبع السنوات. ونجد الخطأ الشائع الذي شاع تصحيحه فمن عجب وروده، ففي ص٤١٢ نجد «مع

استشاريين أكِفَّاء»، وهذا جمع كفيف، والجمع الصحيح هنا: أكْفاء. وقد تلحق تاء التأنيث بلفظ مذكر مشترك بين الذكور والإناث، مثل «وإنما كرسولة» ص٤٤٧، والصواب: كرسول وإن كانت الكاف هنا متوقف فيها أيضًا. ومثله «كحلمات أرنبة» ص٤٥٨، والصواب: كحلمات أرنب، ومن الأخطاء النحوية المتكررة ترك نصب التمييز مثل «دام لأربعة عَشَر قرن» ص٤٤٨، والصواب: دام لأربعةَ عشرَ قرنًا. ونجد استعمال لغة الشباب كما في: «فصدمه طلبها» ص٤٦٩، والصواب: فاجأه طلبها.

صيغت بعض النصوص بصفتها مرويات تراثية من عصر متقدم؛ ولكن القارئ يجد آثار لغة المحدثين فيها وأخطاء استعمالاتهم، جاء في ص ٥٠٨ «حين ظهر الغطفاني يقود ناقتي الْمُسْرَجة لم يطرف لي جفن، باعتقاد أنّه من التهويمات الطالعة من هذياني، ولم يستوقفنا أحد حين عبرنا حائط الجبال تلك بقرون الشيطان»، والسرج للخيل أما الإبل فلها القتب فالوصف الصحيح المقتَّبة، والتهويم القليل من النوم، والصياغة بجملتها صياغة محدثة، ولست أدري كيف يكون الباب طينيًّا في ص ٥٠٨-٥٠٩. وما ذكرته هو من قبيل التمثيل لا الحصر.

الأمر الجلي أن الرواية رائعة تستحق القراءة وتستحق ما نالها من ثناء وجائزة.

قبيلة الرَّدادَّة

سعدت كثيرًا بهذا الكتاب الذي طال انتظاره، تفضل عليّ أخي الدكتور عايض بن بنَيّه بن سالم الردّادي بنسخة منه، وليس

هذا الكتاب مؤلفًا لسرد أنساب القبيلة بل هو تاريخ ثقافيّ يسطر جانبًا من جوانب الحياة الاجتماعية الماضية التي بدأت عوامل التغير تعصف بها وبدأت ثقافة العولمة تكتسحها وتنسينا أمرها، ألم هذا الكتاب إلمامًا يسيرًا بنسب القبيلة بما يوضح موقعها من القبيلة الكبرى قبيلة حرب حتى لا يختلط الأمر على القارئ كما اختلط على بعض من كتب عن القبائل من غير أهلها العارفين أمورها، وجاء على شيء من تاريخهم، ووقفنا على أعرافهم وهي وقفة مهمة تبين أن القبائل العربية لم تستسلم لعوادي الزمن وغياب القانون بل سنت لأنفسها من الأعراف ما له قوة القانون عندها فنظمت بذلك معاملاتها مع غيرها، وتحدث عن البيئة التي عاشت فيها القبيلة عن حيواناتها وعن نباتاتها وعن ديارها، جاء هذا الكتاب في مجلدين كبيرين وهو كما وصفه مؤلفه مجموعة من الكتب التي أخرجت في إهاب واحد لاتصال بعضها ببعض.

يستوقف القارئ المضاف إليه في عنوان الكتاب (الرَّدادَّة)، فقد يجد صعوبة في نطقه، ولم يغب ذلك عن أستاذنا عائض وهو الأديب الناقد عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، فهو يتحدث عن جمع الرَّدّادي فذكر أنّ المعروف المتداول على الألسنة وفي الكتب أنه يجمع على (الرَّدادَّة)، ثم ينقل لنا من كتاب (البدو) لأوبنهايم أنه الرَّدادَّة أو الرَّدادِدَة، وعلّق على ذلك بقوله «ويلاحظ أنه أورد جمعًا آخر على سبيل الشكّ هو (الردادِدة) أي بفك تشديد الدال الثانية»[١]. وأحسب أنّ أوبنهايم لم يردْ جمعًا آخر بل أراد تفسير الجمع وبيان أصله قبل الإدغام، فالاسم ردّاديّ على بناء فَعّاليّ، وهو في عدة حروفة مثل حَنْبَليّ الذي يجمع على حنابِلَة وبنيته فَعالِلَة، ومثل جَبَّار الذي يجمع على جبابِرَة على فَعالِلَة، فردّاديّ تحذف الألف منه لتكون عدة جذعه أربعة، فإذا جمع

(١) عايض بن بنيه الردادي، قبيلة الرَّدادَّة، ص ٤٩.

أقحمت ألف الجمع بعد حرفه الثاني، وهكذا يفك تضعيف العين؛ ولكن تتجاور دالان (رَدادِدَة)، وهو أمر يقتضي حذف الكسرة لإدغام أولاهما في آخرتهما تجنبًا للتماثل اللفظي، وينقل لنا أستاذنا صيغة أخرى للتلفظ بالجمع هي في الحقيقة طريقة أخرى للتخلص من المتماثلين وذلك بإبدال الدال راءًا، قال «وتنطق بعض القبائل المجاورة على ساحل البحر الأحمر وبعض قبائل مَسْروح الجمع (الرداردة) بزيادة راء بعد الألف»[1]، والحق أنّ هذا من قبيل الإبدال لا الزيادة.

وتظهر قيمة الكتاب في رصده اللغوي لألفاظ فصيحة معنى ومبنى، وهي ألفاظ ربما لا تجد بعضها في المعجم إن التمستها، وإن وجدت اللفظ ربما لا تجد المعنى، ومن الألفاظ ما تختلف دلالته في بيئات أخرى، فالبلاد في معجم هذه القبيلة بمعنى المزرعة؛ ولكنه في القصيم يعنى الحاضرة حيث الجامع والسوق.

أحسن أستاذنا أن ذيّل الكتاب بكشافات فنية تقفك على مفردات الكتاب، وأحسب القارئ سيجد متعة كبيرة بقراءة الكتاب، فهو مكتوب بلغة علمية دقيقة على درجة عالية من السلامة اللغوية، وسلم من الاستطراد فجاء محققًا للغرض منه، وهو نتاج سنوات من العمل الميداني والاستقراء التراثي والتحقيق والتدقيق بما يضرب مثالًا للعمل البحثي الجاد. وهذا الكتاب جدير بالقراءة فهو ليس كتاب قبيلة بقدر ما هو كتاب ثقافة بيئة من بيئات بلادنا التي يجب علينا أن نسعى لتدوينها قبل أن تصوح ما بقي من ملامح ربيعها رياح العولمة والتغريب.

---

(١) الردادي، قبيلة الرَّدادَّة، ص٥٠.

ثالثًا: تعقيبات

كل مين إيدو إلو

تردد هذا التعبير في المسلسل السوري الشهير (صح النوم)، وهو كناية عن الفوضى حيث كل امرئ يمد يده بالتصرف والاعتداء؛ لأنه لا رادع له، و(إيدو) في أصلها (إيدُه) و(إلو) في أصلها (إلُه) أي: لهُ، حذف الضمير من اللفظين ومطلت الضمة تعويضًا عن المحذوف، كما حدث في عبدو أي عبدُه، وعلى الرغم من وضوح هذا الأمر نرى ياسين عبدالرحيم في (موسوعة العامية السورية) يسرف على نفسه بتكلف ردّ اللفظ إلى السريانية بحجة أن العامية السورية استمرار للسريانية، قال في سياق بيان أثر السريانية في العامية السورية: «وخذ كلمة (إيدو) في العامية فإن مقابلها في الفصحى يد، وفي السريانية إيدو ido. فهل يعقل أن الشعب الذي كان يقول (إيدو) مئات السنين وما يزال يحكيها في (إيدو طويلة) تعلّم أن يقول يد ثم غلبت على لسانه رطانة الأعاجم فصار يقول (إيد)؟ إن هذا كذب على التاريخ والواقع. وعلى هذا نقول إن (إيد) العامية من السريانية (إيدو) وليست من العربية يد. ونحن هنا لا نتعصب للسريانية»[١]. ونجده يقرر ذلك أيضًا في مدخل (إيد) فيقول إن فصيحها (يد) وأنها مأخوذة من السريانية eida[٢].

والأمر الأول الذي يغفل عنه ياسين عبدالرحيم أن المتكلمين بالعامية السورية اليوم أكثرهم من القبائل العربية التي نزحت إلى

---

(١) ياسين عبدالرحيم، موسوعة العامية السورية، ١: ٥٧.
(٢) ياسين عبدالرحيم، موسوعة العامية السورية،١: ٢٦٩.

الشام بعد الفتوح الإسلامية، وتتابعت الهجرات العربية من الجزيرة إلى بلاد الشام بسبب ما كان يصيب الجزيرة من القحط حتى قالوا في أمثالهم (الشام شامك إلى مِنّ[١] الزمان ضامك)، وهؤلاء حملوا معهم عربيتهم الخالصة، ونشأت في بلاد الشام أول دولة عربية بحكم الأمويين، وصارت الشام مركزًا من أهم مراكز العربية وعلومها، وغلبت العربية على ما كان من السريانية ولكن آثارها ظاهرة في بعض الألفاظ وبخاصة أعلام الأماكن[٢]، قال محمود فهمي حجازي «وعقب ظهور الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية التي ضمت أيضًا الشام والعراق بدأت السريانية واللهجات الآرامية الأخرى تفقد قيمتها في التعامل اليومي»[٣]، والأمر الثاني هو أن (أيدو) في العامية السورية تعني (يده) أي مضاف ومضاف إليه، وليست حسب فهمه تقابل (يد) في الفصيحة، وأما إدخال الهمزة على يد فهو معالجة للفظ اقتضاها الاستعمال اللهجي، وهو ما جعلهم يدخلون الهمزة على (له) فقالوا: إلو، والأمر الثالث أن (إيد) مستعملة في وسط الجزيرة العربية اليوم ولا يمكن أن تكون متأثرة بالسريانية أيضًا، يقولون (يُدُه طويلة) كما يقولون (إيدُه طويلة)، وكذلك في مصر فمن أمثالهم «إللّي في إيدكْ أقربْ مِنِ اللّي في جيبك»، و«اللّي في إيدُه القلم ما يكتبشْ نفسُه شقي»[٤]. والأمر الرابع أنّ كلمة (يد) سامية ثنائية الجذر، وهي مشتركة بين اللغات السامية لا تخص لغة دون أخرى، فلا معنى للزعم بأن العربية أخذت (إيد) من

---

(١) يستعمل التركيب (إلى مِنّ) في لهجات الجزيرة بمعنى (إذا).
(٢) إبراهيم السامرائي، دراسات في اللغتين السريانية والعربية، ص٩.
(٣) محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، ص ١٨٢.
(٤) أحمد تيمور، الأمثال العامية، ٥٨.

السريانية؛ لأن العربية بنزوعها نحو تحويل الثنائيات إلى ثلاثيات الجذر عمدت إلى طرائق مختلفة منها تضعيف الصوت الصامت فنجد من يشدد الدال (يدّ، دمّ) ومنها إضافة علة أو همزة، مثل (يدي، إيد). قال أستاذنا محمود فهمي حجازي «ترد كلمة (يد) في اللغات السامية كلها مكونة من الياء والدال مما يشير إلى ثنائية أصل هذه الكلمة، غير أن بعض اللهجات العربية حاولت جعل هذه الكلمة في شكل الثلاثي بأن شددت الدال، وحاولت لهجات عربية أخرى جعلها ثلاثية بإضافة همزة في أول الكلمة»[١]. وما نريد تأكيده هو أن الأصل في عاميات البلاد العربية أنها امتداد للفصيحة أو لغة من لغات العرب القديمة قبل تكون الفصيحة المشتركة، ولا يعني هذا أنها لم تكتسب من غيرها من اللغات بعض الألفاظ، ولكن لا يُقضى بذلك إلا بثبت ودليل لا شبهة فيه.

هل لكتابة (بانتماءه) وجه؟

جاءت تغريدة خادم الحرمين سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله بمناسبة اليوم الوطني وفي نهايتها قوله «كل عام وشعبنا الوفي يعتز بوطنه ويفخر بانتماءه».

وتوقف أستاذنا الدكتور سليمان العيوني عند كتابة الهمزة في (بانتماءه) غيرة منه على العربية، فقال «خادم الحرمين، وحامي الإسلام والعربية لا يرضى بخطأ إملائي. فيجب على مشرفي تغريداته أن يكونوا على قدر المسؤولية».

ولا شك أنَّ هذه الكتابة مخالفة للعرف الشائع اليوم في كتابة الهمزة؛ ولكن من أخطأ في نظر هذا العرف الشائع إنما ركن إلى

---

(١) محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، ص ٢١١.

تثبيت جِذع الكلمة، فجذع الكلمة هو (انتماء)، ولن يتغير في حالة رفع أو خفض، تقول: هذا انتماءٌ، وافخر بانتماءٍ إلى بلدك، ولعل من الأسهل تعليميًّا تثبيت هذا الجذع كما ثبت غيره من الأسماء الصحاح، مثل: هذا زيدٌ ومررت بزيدٍ، فليس يتغير رسم الدال حين تلصق بالكلمة لواصق أخر، تقول: زيدان وزيدون، ولعل الذي أجاء القدماء إلى تغيير شكل الهمزة وفاق الإعراب هو غياب الشكل الإعرابي.

وقد كنت دعوت من قبل في كتاب (الشاذليات) إلى اعتماد ثبات الجذع رعاية للناحية التعليمية، قلت ما نصه «تكتب الكلمات التي تبدأ أو تنتهي بهمزة دون احتساب ما اتصل بها قبلها أو بعدها، فالكلمتان: (أُخِذَ، قرأ) تكتبان على النحو الذي كتبتا به قبل اللاصقة، مثل:

أ+ أُخِذَ > أأُخِذَ

قرأ > قرأوا

أبناء > جاء أبناءُكم ، رأيت أبناءَكم، مررت بأبناءِكم.

خطأ > خطأان / خطأين.

جزء > جزءان/ جزءين.

مبدأ+ي > مبدأي.

وقد يجابه مثل هذا القول بشيء من الرفض والإنكار بسبب إلف الأوضاع السابقة، وبحجة أنّ هيئة كتابة الكلمة في نهايتها ذات علاقة بالموقع الإعرابي؛ لأنها تصور حال الاسم من حيث الرفع والنصب والجر، وهذا قول صحيح؛ ولكن الكتابة في المقام

الأول اصطلاحية، يمكن أن نغير من مفردات ما تواضعنا عليه بالكيفية التي نراها تخدم غرضنا من استعمال اللغة وتعلمها وتعليمها، وقد شهدت مسيرة الرسم العربي سلسلة من التغيرات التي صبت في مصلحة هذا الرسم، وهذا يقوي العزم نحو المضي في سبيل الإصلاح في الرسم، إذ المشاهد أن كثيرًا من أخطاء الناس في استعمال اللغة إنما مردها إلى الرسم، فغياب الحركات من الرسم يكاد يذهب من استعمال الناس البناء (يُفْعِل)[١]؛ إذ كثيرٌ استعمالهم هذا البناء مفتوح ياء المضارعة، وهذا يرتد به من الزيادة إلى التجرد. وأما علامات الإعراب فهي الحركات أو ما ناب عنها، وليست هيئة الهمزة. ويمكن أن نستأنس بأصل رسم الهمزة في وسط الكلمة حين رسمت في هيئتها الغالبة على الحرف الذي يؤول إليه تسهيلا، فإن تسهل إلى واو رسمت على واو وإن تسهل إلى ألف رسمت على ألف وإن تسهل إلى ياء رسمت على نبرة، أما في مثل أبناء فإنها لا تسهل مرفوعة إلى الواو ولا إلى الألف منصوبة ولا إلى الياء مجرورة؛ ولذلك من الخير أن تبقى على شكلها قبل إلصاق شيء بها»[٢].

فإن ارتضينا هذا الاتجاه صح أن نقول: فخر المواطن انتماءُه، وإنّ انتماءَه فخر له، فليفخر بانتماءِه.

---

(١) يقولون من (ألقى كلمة): يَلْقِي كلمة، ومن (أعدّ أمرًا): يَعِدّ أمرًا، ومن (أقام شهرًا): يَقيم شهرًا. والصواب: يُلقي كلمة، ويُعِدّ أمرًا، ويُقيم شهرًا.

(٢) الشاذليات، كتبه: أبوأوس إبراهيم الشمسان، تركي بن سهو العتيبي، عوض بن حمد القوزي، محمد بن باتل الحربي، جامعة الملك سعود/ الرياض، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص ١٠٥-١٠٦.

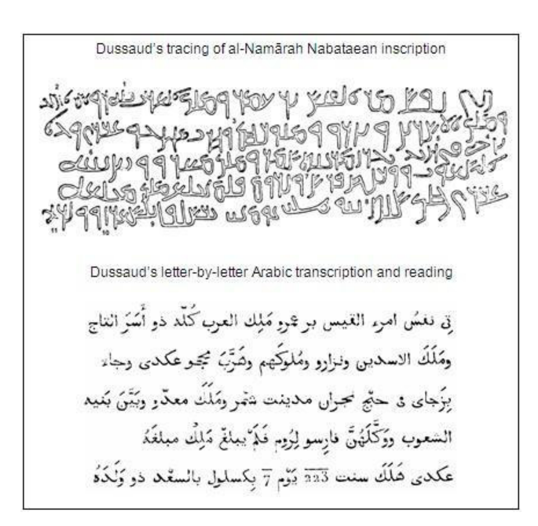
واو عمرو متى تختفي من إملائنا

هذا عنوان مقال الدكتور إبراهيم التركي العَمر، بغير واو كما يريد لرسم اسم عائلته، مقال ممتع كسائر إبداعاته، فأنت لا تجد عنتًا حين يكتب في موضوع تخصصي جادّ فيثير مشكلة عامة في إملائنا الذي يقف وراء كثير من أخطائنا، فعلى الرغم من أنَّ (مائة) دعا المجمع اللغوي إلى ترك رسم ألفها لتكون (مئة)، وهكذا تظهر على الورقة النقدية من فئة (١٠٠) ريال نجد كثيرًا من الناس مستمرًا في كتبها القديم بالألف، والأدهى من ذلك نطق الألف منها تفاصحًا، وكما أدت إليه ألف (مائة) من خطأ نطق صرنا نسمعه في الاسم (عمرو)؛ إذ ينطقه بعض الناس بالواو متابعين الرسم دون وعي منهم، والدكتور يدعو إلى التفريق بين (عمرو) و(عمر) بالتزام كتابة الفتحة على عين (عَمر)، وهو اقتراح وجيه، ولكن التزام الناس برسم الحركة أمر لا يركن إليه، فلو أنصف الناس لاستراح القاضي، ولكن هيهات، ونجد دولة عُمان تحرص على إظهار الضمة لتمييزها عن عمّان، ولكن هل التزم الناس بهذا؟

أمر غياب الحركات ساقنا إلى أخطاء في النطق، ومن أشهر ما نسمعه اليوم نطقهم المضارع من الرباعي (الثلاثي المزيد بحرف)، فهم لا يفرقون بين (يجري) مضارع (جرى) ولا (يجري) مضارع (أجرى)، فأنت تسمعهم ينطقون الفعلين بفتح الياء (يَجري) والصواب: جرى يَجري، وأجرى يُجري، وبعضهم لا يفرق بين الماضي اللاحقته واو الجماعة (أجروا) ولا الأمر منه (أجروا)، والماضي بفتح الراء (أجرَوا) والأمر بضمها (أجرُوا)، ولكنك تسمع منهم الماضي بضم الراء أيضًا.

وأما الواو من عمرو واستعمالها للتفريق بين (عَمْرٍ) و(عُمَرَ) فهو من قبيل الصدف لا العمد، ولو كانت الواو وضعت لهذا التفريق وضعًا لالتزمت في التفريق بين مصغر الاسمين (عُمَير) والمنسوب إليهما (عمريّ)، مع أنه لا مسوغ لحذف الواو من عَمرو بدخول (أل) الزائدة لأن عُمر صالح لدخولها، وكذلك لا مسوغ لحذفها لوقوع العلم قافية فعُمر صالح لذلك أيضًا.

الأصل في هذه الواو أنها تركة وهبتها استعارة الخط النبطي لكتابة العربية، فالاسم (عمرو) ورد في النقوش النبطية، نقش النمارة[١]:



وهو تعبير عن حالة الوقف على المرفوع، وهي طريقة عرفتها العربية والنبطية قديمًا، فقد كان يوقف بمد الحركة آخر الاسم، قال كريم حسام الدين «كما رأى المستشرق نولدكه أستاذ لتيمان أن هذه الواو الملحقة بالأسماء والأعلام النبطية هي علامة

---

(١) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص١٩٠.

التنوين التي تدل على الأسماء والأعلام المنصرفة مما بقيت آثارها في الخط العربي مثل عمرو، وعمر. يرى أستاذنا د.خليل نامي أن الواو والياء الموجودتين في نهاية الأعلام والأسماء النبطية هي من بقايا إطالة حركات الإعراب، نجد نظيره في بعض لهجات القبائل العربية كما ذكر سيبويه لدى قبيلة الأزد التي تقول هذا زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزيدي وبعمري فأثبتوا الواو والياء كما اثبتوا الألف[١]»[٢]؛ ولكن اللغة المشتركة تركت الوقف بالواو والياء لثقلهما واستمرت في الوقف بالألف لخفته. وبقي القول إن الشاهدين المسوقين لحذف واو (عمرو) يردان أيضًا في معظم المصادر العربية بإثبات الواو لا حذفها.

وقفات مع فوزي الشايب في نقده للصرف العربي

هذا عنوان المحاضرة التي نظمها مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في ٢ رجب ١٤٣٧هـ، وكانت في الأصل مساهمة في مؤتمر جامعة القصيم[٣]، وكانت وقفات متأنية عند بعض ما جاء في نقد أستاذنا فوزي الشايب وهو بحثه (في الصرف العربي: ثغرات ونظرات)، الذي نشر في العدد السادس (ربيع الأول ١٤٣٦هـ) من مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية (ص ص ٧٣- ١٧٨).

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٤: ١٦٧.

(٢) كريم زكي حسام الدين، العربية تطور وتاريخ: دراسة تاريخية لنشأة العربية والخط وانتشارهما، ص٨٨.

(٣) المؤتمر الدولي اللغة العربية في الجامعات بين التراث والمعاصرة، ٢٣/٥/ ١٤٣٧هـ، ٣/٣/ ٢٠١٦م. وكان عنوان البحث (الخلل في استعمال المنهج الوصفي: نقد فوزي الشايب للصرف العربي أنموذجًا) ونشر في كتاب المؤتمر.

يعتمد فوزي الشايب في عيبه عمل الصرفيين على وصفه بالمعيارية وغياب الاستفادة من علم الأصوات، وليس ذلك دقيقًا.

أما اتهامه الصرفيين بالمعيارية فمتوقف فيه؛ إذ الواجب أن توصف معالجاتهم كلها ابتداءً من كتاب سيبويه ليرى أن تلك الأحكام الصرفية اعتمدت أولًا على وصف اللغة بشهادة بعض الأعلام المحدثين، وكان عليه أن يفرق بين كتب الصرف العلمية وكتب الصرف التعليمية، وحسبه أن ينظر في كتاب المنصف وسر صناعة الإعراب لابن جني ليجد الوصفية، وحسبه أن يراجع دراسة الدكتور نوزاد حسن أحمد في كتابه (المنهج الوصفي في كتاب سيبويه) الذي قال فيه "لم ينضج الدرس الوصفي الحديث إلّا بعد مراحل كثيرة، في حين أنّ هذه المراحل قد وجدت طريقها مرة واحدة إلى كتاب سيبويه"[١]. وذكر أن من المحدثين من عاب على الصرف العربي معياريته وسمى بعضهم مثل تمام حسان وعبدالصبور شاهين والطيب البكوش وداود عبده، ولكن بمراجعة أقوالهم نجدها تخالف ما ذهب إليه، إذ نجد إشادة بعمل الصرفيين وإن خالفوهم في بعض المبادئ. وأما الجانب الصوتي فقد تجلت معالجة القدماء في باب الإدغام من كتاب سيبويه ومقدمات معاجمهم كالعين للخليل وتهذيب اللغة للأزهري، وكتب القراءات والتجويد، ومعالجتهم لإبدال الأصوات وإعلالها وأحوال الإدغام والإظهار والإقلاب والإخفاء كل ذلك معتمد على علم الأصوات ولا ينكر ذلك إلا معاند، قد نخالف القدماء في التفسير ولكن مخالفتنا لا تلغي اجتهادهم.

---

(١) نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه (ط١، جامعة قاريونس/ بنغازي، ١٩٩٦م)، ص ٣٠٨.

وراح يعالج قضايا جزئية، فنسب إلى الصرفيين خلطهم الصحيح بالمعتل فلم يفرقوا، حسب قوله، بين ما هو ثلاثي وما هو ثنائي، وفي قوله هذا سطحية تعاند المنهج الوصفي الذي يلم بجوانب الظاهرة كلها، وهو ما فعله القدماء الذين أدركوا أن المعتل كالصحيح ثلاثي وإن تخلفت في بعض تصاريفه فاؤه أو عينه أو لامه، مثل (قال) لا نجد فيه الواو ولكنها تظهر في مصدره (قول) وفي الوصف (قوّال) وفي المزيد (قاول). ولكن ثنائية الألفاظ وثلاثيتها مضطربة عند أستاذنا فمرة ينسبها للصورة الظاهرة ومرة ينسبها للصورة الباطنة.

ونجده لم يوفق في أنه يعيب على الصرفيين القول بثلاثية الفعل الأجوف، وأنّ ذلك أصل تاريخي، حين يقولون إنّ (قال) في الأصل (قَوَلَ)، وقوله غير صحيح، فهم لا يزعمون أنّ (قَوَلَ) قد استعمل من قبل، بل هو فرض نظري بنوه على معطيات وصفية، وهو تحقق الأصل الثالث في تصاريف مادة الفعل الأجوف[1].

وهو يعيب على الصرفيين الفكر المنطقي والمعيارية؛ ولكنه في حديثه عن اشتقاق اسم الفاعل من الأجوف يصوغ عبارته صياغة منطقية تظهر في صيغة جملة شرطية (فإذا كان ... وجب...). والوصف يكتفي بالتقرير ويتجنب الوجوب. وكذلك قوله بحذف عين الأجوف نكوص عن الثنائية وإقرار بالثلاثية وهو تناقض. وأما وصفه اسم الفاعل من المعتل اللام بأنه ناقص أبدًا على المستويين السطحي والعميق فهو جهل بالفرق بينهما.

---

(١) انظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (دار الكتب المصرية/ القاهرة، ١٩٥٧م) ١: ٢٥٧.

ونجده في بحثه لجأ إلى ما عاب الصرفيين به وهو التأويل والافتراض. وربما ذكر علة غير صحيحة كزعمه أن قولهم بنقل حركة سابقة على المد أملاه المنطق في مثل (يَقْوُل> يَقُول)، إذ نقل الحركة يقع في إدغام المضارع المضعف مثل يرْدُد>يرُدّ، بل قد تنقل الأصوات مثل (أيس) في (يئس)، و(آبار) في (أبآر).

وعلى الرغم من أنّه يعيب عليهم الافتراض نجده يذهب إلى الزعم بما لا دليل عليه، وهو أنّ العرب الذين يخلصون الكسر في المبني للمفعول من الأجوف مثل (قيل) هم أيضًا يخلصون الضم (قول)، وأنّ من يخلصون الضم (قول) هم أيضًا يخلصون الكسر (قيل)، وهذا مخالف لما أثبته التراث من استقلال اللغتين. واللغة الفصيحة موضوع البحث على إخلاص الكسر.

ومن الغريب إنكاره تعليل المازني المعتمد على التخلص من المتماثلات مع علمه أن المخالفة والمماثلة قانونان صوتيّان كلاهما فيه سبيل إلى التخفيف.

وأما انطلاقه في تفسير اسم المفعول من الناقص من البنية العميقة أو التاريخية كما يقول فمناقض لإلحاحه على الوصفية ولعيبه ذلك على الصرفيين.

وهو يستعمل الوصفية في تفسير المثنى المقصور بما يعاندها حيث يفترض إقحام ياء بين الاسم ولاحقة التثنية، والوصفية المباشرة تنظر إلى المثنى كما تنظر إلى المفرد فترى الياء في المثنى والألف في المفرد، وتقرر أن الياء في المثنى خلفت الألف في المفرد. وهو يتخلى عن وصفيته في تثنية المنقوص حين يقول مع القدماء بعودة الياء التي هي لام الاسم مع

أنه لا يقبل عودة الياء التي هي لام المقصور. ومهما يكن من أمر فإن من حقّ المحدثين بل من واجبهم مراجعة التراث؛ ولكن ذلك ينبغي أن يكون محفوفًا بالإنصاف والتدقيق والتعمق في ذلك التراث والانطلاق منه والبناء على منجزاته، والوصفية والمعيارية منهجان معتمدان في النحو العربي منذ مدونته الأولى كتاب سيبويه وهذا بعض ما ورد في تعقيب أستاذنا محمد ربيع الغامدي على هذه المحاضرة.

رابعًا: مؤتمرات وندوات وورش

تكريم الثلوثية

نريدك أن تكون ضيفنا في ثلوثية الأسبوع القادم، بهذا جاء صوته الهادئ في الهاتف، قلت له معتذرًا: والله إني لا أصلح لمثل هذه المقامات، فأنا أعيا من باقل، قال: لا، لا، كيف وقد علمت أجيالًا من طلاب العربية، ونحن لا نريد محاضرة علمية جادّة بل حديثًا ثقافيًا يسيرًا. قلت: حديثًا عن أساتذتي؟ قال: ممتاز، قلت: على بركة الله. ثم تفاجأت بعدها برسالة على الوثّاب (الواتسآب) من أخي د. محمد المشوّح، هي تغريدة على حساب دار الثلوثية تقول: تحتفي وتكرم ثلوثية محمد المشوح مساء الثلاثاء القادم بالدكتور إبراهيم الشمسان (أبوأوس). لم أملك وقد بادر إلى ذلك سوى أن أعلق «بارك الله فيكم وحفظكم ورعاكم وأدامكم سدنة للعربية ورعاة لطلابها».

قال لي أخي د.محمد المشوح بعد أن استوى بنا المجلس في لحظات انتظار اكتمال الحضور الكريم: أكملنا سبعة عشر عامًا للثلوثية. هنأته بهذا الإنجاز في هذه السنوات الحافلة بالنشاط

الثقافي، إذ استقبلت دار الثلوثية عددًا من رجال العلم والثقافة من أبرزهم العلامة محمد بن ناصر العبودي الذي فاتني حضور استقباله؛ ولكني سعدت بالحضور حين احتفت الدار بتدشين الموقع الشبكي للعلامة العبودي.

كان من دواعي سروري وبهجتي مصاحبة أخي الكبير محمد الإداري المربي الذي تعلمت في المدرسة التي كان يديرها باقتدار، هي المدرسة السعودية الابتدائية بالمذنب، وتربيت في بيته، بين أبنائه، فنالني من حبه ورعايته ما لم ينل أحدًا منهم، أطال الله عمره بالصحة والتوفيق والرضا.

بدئت الندوة بترحيب بالحاضرين وبشكر لهم لحضورهم ثم بتلاوة آي من القرآن الكريم، وقرأ مدير الندوة الأستاذ سعد النفيسة شيئًا من سيرتي الذاتية ثم أعطى الكلمة لصاحب دار الثلوثية د.محمد بن عبد الله المشوّح الذي عبر عن سعادته بحضوري وأفاض بالثناء على شخصي المتواضع بصفات هي أنسب إلى سابغ كرمه من اتصافي بها، حتى إذا كانت الكلمة عندي شكرته لدعوته الكريمة وبدأت حديثي بتعريف نفسي وذكرت مراحل تعلمي منذ الدراسة الابتدائية فالمتوسطة بالمذنب في منطقة القصيم ثم انتقالي إلى الرياض حيث كان قد انتقل إليها للعمل أخي محمد حيث التحقت بمدرسة اليمامة الثانوية، ثم التحاقي بكلية الآداب على الرغم من أني درست في الثانوية في القسم العلمي، وذكرت أني بعد تعييني معيدًا في قسم اللغة العربية قرر القسم ابتعاثي إلى جامعة القاهرة وفيها حصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه، وحديث عن مشاركتي في إعداد الموسوعات والمعجمات منها موسوعة السلطان قابوس لأسماء

العرب، وموسوعة الملك عبدالعزيز، ومعجم الطلاب لمرحلتي المتوسطة والثانوية.

كان من دواعي سروري البالغ حضور من استطاع من زملائي من أساتذة قسم اللغة العربية، د.محمد خير البقاعي، د.علي عبدالله، د.محمد بن ناصر الشهري، د.علي المعيوف، د.محمد منوّر. وتشرفت كثيرًا بحضور الشيخ د.عبدالعزيز الربيعة.

لم يقتصر كرم زملائي على الحضور بل تكلموا بما يعرفونه عني مبدين سرورهم بهذا الحضور، وتكلم عدد من الضيوف بما يعرفونه وطرحوا بعض القضايا اللغوية العامة وتوجه بعضهم بأسئلة مكتوبة حاولت أن أجيب عنها بما أعرفه باختصار.

ودعا مضيفنا الكريم الحضور إلى مأدبة فاخرة تخللتها أحاديث جانبية تواصلت بعد ذلك في بيت الشاي الذي أعقب الطعام.

ولم يكتف أخي د.محمد المشوح بما أفاضه عليّ من لطفه وجميل قوله ومن كرم وفادة وقرى بل ودّعني بهدية قيمة من مطبوعات دار الثلوثية هي كنز لا يقدر بثمن، ولعل الله يتيح أن أستعرضها للقارئ الكريم في مداخلات قادمة وأما الكتب فهي (عميد الرحالين محمد بن ناصر العبودي: حياته، إسهاماته، جهوده) تأليف محمد بن عبدالله بن إبراهيم المشوح، و(لطائف من رحلات الشيخ الرحالة محمد بن ناصر العبودي) جمعها ورتبها عبدالعزيز بن سعود العويد، و(جبل شمر في الرحلات

الشرقية خلال العصر الحديث) تأليف د. خليف الصغير الشمري، وأما بقية الكتب فهي من تأليف العلامة العبودي، وهي (معجم ألفاظ الحرف والصنائع)، (معجم وجه الأرض)، (معجم الطعام والشراب)، (معجم الأقارب والأصدقاء)، (معجم ألفاظ المرض والصحة)، (شجر البرية وأعشابها)، (الرحالة العظيم ابن بطوطة: شواهد حية على صدقه)، (سبعون عامًا في الوظيفة الحكومية). وإن ما كتبه علامتنا العبودي وأفنى عمره في إعداده من معاجم متنوعة استغرقت معظم جوانب حياتنا الشعبية هو إنجاز مذهل معجز ينوء مثلها بالمؤسسات، وإن من الوفاء لعمله أن يتخذ منه موسوعة شبكية معززة باللوحات البيانية والصور المعززة لما جاء في تلك المعاجم من شرح كتابي.

الشكر كل الشكر لهذه الدار التي اعتادت تكريم أهل العلم وطلابه بالاحتفاء بهم وبنشر أعمالهم، وهو إنجاز وطني متميز يستحق التقدير والاحترام والدعاء لصاحبها بالتوفيق والدرجات العلى عند ربّ كريم لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

العلامة العبودي في قسم اللغة العربية

شرّف علامة الجزيرة الشيخ محمد بن ناصر العبودي قسم اللغة العربية في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، وقبول علامتنا الحضور إلى هذا القسم إنما لما يمثله هذا القسم من ريادة؛ فهو أول قسم للغة العربية في بلادنا. وشعر الحاضرون والزميلات الشاهِدات عبر الشبكة بامتنان للجنة الثقافية ومقررها أستاذنا أ.د. محمد خير البقاعي؛ وللرجل النبيل الدكتور محمد المشوح الذي صحب الشيخ وكان ينقل له ما يتعذر عليه سماعه، كان اللقاء لقاءً ثريًّا أحسن أستاذنا البقاعي في افتتاحيته الموجزة

المعبرة خير تعبير من غير استبداد بوقت اللقاء فبادر بدعوة الشيخ للحديث، فبدأ الشيخ بكلمة شكر وترحيب بالحاضرين ثم سكت، وكان فهم أنه سيتلقى أسئلة يجيب عنها؛ ولكن أستاذنا البقاعي نقل له رغبة الحضور أن يسمعوا منه ما يريد أن يحدثهم به قبل أن يسألوا.

بدأ العلامة العبودي بذكر اسمه ومكان نشأته وتعلمه الأولي وأطاف بجانب من أعماله الإدارية ثم انتقل إلى حديث الذكريات عن رحلاته الكثيرة التي كتب عنها عددًا هائلا من الكتب لا ينافسه في عددها أحد من الكتاب، هذا إلى ما أنجزه من معجمات قيمة لا غنى للباحثين اللغويين والمؤرخين والجغرافيين عنها؛ لأنها كتابة دراية ورواية لشاهد من شواهد العصر؛ فثم كتب رحلاته الكثيرة وكتاب الأمثال في نجد، والمعجم الجغرافي عن منطقة القصيم، ومجموعة معاجم عن الأسر في القصيم، ومعجم الأصول الفصيحة للكلمات الدارجة، وأما كتاب (كلمات قضت) فهو الكتاب الذي جعلته عمدتي وأنا أكتب معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية.

تسمع الشيخ يتحدث بطلاقة وهدوء كأنه يقرأ لك من كتاب فلا يخرم اسمًا ولا يتلجلج في عبارة ولا تعرض له حبسة والأسماء على قدمها حاضرة والتواريخ كأنها مبسوطة أمامه لا يتمهل لتذكرها حتى كان هذا الأمر من دواعي دهشة من لا يعرف الشيخ وما تعود استماع برنامجه الإذاعي الممتع عن الرحلات، كان هذا من دواعي تعليق طريف لإحدى الزميلات حين قالت إنك أيها العلامة آية من آيات الله وإنك رزقت نعمة حفظها الله عليك ولا يكون هذا عادة إلا لفعل حسن يعتاده المرء ثمّ سألت فما

ذلك العمل؟ وكان من جوابه حين أجاب أنْ لعل ذلك من محبة الخير للناس.

وأما أنا فحين أذن لي بالحديث بينت أن أعماله الجليلة المطبوعة على ورق ليست متاحة لكل أحد إما لنفاد المطبوع أو لغلاء ثمنها لتعدد مجلدات كل عمل أو لأن الجهة الناشرة لها لا توزعها بالكيفية الملائمة، وكان همي دعوته أن يعمل أو يأذن بأن يعمل على تصويرها وترفع على العنكبية لتكون بين أيدي الناس في كل مكان، وهو بهذا سيناله من الدعاء أضعاف ما يناله من حصلوا المطبوعات. وقد أجاب الدكتور المشوح عن هذا بأن بعض المواقع قد صورت أعماله، وهو يقصد بذلك كتب الرحلات وهو أمر حسن؛ ولكن الذي أرى الدارسين والمهتمين بتراث بلادنا بحاجة إليه لَمّا يصور، فلعل من نشروها يقدمون على نشرها؛ لما في ذلك من خير عميم. وفق الله علامتنا وحفظ عليه قواه ما أبقاه، ونحمد الله أن رزقت بلادنا بمثله.

قراءة الشريف للنحو القديم

سعدت بشهادة الندوة العلمية التي عقدها قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الملك سعود، وكان عنوانها (بعض الأصول المنهجية لقراءة النص النحوي القديم واستثماره)، قدمها الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الشريف أستاذ اللسانيات بجامعة منّوبة بتونس، وأدارها أستاذنا الدكتور حسين الواد وذلك في يوم الخميس ٢٥/ ٤/ ١٤٣٧هـ، وإنما أدارها حسين الواد لما كان يربطه بالضيف من صداقة وتاريخ مهني استغرق خمسين عامًا. تحدث الدكتور حسين عن تلك العلاقة وأنه لم يفلح خلالها بجذبه إلى ميدان الأدب والنقد كما أن صاحبه لم يفلح بجذبه نحو ميدان

النحو واللغة، ونحن نعلم أنهما علمان مبرزان زويت لهما جوانب علوم العربية كلها.

حين تحدث الشريف أشار إلى أن زميله قدم من سيرته جانب العقل ومنجزاته؛ ولكنه ترك جانب القلب وأهوائه، واتخذ من هذا المنطلق مدخلًا لما تحدث فيه مبينًا أهمية الجانب العاطفي المتعلق بمحبة الوطن واللغة، وكان حديثه كله مسوقًا بأسلوب سهل ولغة واضحة وأفكار جلية؛ فهو يكاد في كثير من جنبات هذا الحديث يستنهض شيئًا من معارف السامع حتى ليتوهم أنه قادر على أن يأتي بمثله، ويكتسب حديثه أهميته ليس لعمق التجربة وحدها بل لما يعتمد عليه من معرفة بعلوم العربية القديمة وعلوم اللغة المعاصرة، وقفَنا على أهمية ما أنتجه الإنسان في مرحلة من مراحله التاريخية وما واجهه من أسئلة ومعضلات لم يكن له من الأدوات في زمانه ما يعينه على حلها؛ ولكنه في العصر الحديث امتلك تلك الأدوات فانطلق في أفق التقدم؛ ولكنه ربما يواجه بطريق مسدود فيرجع ببصره كرة أخرى إلى قديمه ليتأمل في أسئلة القدماء المعلقة، وربما أعثرته رجعته على الحل غير بعيد من تلك الأسئلة.

لم يكن حديث الأستاذ خاصًا بالنحو بل شاملًا لطبيعة التفكير الإنساني ولمعارفه وخبراته التي تجعل تجربة الإنسان في تلك العلوم متشابهة، حدثنا عن فيزياء نيوتن ورياضيات أرخميدس وبين لنا أنها كانت ناجعة في وقتها؛ ولكنها عجزت عن حل بعض الأمور حتى جاءت فيزياء أينشتين فقلبت المفاهيم بإدخالها بُعد (الزمن) في معادلة التحليل الفيزيائي، وأعطى برتراند رسل اندياحًا للفكر الرياضي، ولكن هذا المدى الجديد على روعته

وفعاليته لم يخمل القديم فما زالت مفاهيم الفيزياء القديمة وهندسة إقليدس مستعملة في حياتنا اليومية لأنها كافية مؤدية لأغراض هذه الحياة، وأما النحو فهو فكر ونظرية تفسر ظاهرة طبيعية هي اللغة، ومقولة الخليل عن علله دليل على الإيمان بأن ليس للاجتهاد حدود وأن مجال التفسير واسع وطريق التجديد متلئب، وبين أن ليس أضرّ على النحو من رجلين؛ رجل أسرف في حبه وعشقه حتى أعماه هذا العشق عن عيوبه وصرفه عن رأب ما يمكن رأبه من صدوع، ورجل أسرف في الازورار عنه، فلم يحسن تلمس مزاياه، وما عرف حسناته، واستبدل به ما ليس خيرًا منه في كل حال، وأما المحسن فهو من اتخذ طريقًا وسطًا في تعلم النحو ومعرفة ما فيه من خير وقوة وتماسك، وعرف إلى ذلك ما في بنيته من ضعف أو اختلال وسعى جهده إلى معالجة ذلك مستفيدًا من جهود غيره ما أمكنه ذلك، وبين أنّ ليست المشكلة في جمود النحو بل في جمود أهله، وأن ليس من سبيل إلى تغيير الحال إلا بالعودة إلى النحو في منابعه الأصيلة وتفهمه بأدوات حديثة. وتحدث عن نظرية العامل التي هاجمها المحدثون في السنة التي بدأ الغربيون يقولون بها أو بشيء من مثلها.

كانت مداخلات الحاضرين وأسئلتهم مجالًا لتوسيع جوانب المسألة، فكان مما أجاب عنه المحاضر سؤال أستاذنا الدكتور رفيق بن حمودة عن أثر ابن مضاء في النظر إلى النحو، إذ كان من جوابه أنه لم يكره عملًا ولا انبعاثًا كعمل ابن مضاء، وأنه كان من أكبر معاول هدم الإيمان بقوة ما لدينا من فكر نحويّ رصين، وجواب عن حقيقة ما ذكر أستاذنا محمد الهدلق وهو ما قيل عن تأثر نعوم تشومسكي بالنحو العربي، وكان من جواب

أستاذنا أن الرجل وإن لم يصرح بهذا التأثر فعمله أكبر دليل على التأثر، وأفصح عن أنه في سبيل بيان شيء من هذا متى اكتملت لديه القرائن.

وألح أستاذنا على أهمية أن نبين قيمة ما قدمته حضارتنا للإنسانية من سُهمة تحسب لها في العلوم واللغة وغيرها، وأن نعلم أن كثيرًا مما نشهده في العصر الحديث هو قديمنا أعيد إنتاجه بثوب جديد، ومن أمثلة ذلك آخر ما شاع من أمر التداولية التي هي من مشاغل البلاغة العربية القديمة.

وأحسب أن هذه المحاضرة كانت أبلغ ردّ على من أراد (إحياء النحو) وكأنه كان ميّتًا ينتظر أن يحييه، أو من ذهب إلى (موت النحو) من غير دليل. وهذه الندوة بالجملة من أمتع ما سمعت ومن أكثره نفاسة على ما وصفته من بساطة طرح ووضوح أفكار وعمق معنى.

اللغة العربية في الجامعات بين التراث والمعاصرة

سعدت بالمشاركة في هذا المؤتمر الذي نظمته كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية في جامعة القصيم يوم ١٤٣٧/٥/٢٣هـ الموافق ٢٠١٦/٣/٣م، وكان هذا المؤتمر مثار إعجاب المشاركين من دول العالم العربي والإسلامي، بتنظيمه باقتدار القائمين عليه أن يجعلوه في يوم واحد باختصار افتتاحه، بتجنب تلاوة سير المشاركين، بتقليل وقت المشاركة للباحث أو المداخل والسائل، لا تحس فرقًا بين العميد د.علي السعود أو رئيس قسم اللغة العربية د.إبراهيم اللاحم أو د.محمد الخزيم أو المحاضر معاذ الدخيل أو أساتذة وطلاب آخرين، كلهم كانوا يدًا واحدة يتحركون كخلية نحل، نصب أعينهم الإنتاج والإنجاح.

طبعت أعمال المؤتمر في مجلد كبير وزع على المشاركين مع شهادات المشاركة وشهادات الحضور، ودارت تلك الأعمال في ثلاثة محاور، أولها قضايا المصطلح، وثانيها قضايا المنهج، وآخرها اللغة العربية والاختصاصات المتعددة.

تناولت المصطلح ثمانية أبحاث أولها (المصطلح اللساني بين تعدد الوضع وإمكان التوحيد) لنور الدين دريم من جامعة الشلف بالجزائر، وفيه بيان لما نال المصطلح الصوتي مثلًا من تعدد صياغته عند تعريب المصطلحات الغربية واختلاطها بمصطلحات تراثية، وسعى البحث إلى تفعيل آليات توحيد المصطلحات التي نودي بها في مؤتمرات وندوات سابقة لما لذلك من أثر في تجويد البحث الصوتي. وأما البحث الثاني فهو (إشكالية المصطلح بين إلزامية النسق وواقع الاستعمال) لمختار لزعر من جامعة مستغانم الجزائرية، ويعمل في جامعة القصيم، والبحث مداخلة «تحاول بالقدر المستطاع أن تتوقف عند إشكالية المصطلح من جهة التصور والمنهج والوظيفة ثم بعدها الإشارة إلى ما تستلزمه طبيعة الاستعمال الشمولي لواقع المصطلح اللساني، سواء على سبيل التحديد أو الوظيفة ثم بعدها الإشارة إلى ما تستلزمه طبيعة الاستعمال الشمولي لواقع المصطلح اللساني، سواء على التحديد أو الوظيفة بله المنهج». وأما البحث الثالث فهو (التعدد المصطلحي وأثره في استيعاب علوم اللغة العربية في مراحل التعليم الجامعي) كتبه بوعلام طهراوي من الجزائر و«في هذا البحث ذكر لعينات من التعدد المصطلحي والصناعة المصطلحية، وهي وإن كانت ثمرة اجتهادات شخصية إثرائية، فإنها في صورتها المعزولة عن العمل المؤسساتي

ستفضي لا محالة إلى الاضطراب في العملية التعلّمية والتعليمية». والبحث الرابع (التركيب وأهميته اللسانية بين القدماء والمحدثين) لعبدالقادر سلّامي، من جامعة تلمسان الجزائرية، والبحث في التركيب مداخلة تسعى «إلى تتبع معناه واستعماله عند النحاة واللغويين القدامى واللسانيين المحدثين، مستفسرة عمّا إذا كان المستوى التركيبي هو المستوى النحوي نفسه؟ مدلّلة على مراميه اللغوية والاصطلاحية، وأهميته اللسانية». وأما البحث الخامس فهو (إشكالات المصطلح النحوي في المقررات الجامعية وعلاجها) لسعد بن عبدالله المحمود من جامعة المجمعة، وبين البحث أثر تعدد صياغة المصطلح على تلقي الطالب الجامعي، وحاول حلها حلّا ناجعًا تيسيرًا لتعلم النحو، ويتلخص الحل بسعي المهتمين إلى توحيد الاصطلاح ثم كتابة دروس تعليمية معتمدة على تلك المصطلحات الموحدة، وهو حلّ مثالي لولا خشية قطيعة بين المتعلمين وتراثهم الثري الذي لا غنى للمتخصصين عن معرفة دقائقه وإن كان عامة المتعلمين لا يضيرهم تجاوزه. وكان البحث السادس عن (الأسس النظرية للمصطلح النحوي في التراث) لمحمد محمود أحمد محجوب من جامعة نواكشوط الموريتانية، بيّن تلك الأسس كما ظهرت في أصول ابن السراج، حدد مفهوم المصطلح النحوي ورصد ظروف نشأته وتطوره، وبين الأسس المهمة التي أولها الناسيّة أي «تسمية المصطلحات النحوية بأسماء ... يعبر بها عن المعاني المرتبطة بحياة الناس»، وثانيها النسقية أي "انتظام المصطلح النحوي في شبكة من العلاقات المعقدة التي تمثل في مجموعها نسقًا متكاملًا. وثالثها الموقعية التي «تشير إلى أهمية المكان في المصطلح النحوي استجابة لمقتضيات (العامل)

وطبيعة الكلام الخطّية»، ورابعها الحركية وفيها «تجلّى ما للحركة والانتقال من دور رئيس في المصطلح النحوي في تكامل بيّنٍ مع (الموقعية)». وعالج البحث السابع (النحو العربي بين مفهوم نحو النّص ونحو الجملة) لعبدالعزيز بن عبدالرحمن الخثلان من جامعة الملك فيصل، وأكد الباحث في بحثه أن النحو العربي ليس نحو جملة ولا نحو نصّ؛ لأن نحو الجملة «يهدف إلى تحليل الجملة وتفكيكها إلى مكوناتها الأصلية، ورصد ما أصابها من حذف أو تقديم وتأخير، وغيره من قضاياه». وهو أيضًا ليس نحو نصّ؛ «لأن نحو النصّ يدرس تحليل النَّص والوقوف على مدى نصِّيَّته»، ورأى الباحث أن «الأولى أن يبقى مسمى قواعد اللغة العربية (النحو) دون تقييده بجملة أو نصّ؛ لئلا يلتبس معهما في الدرس الحديث. لأن النحو العربي يعنى ببناء الكلام، وأنَّ قواعده وقوانينه تبين كيفية إنشاء الكلام (النص)، فلا يصح أن نطلق عليه نحو جملة ولا نحو نصّ». وأحسب ما ذهب إليه الباحث متوقف فيه؛ فالنحو العربي نحو نصّ إن عالجت به نصًّا كاملًا فبينت وسائل ترابطه وطرائق إحالاته، وهو نحو جملة إن توقفت عند أجزاء النص بما فيها من جمل فتأملت ما فيها من ضروب التصرف المختلفة المعبرة عن أغراض المستعملين، ولعل من سماه نحو جملة نظر إلى اجتزاء النحويين ببعض أجزاء الكلام للتركيز على الظاهرة موضوع البحث أو موضوع التعليم، وهذا أمر معهود في نحو كلِّ اللغات، ولعل من الخير التفريق بين استعمال النحو في تعليم اللغة واستعماله في تحليل اللغة، وهو بهذا نحو جملة ونحو نصّ. وآخر أبحاث محور المصطلح وهو البحث الثامن (التلقي والمتلقي بين بوادر الاصطلاح وواقعية الإجراء في منهج عبدالقاهر

الجرجاني البلاغي) لطاطة بن قرماز من الجزائر، بين الباحث فيه أن «تناول عبدالقاهر الجرجاني لفاعلية التلقي من مقومات وآليات ومراحل» فالقارئ الحاذق بذلك «يكون قد امتلك زمام السبق والريادة في الكشف عن مقتضيات التلقي والتواصل التي تسهم في تدعيم وتفعيل نشاط القارئ وتقحمه لينقضّ على مزايا الخطاب الأسلوبية؛ إذ أضحى المتلقي من وجهة عبدالقاهر الجرجاني الأسلوبية وفق هذا السلوك الإبداعي مشاركًا فعالًا في تناتج حياة الخطاب».

وأما المحور الثاني وهو قضايا المنهج فجاء فيها تسعة بحوث، أولها (اللغة العربية في الجامعات الموريتانية: إرث الماضي وأسئلة المستقبل) لولد متالي لمرابط أحمد محمدو، بيّن فيه جهود تلك الجامعات في مكافحة سيطرة اللغة الفرنسية، وهي جهود يرى الباحث حاجتها إلى تناول من منطلقات معرفية عدة، وبين البحث الأطر المنهجية التي تدرس بها العربية في تلك الجامعات ومدى نجاعة النماذج المقترحة لتطوير تعليم العربية الناطقين بغيرها، وكذلك علاقة العربية باللهجات المحلية واللغة الفرنسية. وأما البحث الثاني فعن (أثر المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي وتدريسه بالجامعات) لعبدالقادر الحسّون من جامعة الملك فيصل في الأحساء، قال فيه الباحث «حقق المنهج التاريخي للنقد العربي المعاصر تطورًا لا بأس به تجلّت نتائجه خاصّة في تحقيق النصوص التراثية تحقيقا علميا وتنزيلها في سياقاتها التاريخية؛ ولكن ذلك لم يمنع، في الوقت نفسه، من تكريس رؤية نقدية سطحية ومدرسية أدّت إلى تجميد الخطاب النقدي ومنعه من التطور». بقي أن ندرك أنّ دراسة الأدب وفاق

المنهج التاريخي أمر يختلف عن التأريخ للأدب بصفته تحقيبًا له على نحو كتابات شوقي ضيف؛ إذ المنهج التاريخي هو استثمار للوقائع التاريخية في تفسير الأدب. والبحث الثالث عن (الخلل في استعمال المنهج الوصفي) كتبه أبوأوس إبراهيم الشمسان، وهو مجموعة من الوقفات عند نقد فوزي الشايب للصرف العربي، تحدث فيه الباحث عن المنهج الوصفي وأهميته وعلاقته بالنحو العربي وكانت وقفته الأولى عند كلام الشايب عن مشكلة الدرس الصرفي عند القدماء، والثانية عن ترتيب الدرس اللغوي، والوقفة الثالثة عن اتهام الصرفيين بالمعيارية، والرابعة عن دعوته إلى معاودة النظر في الدرس الصرفي، والخامسة نسبته إلى كثير من المحدثين عيبهم الصرف العربي بالمعيارية، والسادسة إبداؤه حسن النية، والسابعة زعمه خلطهم بين الصحيح والمعتل، والثامنة كلامه عن وزن الأفعال الجوف، والتاسعة كلامه عن اسم الفاعل من الأجوف، والعاشرة كلامه عن اشتقاق اسم الفاعل من الأجوف، والحادية عشرة كلامه عن اشتقاق اسم الفاعل من الناقص، والثانية عشرة كلامه عن اسم المفعول من الأجوف، والثالثة عشرة كلامه عن اشتقاق اسم المفعول من الناقص، والرابعة عشرة كلامه عن تثنية المقصور والمنقوص، والخامسة عشرة كلامه عن النسب إلى المقصور والمنقوص، والسادسة عشرة كلامة عن تثنية الممدود وجمعه والنسب إليه. وقد تبينت معاندة معالجة الشايب في كل ذلك للمنهج الوصفي. وأما البحث الرابع فهو (ما لا يلزم تعليمه لمتعلم النحو العربي) لإبراهيم بن سليمان بن إبراهيم المطرودي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وهو بحث يعيد الذهن إلى بحث سابق هو (النحو نوعان: واحد ندرسه ولا نحتاجه، وآخر نحتاجه ولا

ندرسه) قدمه السعيد محمد بدوي في مؤتمر (تعليم اللغة العربية في المستوى الجامعي) جامعة الإمارات العربية المتحدة/ العين، ٢١- ١٨ إبريل، ١٩٩٢م. وكذلك عالج المطرودي في بحثه طائفة من القواعد النحوية التي ما عادت الفصيحة المعاصرة تستعملها، وليس لها وجود سوى في كتب النحو التي توارثتها وهي منتزعة من استعمالات قديمة، ويرى أن الاستمرار في تعلمها فيه عنت على المتعلمين، ودعا في نهاية بحثه إلى مراجعة النظرية التي قام عليها برنامج تعليم العربية، وكذلك أهداف ذلك التعليم، ودعا للتفريق بين تحصيل مهارات اللغة وتحصيل المعرفة النحوية، ودعا إلى الكشف عن نظام العربية المعاصرة وموازنته بنظام اللغة القديمة كما وضعه النحويون، وأرى الباحث محقًّا في دعوته فترديد النحو المالكي بتفاصيله لن يفيد إفادة ناجعة المتعلمين النحو بله المتعلمين مهارات اللغة نفسها. وعالج البحث الخامس (أثر تطوير منهجية تدريس النحو في اكتساب السليقة اللغوية العربية) لإبراهيم نادن من جامعة القاضي عياض المغربية، والبحث يشير إلى أن نشأة النحو العربي كانت للمحافظة على السليقة اللغوية ولكن ضعف السليقة داع إلى بحث علله وهل الاكتفاء بالنحو التراثي محقق للحفاظ على السليقة وهل الاطلاع على مستجدات الدرس اللغوي المعاصر يمكن أن يرشدنا لاستعادة السليقة، والبحث دعوة لمواصلة الاهتمام بالموروث مع تحديث منهجه. والبحث السادس هو (البلاغة العربية في التعليم الجامعي من التدريس المعياري إلى التدريس الوظيفي) لسعيد العوادي من جامعة القاضي عياض المغربية، وهو رصد لتراجع منزلة البلاغة ووصف تدريسها بالمعيارية في منطلقاتها وإجراءاتها ومخرجاتها، واقترح ما يمكن أن يخرج

درسها من مأزقه وهو الوظيفية التي تخرجه من شرنقة المصطلح والتصنيف والتعليق المكرور على الشواهد والعمل على تجديد القراءة وإعادة الاعتبار إلى العقل البلاغي وربطها بهدفها الأكبر وهو تحليل النصوص والخطابات. وأما البحث السابع فهو (الإقناع بين الشعر والخطابة في التراث النقدي والبلاغي) لأحمد قادم من مراكش، وهو درس «يرصد طبيعة التداخل الإقناعي بين الشعر والخطابة في التراث النقدي والبلاغي»، ويستفيد البحث من أن في الفنين مراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية، فالشعر ذو رسالة تتعدى لغته جمالياتها بأن تكون إبداعًا حجاجيًّا، والخطابة بسعيها للإقناع لا تلغي جماليات تعبيراتها التواصلية؛ لما لذلك من تأثير على عواطف الناس المنقادة للتخييل. والبحث محاولة للكشف عن رؤية نقدية بلاغية تتعامل مع التداخل العملي بين الإقناع والإمتاع، ثم السعي لبناء تصور يساعد على استثمار النظرية الحجاجية في قراءة النصوص الشعرية أو الخطابية من غير إخلال بخصوصيات الأجناس الأدبية. والبحث الثامن عن (المنهج الحجاجي وخطاب التحكيم الشعري) لإبراهيم عبدالعزيز زيد من مصر وهو أستاذ في جامعة القصيم، وهو دراسة لعينية الصلتان العبدي «وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن آليات الحجاج في هذا النص، مبينة المفهوم الإجرائي الذي تتبناه الدراسة للحجاج، وتبيان هذه الظاهرة الشعرية». وآخر أبحاث هذا المحور (المنهج بين النحو العربي واللسانيات الحديثة: المنظور المعرفي) للباحث الجزائري بلقاسم محمد حمام من جامعة الملك فيصل من الأحساء، ويذهب الباحث إلى تميز العقلية العربية الإسلامية بأسس أهمها اللغة ويفسر بذلك سرعة اكتمال منهج الدراسات

اللغوية ونضجه في وقت مبكر وهو ما ضمن ثباته وصموده في وجه التشويه حتى جاءت اللسانيات الغربية فطرحت نفسها بما تفتخر به وهو المنهج الذي تفتقر إليه الدراسات القديمة ثم انتقل موقفها هذا إلى الساحة العربية فوجه الدارسون سهامهم إلى المنهج اللغوي وخاصة النحوي مغفلين الفروق الجوهرية بين العربية وغيرها معرفيًّا وإجرائيًّا، بل مغفلين الخصوصيات الإبستمولوجية للفكر العربي الإسلامي.

وبلغت أبحاث المحور الثالث (اللغة العربية والاختصاصات المتعددة) ستة أبحاث، كان أولها (مقررات اللغة العربية في التعليم الجامعي بين تواصل العلوم والإفادة من إنجازات العصر) لمنير البصكري من جامعة القاضي عياض المغربية، والبحث سعي لتحبيب العلوم للطلاب وخدمة العلم بتطويره وبلورته مضمونًا ومنهجًا بما يعزز روح المبادرة عند الطالب، وقدرته الإنتاجية وتقوية ملكته الاجتهادية، وغرس القيم الدينية والأخلاقية والوطنية مع اكتساب ما يلزم من مهارات تدعم التكوين المعرفي والعلمي والثقافي والحضاري، ومن هنا لابد من مراعاة أهداف التعليم وترجمتها في إجراءات وثيقة الصلة بالجوانب المعرفية والعقلية والوجدانية والمهارية على نحو يجسدها أداء الطالب، ومن هنا لابد أن تتناسب المقررات التعليمية مع أهداف التعليم. وأما البحث الثاني فهو (أثر تعدد التخصصات وتكاملها في تعليمية اللغة العربية ونجاعتها) لمجاهد ميمون من جامعة سعيدة في الجزائر، وهو دعوة للاستفادة من التخصصات المختلفة للبحث في تعليمية اللغة العربية ومن هذه التخصصات اللسانيات البنيوية واللسانيات التطبيقية وعلوم التربية

وسيكولوجيا التعلم واللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية، لأن هذه التخصصات لها أثر في تقريب فهم طبيعة الظاهرة اللغوية. وجاء البحث الثالث عن (النقد الثقافي عبور التخصصات وصناعة الناقد الموسوعي) للباحثة السعودية أميرة بنت سليمان القفاري، وهو بحث يتعدى التعريف بالنقد الثقافي إلى الكشف عن مآلاته في منبته الغربي والعربي بعد كسره الحواجز بين التخصصات، وهذا البحث اختبار لمخرجات هذا النقد والخلوص إلى أنه ألف بين الأدب والنقد وتخصصات أخرى وأنتج مؤلفات موجهة للمتخصص وغير المتخصص، وهو ما صنع ناقدًا موسوعيًّا؛ ولكنه قد يفتقر إلى التوثيق لبسطه رأيه على ثقافة أوسع منه. وأما البحث الرابع فهو (اكتساب اللغة العربية من البيئة الاصطناعية) لأوريل بحر الدين من جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية في مالانق الإندونيسية، وبحثه دراسة لحالة تعليم العربية في جامعته التي سعت فيه إلى خلق بيئة اصطناعية تمارس فيها اللغة العربية قوامها السكن الداخلي مع أساتذة يتحدثون العربية مع أنشطة دينية وثقافية ورياضية بالعربية مع وجود جامع تلقى فيه الخطبة بالعربية، ويستفاد من المؤتمرات السنوية التي يشارك فيها علماء من البلاد العربية، ووصف الباحث كيف أن الطلاب يفهمون ما يسمعونه بيسر وسهولة، وكان الباحث هو نفسه مثار إعجاب المنتدين بما هو عليه من إتقان للعربية وسلامة لغوية ووضوح مخارج وحسن بيان. وأما البحث الخامس فهو عن (الأخطاء اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى) لعلاء رمضان عبدالكريم أحمد من جامعة القصيم، وهو درس لأخطاء المتعلمين في جامعة القصيم بتحليلها وتفسيرها ومحاولة علاجها، ووصلت الدراسة

إلى جملة من التوصيات المفيدة، منها التركيز على مهارات لا يستغرقها المقرر الدراسي ولكن تحليل الأخطاء يبينها. وآخر أبحاث هذا المحور عن (الحاسوب وخدمة الدراسات اللغوية) لعبدالحليم محمود أحمد أبوشوشة، ويعالج البحث أهمية الفهرسة الآلية بما هي «مرحلة من مراحل تحليل النصوص واسترجاع المعلومات التي يمكن الاستناد إليها في كثير من مراحل المعالجة الآلية للغة العربية على اختلاف مستوياتها».

هذه جملة من البحوث في مؤتمر واحد زويت في يوم واحد وهو كغيره من المؤتمرات والندوات يضم جهودًا جليلة وأفكارًا جيدة؛ ولكنها لا تغادر دفتي كتاب المؤتمر، فالإصلاح لا يكون بهذه المؤتمرات وحدها بل بالسياسة اللغوية التي يقف وراءها ذوو الحل والعقد، وهو بتوطين التقنية وتعريب التعليم وإدارة الأعمال، والسعي الجاد للتقريب بين الفصيحة ولغة الشارع.

معجم الدوحة التاريخي للغة العربية

عدت من عمّان أنا وزميلي أ.د. خالد عبدالكريم بسندي يوم الخميس ٢٢من ذي القعدة ١٤٣٧هـ بعد أنْ قضينا أربعة أيام في دورة تدريبية ضمت مجموعة مختارة من أساتذة الجامعات العربية، كان الهدف منها تأهيلنا لمراجعة ما أنتجه فريق المعالجة اللغوية لجذور العربية وفروعها في إطار المدة المحددة لأول مراحل هذا المشروع. يعتمد العمل في معالجاته ومراجعاته على بوابة شبكية خاصة، وهذا يتيح للمعالج أو المراجع العمل في أي مكان في العالم.

نظمت الدورة جامعة آل البيت في العاصمة الأردنية ومعجم

الدوحة التاريخي، سمعنا في يومين متتاليين شرحًا نظريًّا معززًا بالأمثلة المختارة بدأ المحاضرات أستاذنا الدكتور محمد خميس الملخ ثم الدكتور محمد العبيدي فالدكتور محمد الخطيب، ثم قضينا يومين في تدريبات تطبيقية بحضور المحمدين لإرشادنا إلى الطرائق الصحيحة، كانت الدورة مكثفة متشعبة المطالب، ولكن تفاني أستاذينا وصبرهما وتشجيعهما من أهم عوامل الإقدام على العمل والجسارة على الرغم من الإحساس الملازم بثقل المسؤولية وبدقة العمل الذي لا يقبل التسمح أو التردد في اتخاذ القرار، زودنا الأستاذان بجملة من الآليات التي أحسبها ستفيدنا في أعمالنا الأخرى، وسنحاول نقلها إلى أبنائنا الطلاب، كان ما سمعناه منهم مدهشًا مثيرًا للإعجاب، وأهم ما لفت الأنظار عشق أساتذتنا لهذا المعجم الذي نأمل خيرًا في الاستمرار في العمل فيه، ردد علينا الدكتور محمد العبيدي أنّ الحماسة للعمل والرغبة فيه والإيمان بالمعجم هي أهم وقود الإنتاج.

في المعجم التاريخي تنسدل ستائر من التراث ترى كيف تنقلت الكلمة فيها بدلالاتها، وترى كيف يرتبط الماضي بالحاضر، وترى الكلمة يستعملها رجل الشارع اليوم وتحسبها من لغة يومه فإذا المعجم يكشف لك بعدها التاريخي وأنها مغرقة في القدم.

إن يكن المعجم التاريخي مهمًّا لكل اللغات فهو أهم وألزم للغة العربية؛ لأنها لغة متصلة فما زلنا نقرأ الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فنفهمه أو نفهم كثيرًا منه سوى بعض الغريب الذي يعرض لاستعمال اللغة في كل عصورها، ونحن نسمع الشعر النبطي فنجد من ألفاظه ما يحتاج

إلى فضل تفسير وتأويل. إنَّ عملًا علميًّا عظيمًا كهذا يواجه مصاعب جمّة؛ لأن البنية التحتيّة التي يراد لها أن تكون منطَلَقَه ليست محررة تحريرًا يغني عن كثير من العمل؛ فالمعالج والمراجع يجدان أنفسهما يحققان النصوص المحققة، ويضطران لتحقيق أعمال غير محققة أو هي بمنزلة غير المحققة.

يتعامل المعجم التاريخي مع الألفاظ حيّة في سياقاتها ليلتمس ما تنطوي عليه من المعاني، فهو يتأمل السياق ليحرر المعنى، وهو أمر يختلف عن معاجم الألفاظ التي تستقصي الألفاظ لتبحث لها عن معان في العربية من شواهد مختلفة، ولعل في عمل الخليل المبني على إحصاء الجذور ومعرفة تباديلها خير مثال للصناعة المعجمية البادئة باستقراء الجذور والكلم الذي يتألف منها.

يجعل المعجم القائم على المعالجة أو المراجعة في مواجهة مباشرة مع اللغة بكل ما يضطرب فيها من استعمال وما تزخر به من سياقات قد تبلغ حدًّا مرهقًا لمن يتتبعها ليستنطقها وليستشف معاني الكلم فيها.

تحيّة إكبار للعاملين في هذا المعجم الذي خرج عن إطار أبراج المجامع العربية القديمة على فضلها الذي لا ينكر وتقدمها المعتبر وجهدها المشكور، إنّ المعجم التاريخي للغة العربية عمل عربي لا حدود له، ولا مكان له، ولا تحكمه توجهات سياسية أو مذهبية أو عرقية، بل الغيرة على العربية وتراثها.

الفصل الثالث

من رجال العلم

البحث عن أستاذي عبدالقادر

في المدرسة المتوسطة بالمذنب عام ١٣٨١هـ وقف معلم سوداني فارع الطول أمام الفصل يستقبل طلابه بابتسامة ساحرة وهدوء وأريحية آسرة، يمر الطلاب يلتفتون إليه قائلين «وش لونك يا استاد». بعد نهاية الدرس توجه إلى الإدارة يحمل سؤالًا حيره: لِمَ يسأله الطلاب عن لونه الذي لا أوضح منه! قيل له إنهم يحيونك ويسألون عن صحتك، يقصدون «كيف حالك يا أستاذ»، ولم تمض مدة طويلة حتى عرفه الناس وعرف الناس، أحبوه وأحبهم، يصلي معهم في مسجد ابن رخيص المقابل للبيت الذي استأجره من (زبين) وإلى جواره زميله من سوريا الأستاذ (رضا)، كانا مختلفين في كل شيء، فهذا أسمر طويل وذلك أبيض بدين فإذا جاء الشتاء نال الأستاذ (عبدالقادر محمد محمد علي) الكرب من شدة البرودة فيحشر نفسه في الوار (واركوت) وأما الآخر فسعيد بالبرد يمشي بألبسة خفيفة، حتى إذا حل الصيف انقلب الحال فعانى الأستاذ رضا الكرب من شدة الحرارة وأسرف على نفسه في التحمم وملازمة حوض الماء ما أمكن، وأما أستاذنا عبدالقادر فليس أسعد منه بالجو حتى إنه لما أنشأ أخي محمد النادي الرياضي الأهلي بالمذنب تبرع أن يكون مدربًا للفريق وأن

يشاركهم اللعب في مبارياتهم.

كان دخولي المدرسة المتوسطة في المذنب عام ١٣٨٣هـ، لست أنسى في ذلك العام في أول درس للإنشاء كيف أعجبه ما كتبته في دفتري أول واجب كلفناه، وكان لقراءة الموضوع على الطلاب أثر بالغ في التعلق بالعربية وعلومها، وهو أمر بدأ في المرحلة الابتدائية حيث علمنا أخي رشيد الشمسان قواعد العربية وكيف تلقينا عليه دروس القراءة بمتعة بالغة لما يتحلى به من مهارة عالية في التعليم، وكان الدرس مع أستاذنا عبدالقادر معمقًا لهذا الشغف فزادت قراءتي من مكتبة المدرسة وشجعني على تخصيص كراسة لكتابة ملخص للكتاب أو تعليق عليه، وتكفل بقراءة ذلك والتعليق عليه من غير ملل، وما شعرت يومًا بازوراره عن ذلك.

يدخل الفصل فيكتب البسملة على اللوح والتاريخ والموضوع، كل ذلك بخط عريض يتأنق في كتابته، وهو خط يختلف عن الخطوط المألوفة، فكنت أحسبه خاصًّا به حتى تبين أنه لون من الخط الشائع في أفريقيا، عرفت ذلك باطلاعي بعد سنوات طوال على مخطوطات أفريقية.

كانت دروس أستاذنا عبدالقادر من أمتع الدروس، أحبه طلابه على تباينهم في التحصيل، وكان إلى تعليمه يشارك في النشاط المدرسي، أذكر أنه ألف تمثيلية عن (المحاكمة) أبطالها القاضي والمدعي العام والمتهم المحاكَم، أسند دور القاضي لي، وأسند دور المدعي العام إلى صالح الجارالله، وأما المتهم فهو عبدالكريم الجريدي، أنفقنا أيامًا نتدرب معه آخر النهار في المدرسة حتى أتقنا الأدوار، وعندما مثلنا أمام الجمهور في ذلك

المساء، بدأنا التمثيل فأعطيت الكلمة المدعي العام فتلا الصحيفة التي بين يديه، ثم أرتج علي فلم أعرف ما النص الذي عليّ قوله، وكذلك بدأ الجريدي بأقوال خطأ، فلم أملك سوى أمر المدعي العام بإعادة القراءة، فراح باستغراب يقرأ، وأحس الناس أنا فشلنا فشلًا ذريعًا، فصفقوا لنا، وانصرفنا مجللين بالخجل من ذلك، وكان واجب درس الإنشاء بعدها أن نكتب عن الحفلة التي شهدناها، وكتبت واصفًا ما حدث، محللًا الموقف النفسي، وأن الخوف من الخطأ أوقعني في الخطأ، وأن الرهاب قد فعل فعله، ورأيت أستاذي يقرأ الموضوع على الطلاب وهو غارق في الضحك والسرور من جمال ما يقرأ من تحليل طريف لما حصل.

لم يكن يقرأ لي واجبات الإنشاء أو تعليقاتي على ما أقرأ من كتب المكتبة فقط بل كان يقرأ لي ما أكتبه من كتابات حرة، منها القصص القصيرة ومنها (سباحين)[1] سمعتها من أمي وأخواتي. ومن الموضوعات التي كتبتها موضوع عن (الموسيقا)، وفي يوم وقف في الفصل يقرأ الموضوع ولكنه عجز عن الاستمرار؛ إذ لم يفلح في مدافعة موجة بكاء عارمة ودموع غزيرة، فطوى أوراقه وخرج من الفصل ودهشة بالغة علت وجوه الطلاب، ولوم بشيء من المداعبة أني بكيت أستادهم أي أستاذهم، ولما عاد إلينا بعد عطلة ذلك العام كان بصحبته ملكة زوجته.

وفي عام ١٣٨٢هـ هطلت أمطار غزيرة وسالت الأودية متجهة في منحدراتها نحو المذنب حيث يستوعبها حوض المغيريب الواسع ويندفع ما زاد بين المزارع نحو السفايل غرب

---

(١) وهي قصص خيالية يبدأ سردها بالقول «سبحان الله المعتلي مكانه، يقولون ...».

ضلع خرطم وخريطم؛ ولكن كانت مدافع السيل محبوسة بقنطرة لم يحسب منشئها حساب هذا السيل، وما خطر بباله أنه مدمر، تراكم الماء وتدافع وبدأ يعلو متراجعًا نحو البيوت المنتشرة على جانب الوادي بيوت طينية لم ترتفع على أساس من حجارة، فرّ الناس من البيوت إلى ملاجئ أبعد وأرفع، ومنها المدرسة وهي البناء الوحيد المبني بالإسمنت المسلح، سكنوا المدرسة بقرار شجاع من مدير المدرسة أخي محمد الشمسان، وفي الصباح حين أشرقت الشمس كانت البيوت ركامًا من الطين يطمر أثاث تلك البيوت، وتعاون الناس من المنكوبين ومن سكان الضواحي على إزالة الأنقاض، وعلى كومة تلك الأنقاض رأيت أستاذنا عبدالقادر والعتلة بين يديه يدك الأنقاض بكل همة ونشاط كأنه واحد من هؤلاء المنكوبين.

سنتان من تعليمنا مضتا سراعًا، رأيته يطلب مني دفاتر الإنشاء فحملتها إلى بيته بكل فخر وسرور؛ ولكن الأسف يملأ تضاعيف نفسي لفراقه، وفي يوم حين أزف الرحيل وقف بعد صلاة العصر في مسجد ابن رخيص وخطب في الناس خطبة يودعهم بها، ويشكر لهم حسن ضيافتهم ومعاملتهم له، واحترامهم وحبهم الجم الذي ملأ قلبه، وبين لهم أنه لن ينساهم، ونهض الناس لمعانقته وتوديعه وأثنوا عليه ودعوا له بالتوفيق في حله وترحاله، كان مشهد حبّ ووفاء منقطع النظير، ومضى إلى الجبيل كما اقتضت حركة التنقلات، ومن هناك جاءت رسائله تترى بل جاءت رسائل من طلابه الذين أحبوه وأحبوا طالبه الذي قرأ لهم بعض ما كتب في دفاتر الإنشاء، فكانت صداقة على بعد، كتب إليّ سعد النوبي ومحمد عبدالرحمن اليعيش، جمعتنا محبة أستاذنا

النبيل عبدالقادر. مضت الأيام وعاد أستاذنا إلى السودان وجاءت من هناك رسائله حيث صار يدرس في مدرسة متوسطة هناك، بل جاءت الرسائل من أخيه الطاهر محمد محمد علي؛ ولكنها الحياة التي تعصف بأهلها فتصرفهم عن كثير مما يريدون فانقطعت الرسائل وغابت الأخبار، إذ كانت الدراسة الجامعية فالبعثة للقاهرة للدراسات العليا، وعلى الرغم من كل ذلك كان الغائب الحاضر في الذهن، حتى إذا أنجزت أول عمل علمي يستحق النشر وأقدمت على نشره بما اقتطعته من مكافأة البعثة لم أفكر في إهداء الكتاب إلى أبي أو أمي، رحمها الله، ولا أخي الكبير محمد الذي هو بمثابة أبي، ولا إلى زوجتي العزيزة أم أوس وسمية، بل كتبت في إهداء (الجملة الشرطية عند النحاة العرب) «إلى أستاذي من السودان الشقيق: عبدالقادر محمد محمد علي، جزاء ما ثقفته من علمك وأدبك».

حملت نسخًا من الكتاب وتوجهت للملحق الثقافي في سفارة السودان في القاهرة، وأريته الإهداء، وشرحت له حرصي على وصول الكتاب إلى أستاذي، ووعدني خيرًا، فمضيت ظانًا أن الأمر سيأخذ سبيله؛ ولكن الأيام كشفت لي أنه لم يفعل أو أنه لم يوفق إلى فعل شيء من ذلك، ومضت الأيام، وعدت إلى الرياض لأخوض معمعة العمل وتربية أسرتي؛ ولكني ما كففت أسأل عن أستاذي، فسألت كل زملائي السودانيين في القسم، وأوصيتهم أن يسألوا عنه، وكلما وفد أستاذ جديد من السودان سألته وألحفت بالسؤال؛ ولكن أحدًا لم يستطع أن يصل إلى خبر منه.

شاركتني في سؤالي عنه هذه السنوات زوجتي الحبيبة أم أوس فما التقت بامرأة سودانية إلا أخبرتها بأمر بحثي عن أستاذي

واهتمامي بمعرفة أخباره، حتى كان يوم التقت فيه سيدة كريمة من السودان هي السيدة الفاضلة عفاف بابكر وكانت في ذلك الوقت مديرة مكتب حرم رئيس جمهورية السودان، ولما سمعت الخبر أخذت رقم هاتف أم أوس واسم أستاذي على وعد بالبحث عنه، ومضت خمس سنوات بعد هذا فأيقنا أن الوعد كغيره من الوعود التي وعدنا بها لا تنتهي إلى نتيجة، ولكن قبيل أيام، في ١٤/ ١/ ١٤٣٧هـ، جاءت رسالة إلى أم أوس في (الوثاب) whatsup هذا نصها وما كان من حوار:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أنت دكتورة وسمية المنصور؟

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. نعم.

-معاك أم معتز من السودان ومقيمة في الرياض. طلبت إحدى الأخوات التواصل معك. اسمها عفاف بابكر.

-للأسف ما أعرفها أو لسوء الحظ لا أذكرها. هل لديك استفسار أستطيع الإجابة عنه. تفضلي.

-قالت منذ فترة طويلة قابلتيها وكنت تبحثين عن أستاذ اسمه عبدالقادر محمد محمود. ضيعَت الرقم وكنت في ذهنها إلى أن وجدَت الرقم الآن. هي حاليًّا بالسودان. وتود أن تعرف هل عثرتم على هذا الأستاذ؟

-جزاك وإياها كل خير. للأسف لم نعثر على من يدلنا على الأستاذ. ونعم الوفاء في أهل السودان، الوفاء والصدق والالتزام. بوركتم.

-آمين وجزاك بمثله دكتورة. هل تذكرتها؟ وهل تذكرين اسم بلده؟ وأي مادة كان يدرس؟

-الاسم مختلف. اسم الأستاذ عبدالقادر محمد محمد علي. يدرس اللغة العربية.
-تمام سأخبرها، وجزاكم الله ووالديكم الجنة. وادعوا له إن حيا أو ميتا.
-أنا في الحرم المكي ودعوت لكم ولها وله. سبحان الله تأتي رسالتك وقت دخولي الحرم.
-يا سلاااام. جزاك الله خيرا وربنا يتقبل عمرتكم ودعاءكم يا رب العالمين. أعتذر شغلتك.

وفي اتصال آخر:

-مساء الخيرات دكتورة. معليش الأستاذ دا كان في الرياض؟ وقبل كم سنة تقريبا؟
-تحيتي من الحرم والأذان يرفع سبحان الله لكم من دعائي نصيب في ساعة استجابة بإذن الله. الأستاذ عبدالقادر كان في مدينة المذنب بالقصيم وقبل عودته للسودان عمل في مدينة الجبيل وعندما عاد للخرطوم في السبعينيات عمل معلمًا في متوسطة للبنات في الخرطوم.
-السلام عليكم دكتورة. يا سلاااام أحمد الله الذي جمعني بك وأدخلني في دعائك وأسأل الله أن يتقبل عمرتكم ودعاءكم وكل طاعاتكم يا رب العالمين. ادعي للأخت عفاف التي قابلتك وكلفتني بهذه المهمة. يا دكتورة الكلام دا قديم شديد أنا كنت فاكراه قريب. دا رجع قبل ٤٨ سنة الله أعلم يكون عايش .. الله يرحمه ويجزيه خيرا إن كان حيا وإن كان ميتا.
-آمين. ثقي دعوت للجميع.
-ربنا يتقبل. سوف نستمر في السؤال عنه بإذن الله فقد يجمع

الله بينكم.

وفي اتصال آخر:

-معليش دكتورة ما عندكم أي فكرة عن اسم بلده في السودان. وما عندكم له صورة؟

-للأسف لا.

-حنلقاه بإذن الله.. أنا متفائلة.

- بلده الأصلية خشم القربة، زوجته ملكة، وله أخ اسمه الطاهر.

-الله أكبر. كدا تمااام.

وفي اتصال آخر:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته دكتورة وصباح الخيرات.

-كيف حالكم عساكم بخير.

-سعيت في الموضوع بمساعدة إخوة وأخوات في السودان وتمنيت أن نجده ليفرح بكم وبوفائكم والحمد لله رب العالمين عثرنا على أسرته أما هو فقد توفي قبل ٥ أشهر.. أسأل الله أن يرحمه بواسع رحمته. وطلبت صورة منه ومن جواز سفره للتأكيد.

هكذا انتهت رحلة البحث عن أستاذي العزيز الذي ولد في عطبرة في ١٩٣٨م وتوفي في ٢٧/٤/ ٢٠١٥م.

لما حانت فرصة الوفاء حالت دونه الوفاة.

رسالة من نازك

لقيت كتابتي عن (البحث عن أستاذي عبدالقادر) قبولًا واسعًا، وعبر كثير من زملائي وقرائي بما يناسب سابغ كرمهم،

وكل واحد مستحق مني الشكر والثناء، ولولا الإطالة على القراء لكنت أوردت جميل عباراتهم المعبرة عن صدق مشاعرهم وحسن تفاعلهم؛ ولكني اليوم أجد من واجب القراء عليّ أن أشاركهم قراءة رسالة ابنة أستاذي السيدة الفاضلة (نازك عبدالقادر محمد محمد علي) بعثتها إلى زوجتي العزيزة أم أوس حفظهما الله، تقول نازك:

«السلام عليكم أختي د. وسمية

والله لساننا يعجز عن قول شيء فقد غمرنا حبكم للوالد. والله لو كان بيننا اليوم لفرح هو أيضًا فرحًا شديدًا وأكاد، بمعرفتي به، أن أقول: لعبر عن فرحه بكم بقصيدة من تأليفه وبفرحه بالمجال العلمي الذي اتخذه أخونا د. إبراهيم الشمسان؛ فهذا المجال هو حب الوالد وعشقه، فما أن يخطئ أحد في الأسرة أو ضيف أو مذيع في التلفزيون في كلمة باللغة العربية حتى نجده يصحح لنا ذلك الخطأ. والله لقد ساعد الوالد في رعاية غرس أرض طيبة مباركة بأهلها، فيا نعم من غرس ويا نعم من ساعد ورعى واعتنى ويا نعم الحرث أثمر. أصله ثابت فى الأرض وفرعه تطاول في السماء وازدهى. والله إن الوالد قلبه يسع الجميع كما أعرفه أنا، يحب الكل بقدر حبه لأولاده بل أكثر. فهو عندما يفرح لفرح أبنائه أو أحد غيرهم كما فى يوم العيد أو النجاح الأكاديمى تجده يقبل رؤوسنا.

ولا أريد ان أقسم بالله لكم؛ ولكن كأنى أراه يقبل رأس أختنا د. وسمية وأخينا د.إبراهيم فرحًا بهم وبأبوته لهم كما كان يفرح لنا.

ويا أخي د.إبراهيم أنت والوالد جنود خفية سخرها الله لحب اللغة العربية ولجعل من حولهم يحبونها؛ لأنها لغة أعظم الأديان على وجه البطحاء. والقرآن لا يحفظه فقط من ينكبون على تلاوته بل ومن ينكبون على دراسة وتدريس لغته وهذا اختيار من عند الله فهنيئًا لمن كان هذا قدره.

وثمَّ أمر أخير وليس آخرًا؛ فقد ضربتم أنت والوالد أعظم مثال على الدبلوماسية الشعبية القائمة على أساس متين وهو الإنسانية البحتة التي تسعى عديد من الحكومات لتبني بها جسور العلاقات الدولية بين الدول ولم توفق في ذلك العديد منها؛ ولكنكما أنت والوالد ضربتما أروع مثل فيما أوصي به رسول الإنسانية جمعاء حيث قال صلى الله عليه وسلم (ألا لَا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمرَ (٢) على أَسْودَ، ولا أسودَ على أحمرَ، إلَّا بالتَّقوى).

فأبي عندما حمل المعول ليزيل أنقاض السيل فهذا حب الإنسانية التي هي أعلى وأسمى وأجل من حب الذات وقد قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم (فأحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك) أيحب أبي لنفسه أن يكون بين أنقاض السيل،كلا والله، فكيف يحب ذلك لإهل إنسانيته، لا وألف لا، لن يرضى بذلك لمن أحبوه وأحبهم لإنسانيتهم التي وجدها فيهم. ولو أعطوني نوطي جدارة لمنحتهما لسفيري الإنسانية الأستاذ الوالد عبدالقادر محمد محمد علي والأخ الدكتور إبراهيم الشمسان وزوجته التي تتجسد فيها كل معاني الإنسانية والتي أكرمنا الله بها أختًا. لقد نجحت سفارة الإنسانية في تخطي الحدود الجغرافية وجمعت أروع بلدين المملكة العربية السعودية والسودان، وكانت السفارة هي اللغة

العربية (قرآن بلسان عربي)، فهي إن شاء الله لغة العالم الإسلامي الأوسع في المستقبل، وسامحوني مرة أخري على التطويل؛ ولكن منذ أن قرأت المقال تجول في رأسي كثير من الخواطر والذكريات مع الوالد. وأقول لأخي الدكتور إبراهيم تعليقًا على خاتمة مقاله الصحفي (عندما حان الوفاء حالت دونه الوفاة) أقول لأخي الدكتور: والله لقد أوفيت والدي حقه في قبره إلى أن تقوم الساعة إن شاء الله. قال رسول صلي الله صلي الله عليه وسلم (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

سنتان من العلم والتعلم مع الوالد مضافة على ما سبق من علمك دفعت بك إلى التعلق باللغة العربية، وهي علم ينتفع به، فكيف تكون الوفاة حالت دون الوفاء. لقد شهدت في رسالتك التي نلتها في القاهرة بأنك تهديها للأستاذ عبدالقادر، لما ثقفته من علمه وأدبه، وهذا إقرار أمام خلق الله، أفلا يقبلها الله أرحم الراحمين حسنة لوالدي في قبره، أسأل الله أن يقبلها في ميزان حسناته إلى أن تقوم الساعة، وأسأل الله أن يكرمك على هذا يا د.إبراهيم. ويكرم أختي د. وسمية في الدنيا والآخرة.

أختكم نازك»

السعيد محمد بدوي

حين سافرت للدراسة إلى القاهرة نهاية سنة ١٩٧٤م. صادفت كتابًا لفت انتباهي بعنوانه المتميز (مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة)، صدر عام ١٩٧٣م. عن دار المعارف، عرفت لأول مرة أن القسمة

ليست ثنائية إلى فصيحة وعامية بل إن الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك، فهناك فصحى التراث التي لا تكاد تسمع سوى في خطب المساجد وفي البرامج الدينية وفي قراءة القرآن. وهناك فصحى العصر تسمعها في نشرات الأخبار وبعض المواقف الرسمية، وقريب منها فصحى المثقفين التي لا تلتزم بالإعراب، وفصحى المتنورين ذوي التعليم القليل، ثمّ عاميّة الأميين. وعلى الرغم من السنوات التي قضيتها في مصر لم ألقه أو أعرفه معرفة شخصيّة، إذ لم يكن في الجامعات التي كنت أختلف إليها أشهد ما يناقش فيها من رسائل علمية، حتى إذا بدأت مشاركتي في مشروع السلطان قابوس لدراسة أسماء العرب عرفت أنه أحد أعضاء الهيأة العلمية التي تدير هذا المشروع، مع علي الدين هلال مدير المشروع وفاروق شوشة وأستاذي محمود فهمي حجازي، ونظم لقاء في القاهرة جمع الهيأة العلمية وخبراء المشروع لشرح خطوات العمل ولتصميم استمارات تفرغ فيها المعلومات، لا أنسى حفاوة الدكتور السعيد محمد بدوي بي الذي قابلني مقابلة صديق قديم، وحين تحدثت واطلع على طريقتي في تدوين المعلومات قال إن لك ذهنًا رياضيًّا، وأجده حين زرت القاهرة مرة أخرى لمراجعة جزء من مسودة المعجم يزورني في الفندق ويحدثني عن رضا الهيأة العلمية عن عملي ويعتذر عن ترك تضمين كثير من المعلومات التي وافيتها بها لأنه لا نظير لها من البلدان العربية الأخرى، كنت أجد منه الدعم المستمر، من ذلك ما حدثني به حين لقيته في (مؤتمر تعليم اللغة العربية في المستوى الجامعي) في جامعة الإمارات، العربية المتحدة/ العين،١٩٩٢م. قال لي إنه من أوصى باستكتابي لهذا المؤتمر، وسمعنا منه في هذا المؤتمر بحثًا مهمًّا هو(النحو نوعان: واحد ندرسه ولا نحتاجه، وآخر نحتاجه

ولا ندرسه)، ومن ذلك ثناؤه على كتبي الصغيرة التي تشرفت بإهدائها إليه قال لي إنها على مكتبي أعود إليها من حين إلى آخر، واختارني يومًا لمسايرته وراح يحدثني عن الوقت الذي كان قضاه في الرياض وما أنجزه في ذلك الوقت من دراسات ضمنها رسالته للدكتوراه في جامعة لندن عن (التنغيم الصوتي في لهجة الرياض).

ولعل من أهم المشروعات اللغوية التي شارك في إنجازها معجم العامية المصرية مع الدكتور مارتن هاينز أستاذ الدراسات اللغوية في إنجلترا، ومن تلك المشروعات أيضًا أحدث ترجمة عصرية لمعاني القرآن الكريم مع صديقه الدكتور محمد عبد الحليم أستاذ الدراسات اللغوية في جامعة لندن.

ومن الأمور المهمة عودة السعيد محمد بدوي إلى كتابه (مستويات العربية المعاصرة) لينشره مرة أخرى عام ٢٠١٣م. عن دار السلام؛ ولكنها نشرة مطورة أضاف فيها ما رصده من تطور في الواقع اللغوي المصري، ورصد في مقدمته للنشرة الثانية التي جعل لها عنوان "مفترق الطرق الذى تقف عليه اللغة العربية اليوم" استعمال العامية في صحيفة عريقة هي (الأهرام)، ورصد خلط صحف المعارضة في استعمالها الفصحى بالعامية، وهو يقدم جملة من احتمالات المستقبل منها إحياء فصحى جديدة تستلهم فصحى التراث ومنها اتخاذ عامية المثقفين لغة للكتابة، ومنها الوقوع في «التشرذم اللغوي»، وكلها احتمالات مفتوحة؛ ولكن الأستاذ يتنبأ بربيع لغوي، قال «إن الربيع العربي (لا التونسي أو المصري أو الليبي) الذي بدأت بشائره، والذي تدل الدلائل القاطعة على أنه لن يتوقف حتى تتفتح الأزهار ويمتلئ

الحَبُ وتنضج الثمار - هذا الربيع العربي لابدّ من أن يتفتح بجانبه ربيع لغوي عربي مكافئ». ومن أعمال أستاذنا سلسلة (الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها).

رحم الله أستاذنا السعيد محمد بدوي الذي توفي يوم الأربعاء ١٦ مارس ٢٠١٦م . وكتب في نعيه أستاذنا العلامة سعد مصلوح «إنه لنبأ لا كالأنباء. أصمّ به الناعي وإن كان أسمع. غربت عن دنيانا شمس العالم الجليل، والإنسان الجميل النبيل الأستاذ الدكتور السعيد بدوي رحمه الله وفسح له في جنته، وعزى عنه العربية وأهلها، وعوض دار العلوم وأبناءها عنه خير عوض. لقد غيب الموت بغيابه عِلمًا غزيرًا، وقلبًا كبيرًا ، وذكاء وظرفًا يعز أن ترى لهما نظيرًا. رحمات الله عليك يا أخي الحبيب وعلى رصيفك وصنوك من قبل الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، وعلى شيخي ومعلمي الجليل الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أيوب، فما أعظم فجيعة العلم في أمثالكم».

ورحم الله كذلك أستاذنا محمدحماسة عبداللطيف وغيره من علماء العربية الذين غابوا عنا بأجسادهم ولكنهم حاضرون بعلمهم وإرثهم.

سليمان الذييب

قبيل انعقاد ندوة الاحتفال بمرور ربع قرن على إصدار مجلة جامعة الملك سعود (الآداب)، في ١٤١٦/٧/١٨،١٩هـ الذي شاركت فيه ببحث (أسماء الناس في المملكة العربية السعودية) وجدت في صندوق البريد في القسم كتابًا ألفه الدكتور سليمان الذييب وعليه إهداء بخطه. لم أكن أعرف سليمان وما

لقيته قطّ لتقصير مني بمعرفة زملائي في الأقسام الأخرى، سارعت إلى مقابلته لشكره على تفضله بإهداء الكتاب، وجلسنا نتحدث في هموم العربية وتراثها، وكان يلوم الزملاء في قسم اللغة العربية على عزوفهم عن الاهتمام في الكتابات والنقوش التي هي رافد من روافد تراث العربية، وحاولت الاعتذار لهم بغياب معرفتهم بأسرار تلك النقوش والكتابات وما قد يعرفه بعضهم هو ثقافة يسيرة لا تعينه إلى مثل ما يريد ومثلت له بنفسي فكل ما عرض لي دروس قليلة في النقوش الثمودية والصفوية قرأناها مع أ.د. السيد يعقوب بكر رحمه الله.

كان كتاب الذييب الذي أهداه إلي هو (دراسة تحليلية لنقوش نبطية قديمة في تيماء)، قرأت الكتاب وتعلمت منه، وجاء في تمهيد بحثي اعتمادًا عليه قولي «وهي [الأسماء] مجال لعالم الآثار؛ وذلك أن الآثار تتضمن نقوشًا هي في لغة معظمها أعلام تعد مصدرًا مهمًّا للمعلومات عن الأقوام الحاملين لهذه الأسماء؛ فمثلًا أسماء الأعلام النبطية قادت المختصين إلى إثبات أن أصول هذه القبائل عربية مهاجرة من داخل الجزيرة، كما أنَّ الدراسة اللغوية للأسماء الشخصية تضيف الكثير من المفردات والألفاظ الجديدة للغة التي يتحدث بها أصحاب هذه الكتابة، وتعطينا معلومات عن مفاهيمهم الاجتماعية». ومنذ ذلك اليوم نشأت صداقة وأخوة بيننا عرفت فيها عمق معرفته وجده في العمل وحرصه على إتقان ما يصنع ابتداءً من العمل الميداني المجهد إلى الاستقصاء وجمع المعطيات والبحث في الأصول التراثية عرفت فيه رجلًا متواصل العطاء، ومن اليسير على من يطلع على سيرته العلمية أن يرى غزارة الإنتاج وتعدد الأعمال العلمية

بحثًا ومناقشة وإشرافًا وتعليمًا، عرفت فيه غيرته على اللغة العربية وحرصه الشديد على السلامة اللغوية؛ فلا أعلم أنه نشر كتابًا أو بحثًا قبل أن يتأكد من سلامته، فهو على علو مهاراته اللغوية وقوة معرفته بلغته لا يرضى حتى يعرض عمله على من يثق بهم من المتخصصين بالنحو والصرف، فهو يدرك أن عينًا ترى ما لا ترى أخرى. تعلمت من معاجمه التي أصدرها واحتججت بها في مناقشاتي لرسائل درست الأسماء، من ذلك أن (بر) الذي تصدر به بعض الأعلام هو مشترك سامي بمعنى (ابن) وليس كما توهم الباحثون من قبيل إبدال النون راءًا، ومن ذلك الاسم (عمْرو) فالواو فيه موروث نبطي، وليست مجتلبة للتفريق بينه وبين الاسم (عمَر).

كتب سليمان الذييب كثيرة، منها ما هو متخصص في معالجة ما وقف عليه من النقوش والكتابات، ومنها ما هو معتمد على درس شامل عميق للغة تلك النقوش والكتابات، وهو ما يناسب القارئ المتخصص وغير المتخصص، ومن هذه الكتب (المعجم النبطي)، و(مدخل إلى قواعد النقوش النبطية)، و(الأوجاريتيون والفينيقيون: مدخل تاريخي)، و(منطقة الرياض: التاريخ السياسي والحضاري القديم)، و(معجم المفردات الآرامية القديمة: دراسة مقارنة)، و(الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية)، و(قواعد اللغة النبطية)، وثمة كتب مترجمة وعدد من البحوث ولا أجد حاجة لتعدادها فهي محصورة في سيرته الذاتية المفصلة في موقعه الشبكي وقد أحسن أن زوّد الموقع بنسخ مصورة من أعماله كلها، وهو بهذا يتيح للقارئ في أرجاء المعمورة أن يقتني هذه الكتب والبحوث من

غير عناء ولا مؤونة. نالت أستاذنا جملة من الجوائز ودروع التكريم وشهاداته، كان آخرها ما شهدناه من تكريم منتدى ثلوثية بامحسون له في يوم الثلاثاء ٣ شعبان ١٤٣٧هـ، وفيها ألقى أستاذنا أ.د. أحمد الزيلعي كلمة رائعة زوى فيها جهود أ.د. سليمان الذييب مشيرًا إلى جهود زملاء آخرين في هذا الميدان وريادة أستاذنا الرائع الدكتور عبدالرحمن الأنصاري.

وحق لنا أن نفخر برجل من رجالات العلم والفكر في بلادنا هو سليمان الذييب.

عبدالرحمن العثيمين لقيته مرتين

عاد من قضاء العمرة عمّ أم أوس الأستاذ عبداللطيف محمد المنصور، رحمه الله، وهو المستشار الصحي بسفارة الكويت في القاهرة، فلَمّا زرناه حدثّنا حديثًا طويلًا عن شخصية عظيمة، عالم زويت له مكارم الأخلاق واللطف والورع وحسن المعاملة وتهلل الأسارير والأريحية التي يستقبل بها من يعرف ومن لا يعرف، وكان الأستاذ يظن أني أعرف الدكتور عبدالرحمن العثيمين فنفيت معرفتي به وذكرت أنّ الذي أعرفه هو أستاذنا عبدالله العثيمين أطال الله بقاءه بالصحة والرضا، ولم أكن من المشتغلين بالتحقيق وكنت منصرفًا لكتابة رسالتي الماجستير والدكتوراه في جامعة القاهرة، وعلى الرغم من أني زرت منزل الشيخ المحقق محمود شاكر غير مرّة لم يصادف أن جرى ذكره، ولكني بعد العودة ومزاولتي التدريس في قسم اللغة العربية اطلعت على طائفة من كتبه المحققة التي انتفعت بها كثيرًا، واتصلت أخباره التي زادت منزلته في نفسي، وكان مقامه في مكة ومقامي في الرياض من صوارف اللقاء به والتشرف بمحضره والاستماع

إلى أحاديثه الثرية. كانت المرة الأولى التي أتشرف بلقائه يوم جاء إلى الرياض ليشارك في الندوة الأدبية التي نظمها نادي الرياض الأدبي مساء يوم الثلاثاء ١٤٢١/٧/١٣هـ عن حمد الجاسر وجهوده العلمية، وكان يشارك فيها أ.د. أسعد عبده عضو مجلس الشورى، وأ.د. عبدالله العسيلان الأستاذ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة، وأما ثالثهم فكان الدكتور عبدالرحمن العثيمين الأستاذ بجامعة أم القرى. كانت مشاركته من أهم حوافز شهادتي تلك الندوة، تقدمت إليه للسلام فنهض إليّ نهوض عارف ليستقبلني وبادلني السلام سلام من تعارفا منذ أمد طويل، فرحت فرحًا شديدًا بما لقيته منه من حفاوة وترحيب، ومضت السنوات لا لقاء ولا اتصال، وكان آخر ما وصلني من أخباره أنه عاد إلى عنيزة وأنه يجلس لاستقبال أحبابه، فعزمت على أن أشهد مجلسه؛ ولكن الظروف لم توات لهذا، حتى جاء أوان اللقاء الثاني.

دعاني الأستاذ الفاضل صالح الغذامي أخو أستاذنا الدكتور عبدالله الغذامي للمشاركة في ندوة بعنوان (شبابنا واللغة العربية) يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٤/١٢/٢٥هـ، في مركز ابن صالح الاجتماعي، بعنيزة. وأغراني الأستاذ صالح للمشاركة بذكر من سأتشرف بصحبتهم وهما أستاذنا أ.د. محمد الهدلق، والدكتور الرائع عبدالله الوشمي، في تلك الليلة ونحن على المنصة نهمّ بالبدء في الحديث نفاجأ بالدكتور عبدالرحمن العثيمين يأخذ مكانه في الصف الأمامي أمامنا على كرسيه المتحرك يتحامل على نفسه، جاء ليكرمنا بحضوره ويشرفنا بمقدمه، نهضت من مكاني ونزلت إليه لأقبل رأسه وأسلم عليه وأشكره من أعماق قلبي على

أن أكرمنا هذا الإكرام وخصنا بشهادته ندوتنا، هذا هو اللقاء الثاني. وجاء يوم حدثني أخي أ.د.محمد خير البقاعي بأني في لجنة شكلتها وزارة الثقافة لتنظيم احتفال الوزارة باليوم العالمي للغة العربية، وكان من نتائج اجتماع هذه اللجنة أن تُكرّم شخصية علميّة لها جهود بارزة في خدمة اللغة العربية تعليمًا وتأليفًا، فوفقني الله إلى اقتراح اسم أستاذنا د.عبدالرحمن العثيمين، وكان من مقتضيات هذا أن تُعد أوراق عمل تتحدث عنه، فرأيت أن أتصل بأخي الدكتور فريد الزامل رئيس قسم اللغة العربية في جامعة القصيم لأسأله عن أستاذنا ولأرجوه أن يشاركنا في تكريمه بالكتابة، وفاجأني بقوله إنه في طريقه لزيارة أستاذنا حيث يرقد في المستشفى فاقد النطق، فدعوت الله بأن يمن عليه بالشفاء وأن يمكنه من شهادة تكريمه الذي لن أشهده أنا لارتباطي بالمشاركة بندوة تعقدها جامعتي مولانا إبراهيم في ودار السلام بإندونيسيا، ولكن في رحلة العودة في مطار جاكرتا نقل لي أخي الدكتور مساعد الغفيلي نبأ وفاة أستاذنا عبدالرحمن العثيمين.

ليست المحبة والتقدير بعدد مرّات اللقاء؛ ولكن بما تنطوي عليه النفوس، لقد نزلت محبته في نفسي منزلها منذ سمعت خبره أول مرة؛ وما زالت تتعمق مع الأيام، ولن تفارق ذهني تلك اللحظات التي رأيته فيها في تلك المرتين. رحم الله أستاذنا رحمة واسعة وأجزل له الثواب.

عبدالله العثيمين اللغوي

لو لم يكن أستاذنا الأستاذ الدكتور عبدالله العثيمين أستاذًا في التاريخ لكان أستاذًا في اللغة بجدارة، ليس لأن ناصية اللغة بيده شاعرًا فصيحًا ونبطيًّا بليغًا؛ بل لمعرفته بدقائق اللغة وأساليبها

الصحيحة، فكم من مرةٍ كرمني بالمهاتفة ليسألني بما هو به عليم؛ ولكنه يقدِّم للمسألة بقوله تعالى ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل- ٤٣)، وكأنه يأخذ بقول العامة «خلّ بينك وبين النار مطوّع»، فهو على علمه بالصواب يريد شهادةَ محسوبٍ على اللغة، وهذا من حسن ظنِّه وكرم خُلُقه، ولم تتسنَّ لي معرفة أستاذنا عن قُرْب، فالمرات التي تشرفتُ فيها بلقائه زائرًا قسمَ اللغة العربية قليلةٌ جدًّا، ولم تزد على السلام وردِّه، وكذلك اللقاءات في «دارة العرب»، ولكني متابع لكتاباته المستفيضة في صحيفة «الجزيرة».

تجد أستاذَنا في تلك الكتابات ينافح عن اللغة العربية حتى يظن من لا يعلم أنه من المتخصصين بعلومها؛ ولكنه على خلاف كثير من المتخصصين بالعلوم الإنسانية أو التطبيقية الذين يرون أنَّ المدافَعة عن اللغة العربية ليست من شأنهم، ولا يشغلهم أمرها، بل إنهم ربما صرَّحوا بأنَّ رعاية السلامة اللغوية لا تشملهم، وأنه لا تثريب عليهم إنْ هم أخطأوا في كتابتهم أو قراءتهم وحديثهم، محتجِّين بأنهم غير متخصصين باللغة، خلافًا لكل هؤلاء نجد أستاذَنا حفيًّا بالعربية فلا يكتب أو يتكلم أو يقرأ إلا والسلامة اللغوية من أجَلّ مطالبه، وإحساسه العميق منذ فتوته المبكرة بالعروبة أشعلتْ جذوة الغيرة على رموز هويتها التي اللغةُ ذروةُ سنامها.

تجد أستاذنا يتصدَّى لتصحيح ما يقتحم سمعَه أو بصرَه من أخطاء المستعملين، قرأتُ له في مقالٍ عنوانُه «لتلويح اللغة العربية بأردانها جاذبيته (١)» قوله: «يُعبِّر الآن الكُتَّاب -إلا مَن ندر منهم- عن وجود شخصٍ ما في مكان مُعيَّن بقولهم: أثناء «تواجده» في الرياض، وهذا خطأ، والصحيح: أثناء «وجوده»

في الرياض؛ ذلك أن كلمة «تواجد» من الوَجْد، لا من الوجود. والتواجد -كما قال الشيخ علي الطنطاوي، رحمه الله- منزلة مُعيَّنة لدى الصوفيين. يقول كثير من الكُتَّاب والمذيعين: «ومن ثُمَّ» بضم الثاء، وهو خطأ، والصحيح: ومن ثَمَّ بفتح الثاء، بمعنى هنا أو هناك». وقال أيضًا: «كثيرًا ما جمع كُتَّابٌ ومذيعون كلمة (مدير) بقولهم (مُدراء)، والصحيح مديرون، فلا يقال: اجتمع مدراء المدارس، مثلاً، بل يقال: اجتمع مديرو المدارس. والأمثلة على الأخطاء كثيرةٌ ومتشعِّبة». ويقول عن اللغة بوصفها هُويَّة المجتمعات: «من الْمُسلَّم به لدى الباحثين في أمور المجتمعات والحضارات الإنسانية أن اللغة من أَهمِّ دعائم هُويَّة الأُمَّة إن لم تكن أَهمَّها. ولذلك حرصت الأمم الآخذة بنواصي التَّقدُّم والرُّقيِّ؛ قديمًا وحديثًا، على المحافظة على كيان لغاتها، والتمسُّك باستعمالها وحدها؛ كتابةً وتحدُّثًا. بل إنها حرصت، أيضًا، على الدفاع عنها وعلى نشرها بين أمم ومجتمعات أخرى». ثم قال: «وإذا كان الاهتمام قد بلغ ذلك المستوى بالنسبة للغات حديثة النشأة والتطوُّر نسبيًّا، فكيف لا يكون الاهتمام أَعظم بالنسبة للُّغة العربية التي لم يَتكدَّر صفو مَعينها منذ خمسة عشر قرنًا؟! إذ ما زال المرء يقرأ ما كُتِب بها أو يَسمَع ما قِيل بها في القرن الأول الهجري؛ شعرًا ونثرًا، فيفهمه حقَّ الفهم. إنها اللغة التي تَمكَّنت، في قرونٍ خلت، من استيعاب حضارات قديمة متعدِّدة، وصهرتها في بوتقةٍ واحدة لتُقدِّم إلى الدنيا حضارة عظيمة في مسيرة تاريخ الإنسانية؛ فكرًا وثقافةً وإبداعًا. بل إنَّ عظمتها لم تقتصر على ذلك -مع أَهمِّيته وجلاله- بل امتدت إلى كونها لغة المصدَرَين الأساسَين لدين أُمَّتنا المسلمة؛ عربًا وغير عرب».

وإن عالِمًا بقامة أستاذنا الدكتور عبدالله العثيمين ليس أستاذًا للتاريخ وحده بل هو أستاذ للغة بما ثقفه منها فأحسن الصدور عنه وبتبين مواطن الزلل فيه وما يرأب الصدع ويسد الثغر.

عبدالقادر المهيري

في الساعة ٧:١٩ من يوم الجمعة ١٤٣٧/٨/٦هـ، أرسل إلي ابننا الأستاذ فهد الخلف نبأ وفاة أستاذنا القدير الدكتور عبدالقادر المهيري، فكتبت في جواب رسالته «رحمه الله رحمة واسعة، كان عالِمًا فذًّا ومعلِّمًا متميزًا وباحثًا متعمقًا، كتب بلغة واضحة مبينة، جمع بين علوم التراث وعلوم اللسانيات فانصهرت في فكره وسكبها في بناء متماسك أضاء به درب الباحثين والمتطلعين إلى المعرفة الحقَّة».

عرفت أستاذنا قبل أن ألقاه معرفة الطالب للرواد من العلماء، كان أول شيء صادفته الحولية التونسية الخامسة، وجدت فيها مقالًا مهمًّا في مسألة كانت من مشاغلي في ذلك الوقت وكنت قد قرأت كتاب أستاذنا الدكتور مهدي المخزومي عن (النحو العربي: نقد وتوجيه) الذي عرض فيه للتفريق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وذهب فيه إلى أن الجملة الاسمية ما دلت على الثبات بخلوها من الفعل الدال على التجدد وليس مرد التحديد لصدارة الاسم أو الفعل، فالجملة الفعلية هي ما اشتملت على فعل تقدم الاسم أو تأخر، فالجملة (طلع البدر) جملة فعلية وكذلك (البدر طلع) جملة فعلية أيضًا، وأما عنوان مقال أستاذنا الدكتور عبدالقادر المهيري فكان (مساهمة في تحديد مفهوم الجملة الاسمية) وعرض فيه لمفهوم بعض علماء اللسانيات لطبيعة الجملة الاسمية ثم عرض لمفهوم الجملة الاسمية والفعلية في

النحو العربي مبينًا الخلل في ذلك وتجاهل عناصر الجملة في تحديد مفهوم الاسمية أو الفعلية، ثم فسر مذهب النحويين وهو أمر لا يقبله الباحث المحدث، وانتهى إلى قوله «النتيجة من كل هذا أن الفصل بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ينبغي أن يقع على أساس آخر وهو نوع العناصر الأصلية المكوّنة لكل واحدة منهما، فلا تعتبر الجملة الاسمية إلا إذا خلت من الفعل، وتوضع في صنف الجملة الفعلية كل جملة تضمنت فعلًا بغض النظر عن مرتبته»، وقال «ولقد اعتمد هذا الأساس (مهدي المخزومي) عندما قال: الجملة الفعلية هي ما كان المسند فيها فعلًا سواء أتقدم المسند إليه أم تأخر». وبين أنّ المخزومي مثّل بجملة بسيطة لا تثير كثيرًا من المشكلات التي يقتضيها القول بذلك المفهوم، ورأى أنّ هذه المشكلات لا تحل إلا بالتخلي عن مبدأين، الأول هو ارتباط علامة الإعراب بالوظيفة الإعرابية، أي ارتباط الرفع بالفاعلية والنصب بالمفعولية، ويرى أن العلامة قد تكون مرتبطة بموقع الكلمة في الجملة أو ولايتها لبعض الأدوات، والمبدأ الثاني الذي يدعو لاطراحه هو عدّ ما يتصل بالأفعال ضمائر ترث وظيفة الأسماء الظاهرة، وهو يدعو إلى عدّه علامة مطابقة فلا يكون الفعل بذلك رافعًا فاعلين، ورسم جدولًا بين فيه ألوانًا من الجمل المصدرة باسم مرفوع هو المبتدأ به؛ ولكنه في الحقيقة قد يكون فاعلًا أو مفعولًا به أو مضافًا إليه.

وصادفت الكتاب الذي شارك في وضعه وهو المقرر للنحو للمدارس الثانوية في تونس، وقد ألفيته كتابًا متميزًا باعتماده على النصوص استنباطًا للقواعد والتدريبات، وكانت هذه النصوص مادة استفدت بها في تدريسي المهارات اللغوية.

أما كتابه (نظرات في التراث العربي) فهو من أجل الكتب التي عالجت طائفة من المسائل المهمة في النحو والصرف والمعجم، وربما قررته على بعض شعب الدراسات العليا وكتابة تقارير عن موضوعاته، وربما كلفت طلاب الاختبار الشامل قراءته.

لقيت أستاذنا يوم زار الرياض وألقى محاضرة في جامعة الإمام عن مسيرته العلمية، وفي ذلك اليوم سألته بمسألة تخص ما كتبه عن الجملة، وكتبت عن ذلك في حينه ثم تشرفت بلقياه حين شاركنا العمل في مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية نائبًا عن رئيس الأمناء في المركز. رحم الله أستاذنا الدكتور عبدالقادر المهيري رحمة واسعة.

عبدالله العسكر

رحم الله أبا نايف عبدالله بن إبراهيم العسكر أستاذ التاريخ في كلية الآداب جامعة الملك سعود وعضو مجلس الشورى، كان رحمه الله من أكثر زملائنا أساتذة التاريخ إظهارًا لمحبتي والاحتفاء بي، لا أصادفه إلا يلقاني هاشًّا باشًّا، ولست أنسى كيف تقبل ملحوظاتي برحابة صدر بل أثنى على ما ذكرت، وكان ذلك غبّ محاضرة ألقاها في قسم التاريخ. وقرأت لأخي وحبيبي الأستاذ المؤرخ الدكتور عبدالله بن إبراهيم العسكر في صحيفة الرياض يوم الأربعاء ٢٨شعبان ١٤٣٣هـ (العدد ١٦٠٩٥) مقاله عن (قل ولا تقل)، فكتبت مداخلة تعقيبًا على مقاله بعنوان (لنقل أخي عبدالله خيرًا) ولم يكن خاليًا من القسوة ابتدءًا بعنوانه، ولا رأيت منه عتابًا، وحين أظهر تذمره من مشكلة كتابة الهمزة في العربية وتعدد أشكالها قلت له ونحن في بيته العامر: احفظوا

الأشكال حفظكم لكلمات اللغة الإنجليزية، فأعجبه الجواب، لقد كان كبيرًا في علمه وعمله وخلقه.

ولد الدكتور العسكر في مدينة المجمعة عام (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) وأنهى تعليمه العام عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ثم التحق بجامعة الملك سعود فاجتاز مراحل كلية التربية، وحصل على البكالوريوس في التاريخ والتربية عام (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ليعمل معلمًا في وزارة المعارف في متوسطة ابن زيدون في حي الوشام بمدينة الرياض لمدة عام، ثم عُين معيدًا في جامعة الملك سعود ثمّ أرسلته الجامعة لإكمال دراساته أمريكا. درس الدكتور العسكر الماجستير في جامعة كاليفورنيا، وأنهى هذه المرحلة عام (١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، ثم عاد بعدها مرة أخرى إلى أمريكا لدراسة الدكتوراه في الجامعة نفسها، وحصل على درجة الدكتوراه عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) بعد أن أجيز بحثه عن تاريخ اليمامة وهو (السياسة الإقليمية: دراسة حالة: اليمامة في القرنين السابع والسادس الميلاديين).

أثرى الدكتور العسكر المكتبة العربية بعدد من الكتب منها (الحالة الاقتصادية عند عرب الجنوب)، نشرته جامعة الملك سعود ١٣٩٢هـ. و(تحقيب التاريخ الإسلامي) الناشر العربي. الرياض ١٤١٩هـ. و(حقب التاريخ الإسلامي)، نشره مركز البحوث بكلية الآداب/ جامعة الملك سعود ١٤٢٩هـ. و(المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية)، نشرته مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ. و(اليمامة في صدر الإسلام) (بالإنجليزية) أثيكا، لندن ١٤١٩هـ. و(أطلس التاريخ السعودي) بالاشتراك، نشرته دارة الملك عبد العزيز ١٤١٩هـ.

(تاريخ اليمامة في صدر الإسلام محاولة للفهم، وهو في الأصل بحثه للدكتوراه صدر في طبعتين، بيروت ٢٠١٢م، ٢٠١٤م، و(البعد الثقافي في حياة الملك سلمان بن عبدالعزيز) الأحساء (٢٠١٥م).

وله عدد من الترجمات منها ترجمة لكتاب (فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، ناتانا دي لونج باس، نشرته دارة الملك عبدالعزيز. وترجمة لكتاب (التاريخ الشفاهي)، روبيرت بيرك، نشرته دارة الملك عبدالعزيز ١٤٢٥هـ. و(التاريخ الشفهي حديث عن الماضي) روبرت بييركس، الرياض(٢٠٠٣م)، و(دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي) ناتانا دي لونج باس، الرياض (٢٠١٢م)، و(الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية) ديفيد كمنز، بيروت (٢٠١٣م)، و(النساء في التراجم الإسلامية) روث رودد، بيروت (٢٠١٣م)، و(كتابة التاريخ في المملكة العربية السعودية العولمة والدولة في الشرق الأوسط) يورك ماتياس ديترمان، بيروت(٢٠١٥م).

وأما التحقيق فحقق بالاشتراك كتاب (رحلة فتح الله ولد انطوان الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية) بيروت ٢٠١٦م.

وكتب الأستاذ الدكتور العسكر عددًا كبيرًا من البحوث العلمية والمقالات ومقدمات الكتب، وله نشاط بارز في الإعلام الصحفي والتلفازي.

وأما أعماله الإدارية فمنها كونه عضو مجلس كلية الآداب،

رئيس قسم التاريخ، عضو مركز البحوث بكلية الآداب، عضو مركز الترجمة بجامعة الملك سعود، رئيس وعضو عدة لجان في قسم التاريخ وفي جامعة الملك سعود، مستشار غير متفرغ لدى وزارة الثقافة والإعلام، وزارة التعليم العالي، ودارة الملك عبد العزيز، والهيأة العليا لتطوير مدينة الرياض. عضو وفد المملكة لمؤتمر اليونسكو لمؤتمرات عدة. مستشار لمدد متفرقة لمؤسسة الملك خالد الخيرية. وكان عضوًا في عدد من الجمعيات العلمية: عضو مؤسس – الجمعية التاريخية السعودية، عضو مدى الحياة – جمعية دراسات الشرق الأوسط بأمريكا MESA، الجمعية الآثارية السعودية، الجمعية الجغرافية الأمريكية، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، جمعية الشرق الأوسط في العصور الوسطى بأمريكا، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، اتحاد الآثاريين العرب بالقاهرة. توفي أستاذنا العسكر في مصر وصلّي عليه في الرياض يوم السبت ١٠/٢٥/ ١٤٣٧هـ. تغمدك الله برحمته يا عبدالله.

علي أبوالمكارم

في أول معرض من معارض الكتاب التي شهدتها في القاهرة وقع في يدي كتابان رائعان هما (أصول التفكير النحوي) و(تقويم الفكر النحوي)، ووجدت نفسي أعكف على قراءتهما فكانا من أهم الكتب المؤثرة في ثقافتي اللغوية، وكانا من أهم مراجع رسالتي لدرجة الماجستير (الجملة الشرطية عند النحاة العرب)، ودفعني إعجابي الشديد بالدكتور علي أبوالمكارم أن أسعى إلى لقائه، استأذنته لزيارته في بيته، وحملت نسخة من رسالتي إليه، دخلت بيته لألقاه رجلًا جمّ التواضع له من اسمه

أوفى نصيب؛ فهو عليٌّ مقامًا وخلقًا وهو أبٌ للمكارم حقًّا، رحبّ بي ترحيبًا شديدًا، ولما دفعت إليه بنسخة الرسالة تناولها تناول المهتم الحفي بها فلم يلقها أو يرجئ النظر فيها بل شرع يتصفحها مظهرًا السرور بها والرضا عن موضوعاتها، ثمّ التفت إلي وقال «أنا أعطي على الباب الأول هذا ماجستير»، ولم يتيسر لي أن أراه بعدها حتى جاء أستاذًا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فكانت فرصة سانحة فبادرت إلى دعوته إلى بيتي فشرفني بذلك كثيرًا، وكانت زيارته يومها حلقة علمية أفاد منها ضيوف تلك الزيارة، وأما آخر مرة تشرفت بلقائه والجلوس معه فكانت أثناء العشاء الذي دعي إليه ضيوف المؤتمر الأول للغة العربية ومواكبة العصر التي نظمته الجامعة الإسلامية، وكم أثلج صدري تلك الليلة بسروره باللقاء وفاجأني أمام الحاضرين بثنائه القيم على رسالتي.

ولد العلامة علي محمد أبوالمكارم في ١٩٣٦/٢/٩م، درس الليسانس في دار العلوم ثم الماجستير وكان عنوان رسالته (الحذف والتقدير في النحو العربي) وأما الدكتوراه فكان عنوان رسالته (مناهج البحث عند النحاة العرب)، وجاءت أعماله العلمية امتدادًا لهذه التجربة الثرية فتعمق درس نظرية النحو العربي وأثرى علومها بالبحوث القيمة التي كان لها أثرها الواضح في أعمال الدارسين بعده وكان لإشرافه على عدد من طلاب الدراسات العليا ومناقشة رسائلهم فضل في تجويد أدائهم، ومن أهم أعمال أستاذنا (الظواهر اللغوية في التراث النحوي) ١٩٦٨م، (القواعد الصرفية: عرض ودراسة) ١٩٧٠م، (تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري) ١٩٧١م،

(أصول التفكير النحوي) ١٩٧٢م، (تقويم الفكر النحوي) ١٩٧٤م، (إعراب الأفعال) ١٩٧٧م. (الجملة الفعلية) ١٩٧٩م، (المدخل إلى دراسة النحو العربي: الجزء الأول ما قبل الجملة) ١٩٨٠م، (المدخل إلى دراسة النحو العربي: الجزء الثاني الجملة العربية) ١٩٨٢م، (تصريف الأسماء) ١٩٨٤م، (مسائل نحوية) ١٩٨٦م، (قضايا ونصوص نحوية) ١٩٨٨م، (تعليم النحو العربي: بحث في المنهج)، ١٩٩٣م، (الجملة الاسمية) ١٩٩٦م، (التراكيب الإسنادية في العربية: الجمل الوصفية-الشرطية – الظرفية) ١٩٩٨م، (التعريف بالتصريف) ٢٠٠٠م، (التعليم والعربية: رؤية من قريب) ٢٠٠٦م.

تميزت لغة أستاذنا بالوضوح وجودة السبك وجمال العبارة وليس بغريب على من جمع بين الكتابة البحثية العلمية الجادة والكتابة الإبداعية؛ إذ كتب عددًا من الروايات الجياد والأعمال الإبداعية، منها (الموت عشقًا) ١٩٩٠م، (العاشق ينتظر) ١٩٩٢م، (أشجان العاشق)، (سفر الغربة)، (الساعة الأخيرة)، (تجليات الوهن)، (على الهامش).

وبعد مسيرة علمية مباركة توفي أستاذنا يوم الجمعة ٢٤ يوليو ٢٠١٥م الموافق ٨ شوال ١٤٣٦هـ، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه أوفى الجزاء لما بذله للعربية وطلابها.

كمال محمد بشر

كان أول دروسنا في جامعة القاهرة في مرحلة الماجستير ١٩٧٤م عن علم الأصوات، وأحسن أستاذنا الدكتور محمود فهمي حجازي بالجمع بين الدرس التراثي والحديث، وأما التراثي

فوجهنا فيه إلى قراءة باب الإدغام في كتاب سيبويه، وكتابة جملة من البحوث المنطلقة من أبرز قضاياه مثل ترتيب الحروف ومخارج الأصوات وصفاتها والإمالة، وأما في الحديث فاستعرض معنا أهم جهود أساتذة العلوم اللغوية فعرفنا كتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس وأصوات اللغة لعبدالرحمن أيوب، وغيرهما من الكتب، وكان الغرض الموازنة بين الجهود التراثية والحديثة، ولكنّ من أهم الكتب التي لفتت نظري بامتيازها كتابين وجدتهما لأستاذنا الدكتور كمال محمد بشر، أما الأول فهو كتاب (دراسات في علم اللغة) وأما الثاني فهو (علم اللغة العام: الجزء الثاني الأصوات) وكلا الكتابين نشرتهما دار المعارف في مصر عام ١٩٧٣م، والطريف أن يصدر من كتاب الجزء الثاني قبل الأول. على أن كتاب الأصوات هذا نشرته دار غريب منفصلًا ومزيدًا.

كان الدكتور كمال محمد بشر من أساتذة دار العلوم فلم أتشرف بلقائه مبكرًا؛ فدار العلوم لما تنتقل إلى حرم جامعة القاهرة، ولكني أذكر أنني وزميلي فهد عمر سنبل ذهبنا إليه في بيته ولست أعلم سبب تلك الزيارة؛ ولكني رأيت هذا الرجل النحيل بصوته الواضح الجهير، وسألَنا عن أمر كان حديث الساعة في بلادنا، فتكلمت وتكلم فهد، ولما عدت إلى الكلام أسكتني طالبًا من فهد معاودة الحديث؛ إذ أعجبه كلامه وطريقته في تحليل المسألة، ثمّ منّ الله علي بلقائه في جامعة الكويت حين جاء أستاذًا زائرًا، فاستمعت إلى محاضرته في قسم اللغة العربية عن علامات الترقيم في لغة التراث وكانت محاولة للإجابة عن سؤال: أكان إهمالهم إيّاها لاستغنائهم بقرائن لغوية وهي ما اعتمد عليه علماء الوقف والابتداء في المصحف، وكانت محاضرة

مهمة؛ ولكن أستاذنا أطال في سرد معلومات معروفة، وهو ما أخذته عليه في تعقيبي، وحضرت محاضرته في رابطة الأدباء في منطقة العديلية (الكويت) ولما انتهت المحاضرة وخرج أستاذنا رأيت د. محمد حماسة عبداللطيف يلقاه ويعانقه ويقول له مداعبًا ضاحكًا: كيف تقول (هازا) والفصيحة (هذا).

جاء إلى الرياض في مهمة علمية فانتهزت الفرصة فدعوته لمنزلي فلبى دعوتي، وكنت أحدّثه، ونحن في طريقنا إلى منزلي، عن عزمي على إجراء ندوة مكتوبة لنشرها في ملحق العقيق الذي يصدره النادي الأدبي في المدينة المنورة، وكان ذلك باقتراح من أخي الدكتور محمد الرويثي رئيس النادي رحمه الله، وكان عنوانها (عالمية اللغة العربية)، فوافق وقال لي أعطني الأسئلة وسأبعث لك بالجواب، ولكن لم أتسلم منه شيئًا بعد ذلك، وكان لي شرف مشاركته المؤتمر الذي عقدته جامعة الإمارات في مدينة العين في ١٨-٢٠ابريل ١٩٩٢م. وعنوانه «تعليم اللغة العربية في المستوى الجامعي». وقد شاركت ببحث عنوانه «أخطاء الطلاب والاستفادة منها في التعليم الجامعي»، وأذكر أني وقفت أعلق على إحدى المحاضرات فذكرت أثر انتقال الصغار من بيئة لغوية إلى أخرى في تغير عاداتهم النطقية، ومثلت بنطق (بريق) أي إبريق، فبعض أطفال القصيم حين انتقلوا إلى الرياض صاروا ينطقون القاف طبقيّة مجهورة كالجيم المصرية مخالفين بهذا نطقهم المحلي وهو نطق القاف (مدزدزة) فكلمة (بريق) في القصيم تنطق (بريدْز)؛ ولكن هؤلاء الأطفال في الرياض تحولوا إلى نطق لهجي أعمّ، فلما قلت ما قلت رأيت أستاذنا ينهض واقفًا ويبادر بالقول إن هذه القاف أي الطبقية هي القاف الفصيحة القديمة فكيف تقول عنها لهجية، فقلت له صدقت أستاذنا؛ ولكن

الذي على ألسنة العامة اليوم هذه القاف، وأما المسموع في قراءة القرآن واللغة الرسمية الفصيحة فالقاف اللهوية. وكانت آخر مرة لقيته فيها في الدورة الثامنة لمؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري وهي دورة علي بن المقرب العيوني، التي عقدت في المنامة ـ البحرين ١ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠٢م. رأيته وهو يوزع نسخًا قليلة من طبعة كتاب الأصوات الجديدة بغلاف أزرق.

حصل أستاذنا الدكتور كمال محمد علي بشر، الذي ولد في محافظة كفر الشيخ عام ١٩٢١م، على درجة الدكتوراه من جامعة لندن في علم اللغة والأصوات ١٩٥٦م. ومنذ ذلك الوقت قضى حياته في خدمة العربية وطلابها تأليفًا وتعليمًا وإشرافًا على طلاب الدراسات العليا وتقويم بحوث الترقيات، واستمر أستاذًا غير متفرغ حتى وافاه الأجل يوم الجمعة ٠٧ـ٠٨ـ٢٠١٥م.

أثرى أستاذنا المكتبة العربية بعدد من الكتب العلمية المهمة منها (قضايا لغوية، ١٩٦٢م). (علم الأصوات، أعيد تنقيحه وطبعه ١٩٩٩م). (دراسات في علم اللغة، أعيد نشره في١٩٩٦م. ترجمة كتاب (دور الكلمة في اللغة، لستيفن ألمان، وقد نشر أول مرة سنة ١٩٦٢م). (علم اللغة الاجتماعي، نشر أول مرة سنة ١٩٩٢م). (خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، ١٩٩٥م). (اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، نشر سنة ٢٠٠٠م). (فن الكلام، ٢٠٠٣م). (صفحات من كتاب اللغة، ٢٠٠٤م). (مجمعيات، ٢٠٠٤م). (إذاعيات لغوية، ٢٠٠٥م). (التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ٢٠٠٥م). (مجمعيات ج٢، ٢٠١٠م) وله عدد من البحوث العميقة الجادة في الدوريات العلمية المختلفة وكتب المهرجانات. رحم الله أستاذنا رحمة واسعة وجزاه عن العربية وطلابها خير الجزاء.

محمد حماسة

بهذا الاسم المركب يعرف أستاذنا النحوي الذي حفظ القرآن الكريم في المنوفية التي ولد فيها عام ١٩٤١م، ثم انتقل إلى القاهرة ليلتحق بالأزهر ثم دار العلوم التي تخرج فيها وعمل، تسمعه يتحدث بأفصح لسان، فليس ينطق الذال زايًا كما تسمعها من غيره من أساتذة الأدب كطه حسين أو أساتذة اللغة مثل أحمد مختار عمر وكمال بشر، ومثله في هذا عبدالصبور شاهين رحمهم الله جميعًا، ولست أنسى كيف تقدم إلى أستاذنا كمال بشر بعد أن أنهى محاضرته في رابطة الأدباء في الكويت تقدم إليه مرحبًا ومسلمًا ومداعبًا بقوله كيف تنطق الذال زايًا في هذه البلاد.

عرفت محمد حماسة عبداللطيف في الكويت سنة ١٩٨٣م، عرفته في قسم اللغة العربية في جامعة الكويت حين صحبت زوجتي أم أوس، وصادف أن الشقة التي جعلتها الجامعة سكنًا لأسرتنا إلى جوار شقة محمد حماسة وأسرته فكان تعارفٌ عائلي مبارك، وأذكر أنّ مسألة استعصى عليّ فهمها فاستأذنته بالزيارة ليشرحها لي؛ ولكنه بكرم بالغ جاء هو إليّ، وجلسنا وقرأنا ما شاء الله لنا أن نقرأ، أنسيت المسألة ولا أدري أحلت أم بقيت كمسائل نحوية غامضة تنتظر من يكشف عنها ويجلي غوامضها.

وعاد أستاذنا إلى القاهرة فكنت كلما زرت القاهرة أحرص على المرور على دار العلوم لزيارته وللسلام على أستاذنا الدكتور عبدالصبور شاهين أيضًا، وكنت من حين إلى آخر أهاتفه وأطمئن إلى أخباره. حدثني وأنا في مكتبه في دار العلوم عن دراسته وبدايات اشتغاله بالشعر وكيف أنه كون مع زميلين رابطة الفرسان الثلاثة فقد كانوا شعراء محمد حماسة عبداللطيف وأحمد

درويش، وحامد طاهر. وكان في دار العلوم قسمان أحدهما للنحو التقليدي وآخر لعلوم اللغة الحديثة، وكان عبدالصبور شاهين يعلم الطلاب علوم اللغة الحديثة من أصوات ونحوها وفي المقابل كان حماسة يعلم النحو التقليدي، فكان إذا فتل عبدالصبور أمرًا نقضه حماسة؛ حتى جاء إليه يقول مداعبًا «أيه يا حماسة إحنا هنأطع على بعض».

عالجت كتب هذا النحوي المبدع قضايا مهمة جدًّا في الدرس النحويّ حتى صارت من مراجع البحوث الجامعية، منها (الضرورة الشعرية في النحو العربي. الناشر: مكتبة دار العلوم ١٩٧٩م القاهرة). و(العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث. الناشر: جامعة الكويت ١٩٨٤م). و(في بناء الجملة العربية. الناشر: دار القلم بالكويت ١٩٨٢م.)، (التوابع في الجملة العربية. الناشر: مكتبة الزهراء بالقاهرة ١٩٨٧م.)، و(ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية. مكتبة الثقافة بالقاهرة ١٩٩٥م.)، و(التحليل الصرفي للفعل في العربية. مكتبة دار العلوم بالقاهرة ١٩٩٥م.)، و(التحليل الصرفي للأسماء في العربية. مكتبة الزهراء بالقاهرة ١٩٩٥م.).

لم يكن محمد حماسة نحويًّا تقليديًّا بل استطاع أن يستوعب علوم اللغة الحديثة وأفاد منها فائدة فاقت بعض من تخصصوا بها بما استطاعه من مزاوجة بين القديم والحديث، ظهر ذلك جليًّا في كتابه (النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. الناشر: مكتبة ومطبعة المدينة – القاهرة ١٩٨٣م). وهذا كتاب كلفت أنا وأم أوس طلابنا وطالباتنا قراءته غير مرة، وكتب عنه مراجعة وعرضًا أ.د. يحيى أحمد، أستاذ علوم اللغة في جامعة الكويت كتابة علمية رائعة كشفت عن مدى توفيق مؤلفه في استيعاب مفاهيم علم اللغة الحديث، و«أن المؤلف نجح بما لا يدع

مجالًا للشك في لفت أنظارنا إلى العناصر التي تشكل المعنى النحوي»، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع١٣، مج٤، شتاء ١٩٨٤م، ص ١٨٠- ١٩٠)، وأذكر أنني هاتفت محمد حماسة أهنئه على هذه القراءة الرائعة فألفيته غاضبًا؛ فلعله أبلغ بأنّ هذا الأستاذ كتب عنه ولم ينقل إليه فحوى ما كتب، قال لي كنت أهم أنّ أكتب ردًّا عليه، وحمد الله أني اتصلت به ووقفته على جلية الأمر، وأخبرني بعدُ يحيى أحمد بأن حماسة سرّ بكتابته. ومنها (من الأنماط التحويلية في النحو العربي. الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٠م) وفيه يبسط مسألة التقاء النحو العربي بالتقدير والتأويل والفرعية والأصلية والذكر والحذف بما يعتمده النحو التحويلي من القول ببنيتين للجملة باطنة وظاهرة وما فيه من آليات تتحول بها الجملة من شكل إلى آخر.

وكان لميله الأدبي والشعري أثره في البحث، فسخر معارفه اللغوية في الدرس الأدبي، واتخذ من الأدب ميدانًا لدرسه، فكان من ذلك عدد من الكتب القيمة (الجملة في الشعر العربي. الناشر: مكتبة الخانجي ١٩٨٩ القاهرة)، وفيه خالف عبدالقاهر الجرجاني المنكر أن لتقديم الألفاظ في الشعر غرضًا؛ لأن الشاعر محكوم بالوزن والقافية، وذهب حماسة إلى أن الشاعر المبدع يجمع بين الوفاء بمقتضى البناء الشعري والغرض البياني من التقديم. و(ظواهر نحوية في الشعر الحر: دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٠م) ويبين فيه أن من هذا الشعر الحر ما هو عمودي في بنيته؛ ولكنه حرّ في توزيع أجزائه على أسطر متوالية. و(اللغة وبناء الشعر. الناشر: مكتبة الزهراء بالقاهرة ١٩٩٢م). و(البناء العروضي للقصيدة العربية. الناشر: دار الشروق بالقاهرة ٢٠٠٠م). و(القافية في الشعر العربي. الناشر: مكتبة الثقافة بالقاهرة ١٩٩٦م). و(الإبداع

الموازي. التحليل النَّصي للشعر، دار غريب ٢٠٠١م.)، (كيف نقرأ النص التراثي؟ وبيان أثر العروض في ضبطه وتحقيقه: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ٢٠٠٩م.

وكنت أوصيت أن يدرس كتابه (النحو الأساسيّ. الناشر: ذات السلاسل بالكويت ١٩٨٤م دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٧م.) في كلية اللغات والترجمة-جامعة الملك سعود فصار من أكثر كتبه انتشارًا وأعيد نشره غير مرّة، وهو كتاب شاركه في كتابته أحمد مختار عمر ومصطفى النحاس زهران رحمهم الله جميعًا.

وأستاذنا شاعر، والى كتابته الشعر حتى توفي، وكنت تشرفت بتلقي قصيدة منه خاصة بشخصي المتواضع. ومن أعماله الشعرية (ثلاثة ألحان مصرية (بالاشتراك)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠م.)، و(نافذة في جدار الصمت (بالاشتراك)، مكتبة الشباب ١٩٧٥م.) و(حوار مع النيل، دار غريب ٢٠٠٠م.)، و(سنابل العمر. دار غريب ٢٠٠٥م.).

وكتب بحوثًا علمية منشورة في الدوريات العلمية، وأما نشاطه في المجمع فهو مشهور، وكان سببًا لفصله من الجامعة فصلًا تعسفيًّا.

رحم الله أستاذنا صديقنا أ.د. محمد حماسة عبداللطيف رفاعي الذي توفي يوم الخميس ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق آخر يوم من سنة ٢٠١٥م.

محمد القويفلي

عرفت الدكتور محمد سليمان القويفلي بعد عودته من البعثة، وربط العمل في القسم بيننا صداقة ومحبة وألفة. عُين

أستاذًا مساعدًا في قسم اللغة العربية ليدرس الأدب والنقد وبخاصة السرديات، وهو من مواليد منطقة الحجاز؛ إذ رحلت أسرته من محافظة المذنب واستقرت هناك؛ ولكنها ظلت على صلة قوية بأصولها؛ ولذلك كنت تسمع الدكتور القويفلي يتحدث بلهجة القصيم كأنه عاش فيه مع أنه متقن بحكم نشأته لهجات الحجاز، وكان يمازحنا بقوله أنا بخاري، إنّ من أميز صفاته المرح وطرافة الحديث الذي يتعالى به على أحزانه وما تنطوي عليه حياته من عوارض، مهما يطل جلوسك معه لا تمل من أحاديثه الجامعة بين المتعة والفائدة. أظهر الدكتور منذ تعين فاعلية متميزة على مستوى التعليم والبحث والإدارة، إذ لم يمض وقت طويل حتى صار عضوًا في تحرير مجلة جامعة الملك سعود (الآداب)، ثم وكيلًا لكلية الآداب للشؤون الأكاديمية، فمستشارًا لعمادة الدراسات العليا للعلوم الإنسانية، وعرفته جادًا في عمله شديد التنظيم، وكان لي شرف مشاركته في لجنة الدراسات العليا في الكلية التي كان من أعمالها النظر في خطط الرسائل العلمية التي ترد من أقسام كلية الآداب.

عرفته على المستوى البحثي حيث كان يدفع إلي بما يكتبه من بحوث لأقرأها رغبة منه في مزيد من السلامة اللغوية، وهي ثقة منه بي كنت أعتز بها، كانت كتاباته مدهشة في إيجازها وعمقها وغوصها إلى دقائق لا يتنبه إليها كل أحد، كانت جمله موجزة حتى كتبت له مرة إن في جملك كزازة، فجاء إلي يضحك من قولي ويسألني ما المعنى وأنه لا يعرف إلا المعنى اللهجي من كزّ الخط أي أرسل الرسالة، لم يكن يعوزه الوصول إلى المعنى؛ ولكنه صيّاد مفارقات وطرائف، قلت له في بدايات أعماله إنه

يكتب العربية مفكرًا باللغة الأعجمية؛ ولكنه ما لبث أن استقامت لديه الطريقة حتى لم يعد بحاجة إلى مراجعتي في شيء. تعلم الدكتور القويفلي في المرحلة الجامعية في قسم اللغة العربية في الوقت الذي كنت في مصر أكمل دراساتي العليا، وكان من أبرز من علموه في القسم العلامة الدكتور حسن ظاظا الذي ترك في نفسه أثرًا حسنًا عبر عنه في كلمته التي ألقاها في مناسبة تكريم الاثنينية الدكتور حسن ظاظا.

كان للقويفلي من السمعة في دنيا النقد والأدب ما جعل النادي الأدبي بالرياض يستقطبه للعمل في إدارته ورئاسة تحرير مجلة النادي قوافل، وشهد النادي في وقته نشاطًا ملحوظًا وبخاصة في الإشراف على لقاء الاثنين ورعاية الكتاب الشباب. وأن تستعين به وزارة التعليم عضوًا في لجنة معادلة الشهادات.

كان ثاقب الرأي موفق الاستشراف، قال حسين المناصرة في كتابه (ذاكرة رواية التسعينيات: قراءات في الرواية العربية السعودية) «ما زلت أذكر أنني سمعت من الصديق الدكتور محمد القويفلي بُعيد غزو العراق المشئوم للكويت، عام ١٩٩١م، أن هذا التاريخ – والكلام هنا ينقل المعنى لا اللفظ- سيبدو محركًا وبداية حقيقية لتحولات ليست سياسية فحسب، وإنما اجتماعية وثقافية، وأذكر أنه أشار تحديدًا إلى إمكانية التحول الحقيقي المنتظر في الرواية العربية السعودية..وهذا فعلًا ما حدث!!».

من أهم الأعمال المنشورة للدكتور محمد سليمان القويفلي: «نقد القصة القصيرة عند مارون عبود» نشر في١٩٩٢م، و«النقد والفصل الروائي» نشر في مجلة جامعة الملك سعود، م٤، الآداب(٢)، ص ص ٤٧٣- ٥٠٨ (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

وترجم «بنية القصة القصيرة الحديثة» أ. ل. بدر، نشر في مجلة الدارة س١٨، ع٢، ص ص ٢٠٢- ٢١٤ (محرم/ ربيع الأول ١٤١٣هـ - يوليو/سبتمبر ١٩٩٢). «المكان الروائي روايات كنفاني أنموذجا» في مجلة جامعة الملك سعود، م٤، الآداب (٢)، ص ص ٣٤٩- ٤٠٧ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م). «القارب- السفينة والمتلقي» في الواحات المشمسة، ملف دوري متخصص تصدره جمعية الثقافة والفنون في المملكة العربية السعودية، ج٣، ص ص ١٣٧-١٩٨ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

ومن أعماله عرضه وتقديمه كتاب (بلاغة الفن القصصي) الذي ألفه (وين س. بووث) وترجمه أحمد خليل عريدات وعلي أحمد الغامدي، ونشر هذا العرض بعنوان (القاعدة والنص: قراءة في منهج بلاغة الفن القصصي) في مجلة جامعة الملك سعود، م٨، الآداب (٢)، ص ص ٤٩٥- ٥١١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). وكان الدكتور قد قرأه بلغته الأصلية قبل الترجمة أثناء دراسته العليا فهو خبير بهذا الكتاب متمكن من الكتابة عنه. «البياض السردي: الأعراف ودلالات العدول» في مجلة جامعة الملك سعود، م١٥، الآداب (٢)، ص ص ٣١٧- ٣٥٤ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). ومن أعماله كتاب (الطفولة وعالم الراشدين في القصة القصيرة) نشر في مركز البحوث في كلية الآداب برقم ٦٣ سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

كان يمكن أن يتواصل العطاء وتثرى الساحة النقدية والأدبية بمزيد من البحوث والدراسات لولا انحيازه إلى مركز قياس ليكون مديرًا «لإدارة الاختبارات التعليمية في المركز الوطني للقياس والتقويم»، إلى أن وافاه الأجل في يوم الجمعة

الثالث من شوال عام ١٤٣٧هـ الموافق ٨ يوليه ٢٠١٦م. رحمك الله يا محمد رحمة واسعة.

محمود فجال

نبهني صديقي الدكتور عبدالعزيز الزير حين علم اشتغالي ببحث مجابهة الضعف اللغوي (١٩٩٩م) عن كتاب مهم في هذا الشأن هو (الصحيح والضعيف في اللغة العربية)، وأذن لي أن أستعير نسخته مشدّدًا على أهمية إعادتها إليه، ومنذ ذلك الحين عرفت هذا العلّامة المتعمق في علوم اللغة وتعليمها وما يتصل بذلك من التربية، وجاء يوم دخلت مجلس قسم اللغة العربية فرأيت في صدره شابًا شديد بياض الثياب منير الوجه ذا قسمات دقيقة، عرفت بعد ذلك أنه يوسف ابن النحوي محمود بن يوسف فجّال، ثم عرفت شقيقه النبيل ذا الخلق الرفيع محمدًا ونشأت بعد ذلك بيننا زمالة ومعرفة ومودة متّصلة، وأذن الله أن ألقى أستاذنا الدكتور محمودًا غير مرة فرأيته وقورًا هادئًا بلبس شيوخ الشام الرسميّ معتمًّا بعمامة بيضاء، ثم عرفت بعد ذلك من هذه الشجرة المباركة الدكتور عبدالله والدكتور أنسًا، وكنت حين لقيتهم أول مرة أحس أننا على معرفة سابقة.

حصل الدكتور محمود فجال على شهادة الماجستير في جامعة الأزهر عام ١٩٧٥م وعلى شهادة الدكتوراه في الجامعة نفسها عام ١٩٧٨م. كان أستاذًا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رأس قسم النحو في فرع الجامعة بأبها، نالته جملة من شهادات التقدير والشكر، أشرف على الرسائل العلمية وناقشها، وحكم في بحوث الترقية وما يراد له النشر، وكان آخر أعماله الإدارية أنه مستشار في مكتب وزير الشؤون الإسلامية

والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وعلى الرغم من كثرة أعبائه الإدارية والأسرية لم يغفل عن البحث والتأليف فأثرى المكتبة العربية بجملة من الأعمال الجليلة والبحوث الأصيلة، سأقتصر في ذكرها على بعض ما طبع أو نشر منها.

جاءت أعماله في خمسة اتجاهات:

أولًا: تحقيق التراث في أصول النحو: من ذلك كتاب (الاقتراح في أصول النحو وجدله) للسيوطي، طبعته مطابع الثغر، و(فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح) لابن الطيب الفاسي، طبع دار البحوث بدبي، (رسالة في إعراب حديث: كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل. لابن هشام) طبعه نادي أبها الأدبي، (رسالة الإذن إلى توجيه «لاها الله إذن» للسيوطي) طبعها نادي أبها الأدبي، و(رسالة في نسبة الجمع لابن كمال باشا) نشرته مجلة عالم الكتب. ومما يتعلق بالتراث بحثه (في التراث الإسلامي العربي وقيمته الحضارية) نشر في مجلة عالم الكتب.

ثانيًا: التأليف في أصول النحو: كتاب (الإصباح في شرح الاقتراح) طبعته دار القلم بدمشق، و(الحديث النبوي في النحو العربي) طبعه نادي أبها الأدبي، و(السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو العربي) طبعه نادي أبها الأدبي، و(ارتكاز الفكر النحوي على الحديث على الحديث والأثر في كتاب سيبويه) طبعته مطبعة زيج، و(تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية) طبعه نادي الشرقية الأدبي، ومن البحوث المتعلقة

بهذا: (الحديث النبوي ينبوع فيّاض للنحو العربي) نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وثلاثة بحوث نشرتها مجلة العرب: (الاحتجاج في العربية: المحتج بهم-زمان الاحتجاج)، و(ضرائر النثر في النحو العربي)، (الضرائر الشعرية والنثرية في النحو العربي).

ثالثًا: الدفاع عن العربية: كتاب (الصحيح والضعيف في اللغة العربية) طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (النحو قانون اللغة وميزان تقويمها) طبعه نادي أبها الأدبي، ومن بحوثه (شيوع الألفاظ والتراكيب الأعجمية وأثره في اللغة العربية) نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ضمن بحوث ندوة الضاد، ونشرت مجلة العرب: (النحو العربي: ادعاء صعوبته-طريق معرفته) ، (أولًا وسلاسلًا عربيتان فصيحتان محكيتان).

رابعًا: في النحو وتعليمه: كتاب (القلائد الذهبية في قواعد الألفية: عرض لشرح ابن عقيل بثوب جديد)، طبعته مطبعة زيج، ونشرت مجلة العرب أربعة بحوث: (توجيهات نحوية للحديث النبوي: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا...)، و(نظرات نحوية في لغة طيئ)، و(قضايا لغوية)، و(قضايا نحوية حول التناسب في الفاصلة القرآنية)، ومن بحوثه (مواضع استعمال حروف الجر مع الفعل أرسل) نشرته مجلة الأحمدية بدبي، و(عقود الجمان في أمثال القرآن) نشرته مجلة الفيصل.

خامسًا: ترجمة لأعلام اللغة والنحو: (الزنجاني: حياته ومؤلفاته)، (الكافيَجي: حياته ومؤلفاته) (ابن كمال باشا: حياته ومؤلفاته)، (عبدالقادر البغدادي: حياته ومؤلفاته) وكل هذه

البحوث نشرتها مجلة عالم الكتب. ولأستاذنا كتاب عنكبي نجده في المكتبة الشاملة هو (القرآن الكريم منهج متكامل)، قدم له بأنه منهج متكامل لإصلاح المجتمع، وأدار الكلام حول ثلاثة محاور: المحور الأول: الهدف العام من إنزال القرآن الكريم، المحور الثاني: علاقة الإنسان بربه، المحور الثالث: علاقة الإنسان بمجتمعه.

رحم الله أستاذنا وشيخنا الدكتور محمود بن يوسف فجال الذي توفي في يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف. وسيظل حيًّا بما خلّف لنا من أعمال وأبناء بررة من اللغويين المجيدين ذوي الخلق الرفيع، فلعلهم ينشرون ما لم ينشر من أعمال والدهم لينتفع بها طلاب العربية وليدعوا لصاحبها بالأجر والثواب.

الخاتمة

حروف خاصة
«ليست للنشر لأنها كتبت خاصة لك ..
مضت سنة ... مضت سنة ...
مضى من عمري وعمرك سنة، وما زلت أقف ككل سنة أجمع حطبًا من أفراحها يدفئني في زمن الجليد ... ألصق صوري بالأبيض والأسود كأفلام الزمن الجميل.
وأضم عبيرًا من عطور عتيقة غطاها غبار الهجران ... أجتر صوتًا لنغمات ضحكاتهم وهمساتهم ...وأتخيل رائحة قهوة عربية مزعفرة رائحتها كرائحة حضن جدّي سليمان ... وهناك بيالات الشاي المخدّر تطفو وريقات من نعناع فيه بسلام ... رغم كل شيء ما زلت أراعي عادتي السنوية بتنسيق الثمانية والعشرون حرفًا ككل سنة لأهديك باقة من أكاليل الحب مصوغًا ببريق كلماتي المذهّبة ... هي بضاعتي الكلمات وبيع الحروف ... لم يبق والله فيها دم يجري ولا عرق ينبض ... أعلم أنها ميته وأعلم أن لا طعم فيها؛ ولكنها ككل سنة تطلّ عليك بأي شكل كان ...كطفلة قروية لم يفسد تبعثر الحناء على ثوبها فرحة لقاء العيد ... اعذرني على تقصيري واعذرني على قسوة هجري؛ ولكنني والله لم ولن انساك مهما حصل .. سرقت الأيام ملامح رضا وفرح كانت تسكن في وجوهنا وأبدلتها بشعيرات بيضاء تسكن مفارق رؤوسنا وتعرجات حمقاء تشق طريقًا متجعدًا تحت أجفاننا ...كل ذلك وما زلت لا ألاحظ السارق ولا المسروق؛ لأن العمر يجري بسرعة وسرقني بسرعة ... أدام الله أفراحك وأبعدك عن الحزن وجعل سنتك القادمة خيرًا وبركة وزادك صحة وعافية

وأبعد عنك لوعة الخيبات والعثرات ...حروف خاصه لك من الحنان ... ١٤٣٦هـ ذو الحجة».

ليس هذا النص مقتطعًا من رواية إبداعية أحكم كاتبها نسجها بل هي رسالة جاءت في (الوثاب WhatsApp) فاجأتني بها حنان ابنة أختي العزيزتين تهنئة بمقدم العام الهجري الجديد، وبقدر فرحي بهذه الرسالة التي جاءت لتنتشلني من خضم أعمال غرقت في خضمها، فرحت بها حتى بكيت تأثرًا من صدق لهجتها ولإعادتها الذهن إلى الزمن المسروق حين كان بيت من الطين يموج بجيش من الأطفال الفرحين بلقائهم وتحلقهم حول جدهم والدي سليمان رحمه الله وبيده كيس عامر بالحلوى ومكعبات بسكوت (أبو ميزان) أو هم جلوس بين يديه يصغون بشغف إلى حكايات عيايرة مصر أو قصة يوسف عليه السلام.

تلقيت هذه الرسالة التي أثرت في نفسي كثيرًا فأجبت على نحو مرتجل فقلت «الله الله، أشعر هذا أم سحر؟ لم أقرأ من قبل أجمل من هذه العبارات النابضة بالحياة، ولولا مقتضيات المحبّة ولوازم الوفاء بالردّ لاستسلمت للحياء الذي يلفّني وأنا في عجز عن مجاراة هذا البيان والجمال. ويعلم الله أنك كنت طوال أيام في ذهني أريد سماع صوتك؛ ولكنها مقتحِمات الحياة تتكالب عليّ وتتنازعني فلا أدري ما ألبي وأي شيء هو أولى من غيره بالمباشرة. لست أملك سوى شكرك من القلب لهذه الهدية الثمينة والتحفة الرائعة. وإن تأذني نشرتها على الملأ ليقرأوا آية من البيان الفاتن. كل عام وأنت بخير ورضا».

وإني أنشر الرسالتين ليقرأهما من تعوّد قراءة هذه الزاوية على تواضع زادها وجفاء مضامينها لعله يجد في هذه السطور كسر رتابة سابقة ويدفع ملل الحديث الجاد في أمر اللغة ومشكلاتها ليكون أنشط إلى معاودة القراءة والصبر عليها.